الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي

إعداد

سليمان تكروري محمد كايد

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد ا زاهي الرشدان

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في أصول التربية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

حزيران / ٢٠٠٥

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا سليمان تكروري محمد كايد أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ مـن أطروحتـي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها

التوقيع :

التاريخ :

The University of Jordan

Authorization From

I, Sulieman Tkroori Mohammed Kayed , authorize the University of Jordan to supply copies of my Dissertation to libraries or establishments or individuals upon request .

Signature :

Date :

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الفكر التربوي عند ابن عبد البر الأندلسي) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٣ .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور عبد الله زاهي الرشدان – مشرفا ورئيسا أستاذ في أصول التربية – قسم الإدارة التربوية والأصول	
الأستاذ الدكتور نعيم حبيب جعنيني – عضوا أستاذ في أصول التربية – قسم الإدارة التربوية والأصول	
الأستاذ الدكتور عمر أحمد همشري – عضوا أستاذ في علم المكتبات و المعلومات – قسم الإدارة التربوية والأصول	
الدكتور حسين محمد المومني – عضوا أستاذ مساعد في التربية المقارنة و الإدارة التربوية – قسم الإدارة التربوية والأصول	
الدكتور يزيد عيسى السورطي – عضوا أستاذ مشارك في أصول التربية – قسم أصول التربية و الإدارة الجامعة الهاشمية	

الإهداء

إلى والدي رمز العطاء ، ووالدتي ينبوع المحبة والحنان

أطال ا في عمرهما

إلى رفيقة الدرب زوجتي ...... التي سهرت معي وشجعتني

إلى أخوتي الأحباء قرة عيني الذين عشت معهم وعاشوا معي

حلو الحياة ومرها

إلى شموع حياتي أبنائي : سهاد – سائد – إيمان - دعاء – حسام

شكر وتقدير

أحمدك اللهم حمد الحامد لآلائك ، وأشكرك شكر الشاكر لنعمائك ، فلك الحمد كله يا ربنا على ما أوليت ، ولك الشكر كله على ما أعطيت امتثالا لقولك : **{ رَبِّ أوْزِعْنِـي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتِي أنْعَمْتَ عَلَيّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأنْ أعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأدْخِلْنِي برحمتك فِي عِبَادِكَ الصّالِحِيْنَ } (سورة النمل ، الآية ١٩) .**

لا يسعني في مقام الاعتراف بالفضل لأهله إلا أن أتوجه بخالص شكري وتقديري إلـى الأستاذ الدكتور عبد ا زاهي الرشدان الذي تكرّم بالإشراف على هذه الرسـالة فوجـدت فيـه رحابة الصدر ودماثة الخلق وجل الرعاية وجميل العناية .

كما وأتوجه بالشكر الجزيل إلى كافة الأساتذة في قسم الإدارة وأصول التربية فما بخلوا ولا ضنوا فكانوا منهلا للعلم ومآلا للفكر ومحطا للنصح والتوجيه ، وكما أقـدم وافـر الشـكر وعظيم التقدير مقرونا ببالغ الاحترام إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة وهم الأستاذ الدكتور نعيم حبيب جعنيني والأستاذ الدكتور عمر أحمد همشري والدكتور حسين محمد المومني والـدكتور يزيد عيسى السورطي على تفضلهم بمناقشة هذه الرسالة وإثرائها بنير أفكارهم وواسع علمهـم وسداد رأيهم .

كما ولا يفوتني أن أزجي خالص امتناني إلى كل الأصدقاء الذين قـدموا لـي العـون والتشجيع .

الباحث

قائمة المحتويات

الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي

إعداد

سليمان تكروري محمد كايد

المشراف

الأستاذ الدكتور عبد ا   زاهي الرشدان

ملخص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن جوانب الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي لبيان إسهاماته في مجال التربية والفكر التربوي ، وتبين مدى امتداد أفكاره في الفكر التربوي المعاصر ، وبالتحديد حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي : ما الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي ؟ والذي تفرع عنه عدة أسئلة تدور حول أثر الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والمنطلقات الفكرية التي استند إليها في أفكاره التربوية وطبيعة العلم ، وأقسامه وأهدافه ، ووسائل وأساليب تحصيله وصورة الآداب والعلاقات التربوية بين أطراف العملية التعليمية / التعلمية ومدى اتفاق أفكاره التربوية واختلافها مع الفكر المعاصر.

وللإجابة عن أسئلة الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي مستعيناً بالوصف والتحليل لما تسنى له النظر فيه من المتوافر من كتب ابن عبد البر وما كتب حوله .

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها استناد أفكار الإمام التربوية إلى عقيدته الدينية المرتبطة بالمنهج الفكري الإسلامي الذي كان عليه السلف من أهل السنة والجماعة وإن تأثرت بعض أفكاره بالفلسفات الأخرى التي نقلت إلى العربية وخاصة الفلسفة اليونانية ، كما أظهرت الدراسة أصالة منهجه من خلال تقسيمه للعلوم على أساس رأسي واعتبار العلوم الدينية رأس العلوم ، وأظهرت الدراسة اهتمامه بالآداب والأخلاق الإسلامية وضرورة تقديم التربية على التعليم ، كما وأظهرت الدراسة توافقاً بين أفكاره التربوية والفكر التربوي المعاصر فيما

يخص التدرج في الحصول على المعرفة والاهتمام بالفروق الفردية والتفكير التأملي والمساءلة ومحاسبة الذات ، كما أكدت الدراسة على وجوب الاهتمام بمبدأ الإلزام في التعليم و ضرورة تطبيق مفاهيم التربية المستمرة و تعميمها على كافة الناس وفي كافة المناطق ، والانطلاق بجعل التعليم فريضة على كل فرد و تقديمه مجاناً لكل الناس بغض النظر عن كافة الاعتبارات ، كما أظهرت الدراسة اختلافاً مع الفكر المعاصر فيما يخص الهدف و الغاية من التعليم فهو بنظر الإمام ديني هدفه كسب مرضاة ا و تحقيق السعادة في الدنيا و الآخرة ، بينما هو في التربية المعاصرة دنيوي هدفه سعادة الفرد في الدنيا ، و قد اختتمت الدراسة بعدد من التوصيات .

الفصل الأول

الدراسة

خلفيتها وأهميتها وأهدافها

الدراسة خلفيتها وأهميتها وأهدافها

المقدمة

تزخر الحضارة العربية الإسلامية بالعديد من المفكرين والعلماء في مختلف المجـالات وشتى التخصصات ، حيث كان لهذه الحضارة إسهامات عديدة أمدت الفكر الإنساني بالكثير من الميزات وعلى مختلف الصعد ، و بالعديد من المفكرين التربويين الذين كانـت لهـم إسـهامات عديدة في خدمة الإسلام والمسلمين وسائر الأمم والشعوب الذين واكبوا تلك الحضارة العظيمـة في عصورها الزاهرة و تشير كافة الدراسات إلى أن فترة الازدهـار الثقـافي عامـة والفكـر التربوي خاصة تجلت في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، حيث أسهمت مختلف الاتجاهات الفكرية في بناء ثقافة تربوية غزيرة العطاء ، غنية المحتوى ، واضحة الهدف ، و مكتوبة باللغة العربية مما يؤكد ذلك أن جميع الأقطار العربية والإسلامية دون استثناء لم تشهد بعد هذه الفترة أي ازدهار تربوي مماثل .

تأتي أهمية الدراسات في الفكر التربوي الإسلامي في الوقت الحاضر نتيجـة اسـتفحال الغزو الثقافي في جسد الأمة حتى كاد يخرجها عن عقيدتها وماضيها المجيد ، وأصبح يضـعها في موقف المقلد التابع ، وظهرت العديد من الدعوات التي تدعو إلى استيراد الأفكار ، واحتذاء النماذج الغربية تارة والشرقية تارة أخرى وخاصة في المجال التربوي ، وهذه النماذج المعتمدة على فكر مادي لا تتناسب مع العقيدة الإسلامية وقيمها ، وكانت النتيجة وقوع العديد من أبنـاء هذا الجيل في صراع بين الماضي الذي يسكن جنباته ، وبين الحاضر البرّاق اللامع ، وفي ظل هذا الاستفحال ظهرت العديد من الدعوات المختلفة التي تدعو إلى ضرورة العودة إلى التـراث الأصيل والكشف عن جوانب هذا الفكر للإفادة منه في الوقت الحاضر من أجل الإسـهام فـي تحصين الجيل بالقيم السامية والأخلاق النبيلة التي جاء بها الإسلام .

كما لا بد من الإشارة إلى أن الحاضر التربوي متأزم يشكو من عدة قصورات ونواقص وعلى رأسها الإطناب المعرفي ، والحشو المعلوماتي اللذان يميزان محتوياته وبرامجـه علـى حساب الانتقاء الكيفي للمعارف والمعلومات وتدبرها المعرفي الهادف ، وكذلك المشاكل الحادة التي تواجه كل من لهم علاقة بالعملية التعليمية / التعلمية وخاصة فـي المجـالات السـلوكية والخلقية، ويعود سبب ذلك كله إلى كون هذه البرامج والمحتويات حتى وإن لـم تكـن منقولـة بالحرف عن مناهج وتربيات المجتمعات الغربية البعيدة كل البعد عـن المشـكلات والتحـديات

الحقيقية التي تواجه مجتمعنا العربي والإسلامي فهي على الأقل منسوخة بطريقة مختزلة ومجتثة من السياق الذي أفرزها أو نسخت منه ، وهذه في الواقع نظرة متناقضة مع النظرة المألوفة التي ترى التاريخ الفكري عامة ، والتربوي خاصة كخط مستقيم بين الماضي والحاضر (العروي، ١٩٨٣) .

تمثل مشكلة الفكر التربوي في الوقت الحاضر واحدة من التحديات الكبرى التي كانت وما تزال تواجه العديد من البلدان وفي مقدمتها البلدان العربية والإسلامية ، ولأن مصير كافة هذه الشعوب والمجتمعات في هذا القرن الجديد وسبيلها إلى النهضة المرتقبة يتوقفان إلى حد كبير على مدى نجاعة منظومتها التعليمية واستراتيجياتها التربوية في مجال إعداد الإنسان وتأهيله لمواكبة تطورات العصر ومسايرة تحدياته الكبيرة ، وخاصة في مجال الثورة الرقمية وتكنولوجيا المعرفة والإعلام ، فالفكر التربوي يشكل في مدلوله الحضاري شهادة صادقة على العصر بشتى أوضاعه المجتمعية وأحواله الإنسانية ، وأداة أساسية للتنمية والتحديث ، ويشار هنا إلى أن غياب الإطار المرجعي الموحد سيؤدي بالتربية إلى الابتعاد عن الوحدة والأصل والشكل ، وسيستقر اجتهاد كل فرد على قدر فهمه ومراده ومبتغاه بعيدا عن وحدة المنطق والمسار ، وحتى تقوم التربية العربية بالدور المأمول فلا بد من قيام تربية عربية أصيلة نابعة من ثقافة الأمة وتراثها ، تأخذ بمتطلبات العصر منفتحة على الثقافات الأخرى تستفيد من إنجازاتها في مختلف مجالات الحياة ، وخاصة في المجال التربوي والعلمي والتكنولوجي . و إن أمرا كهذا يعد ضرورة ملحة في ظل حقيقة ساطعة تزداد خطورتها يوماً بعد يوم ، وهي تقاصر الوعي في التربية الإسلامية وضعف فاعليتها في نفوس المسلمين ، وهذا يتطلب منا نشاطاً علمياً حضارياً لوضع إطار تربوي مرجعي مستمد من عقيدة الأمة ، وتراثها المجيد يستوعب كل متطلبات العصر ويواكب مسيرة التقدم العلمي .

وإذا كان حاضر هذا الفكر يشكل انحطاطاً بالنسبة لماضيه ، فإن مستقبل هذا الفكر يجب أن يرتبط ارتباطاً مباشراً بالماضي بقصد استدراك وتعويض ما ضاع في الفترة الفاصلة من الماضي الحافل بالنظريات ، والاتجاهات التربوية حيث توجد سلسلة من المباحث التربوية الأصيلة التي صاغها مفكرون أمثال : ابن سحنون والقابسي وابن حزم وابن عبد البر وأبي حامد الغزالي وابن سينا وابن نصير وابن جماعة والسمعاني ، حول تعليم الناشئة وتربيتهم وإعدادهم للمستقبل .

إن للإسلام منهجاً متكاملاً للتربية ، وهو منهج فريد إذا ما قيس بالمناهج الوضعية ، وهو إن التقى مع بعضها في التفصيلات والفروع ، إلا أنه يختلف معها في القواعد والأصول وهو منهج متكامل يتميز بالشمول والواقعية (مدكور،١٩٩١) وهو عبارة عن تغير شامل في مختلف مناحي الحياة ، وهو فكر قائم على التميز والوضوθ والتعقل ، لا مثيل له من حيث الاهتمام بالعقل وكذلك اهتمامه بالعلم الذي يجمع وظائف العقل مقدراً تقديراً عالياً لكل من يتصف به . فقد أشار علماء الفكر أن " العقل أساس النقل إذ لو لم يثبت وجود ا بالعقل ولم يثبت صدق النبي بالعقل ما ثبت بالوحي (القرضاوي ، ١٩٩٦) .

و يعد موضوع المفكرين التربويين من الموضوعات الهامة التي لاقت إقبالا واضحاً واهتماماً كبيراً من قبل الباحثين والدارسين بهدف الكشف عن جوانب الفكر التربوي لدى كل واحد منهم ، ومدى امتداد أفكارهم في الواقع المعاصر اتفاقاً واختلافاً ، وتعتبر هذه الدراسات جزءاً أساسياً ، ورديفاً قوياً للتربية الإسلامية ، والتي تشكل العنصر الأساس للمجتمعات الإسلامية ، وتمثل بمفهومها العام نظاماً له أسسه العقدية ، والمعرفية والنفسية والاجتماعية وله نظرياته وإجراءاته الميدانية التي يتم اعتمادها منهجاً لتربية الفرد ، وتكوين المجتمع ، كما أنها وفق هذا المفهوم تعد مصدراً من مصادر حفظ هوية الأمة ، ومعيناً تربوياً يوجه التربية توجيهاً إسلامياً يقيها مزالق الانحراف والضياع (الجلاد ، ٢٠٠٠) .

يلاحظ الباحثون في ميدان الفكر الإسلامي في وقتنا الحاضر قلة أعداد أعلام التربية الإسلامية سواء في العصور الزاهرة أو في عهود التخلف والجمود وأن أغلب الدراسات قد تعرضت لعدد محدود منهم ، تفاوتت إسهاماتهم الفكرية و التربوية لكنها لم تحظى بدراسة وافية للجانب الفكري التربوي عندهم ، وهذا يؤكد ضرورة بذل الجهود الكبيرة للإحاطة بجوانب هذا الفكر ، من خلال تسليط الضوء على الأعلام الذين كان لهم إسهامات واضحة و جلية في مجال الفكر التربوي الإسلامي (غانم ، ٢٠٠٣) ، و تأتي هذه الدراسة لتتناول واحداً من أعلام هذا الفكر في القرن الخامس الهجري و هو الإمام ابن عبد البر الأندلسي .

ترجمة حياة الإمام ابن عبد البر الأندلسي

ابن عبد البر الأندلسي هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام وكبير علماء الأندلس ومحـدثيها حافظ المشرق والمغرب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ابن ربيعة بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نـزار بـن معد بن عدنان ، القرطبي الأندلسي (الحميدي ، ١٩٨٣) ، المعروف بابن عبد البـر ، الملقـب بجمال الدين ، وهو عربي الأصل يلتقي مع النبي عليه السلام في نزار بن معـد بـن عـدنان يستنتج من نسبه إلى قرطبة ، أنه أندلسي ، وأن عائلته كانت تسكن قرطبة (يعيش، ١٩٩٤) .

ومن أشهر من ترجم لـه الإمام شمس الدين الذهبي في كتابه "سـير أعـلام النـبلاء" وكتابه " تذكرة الحفاظ " ، وكذلك أحمد بن محمد الملقب بابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيـان وأنباء أبناء الزمان" ، وأحمد بن يحي بن عميرة المكنى بالضبي في كتابه " بغية الملـتمس فـي تاريخ رجال وعلماء الأندلس " ، وأبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن كثير في كتابـه " البدايـة والنهاية " ، والإمام أبو الفداء عماد الدين إسماعيل في كتابه " المختصر في أخبار البشر" ، وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد في كتابه " شذرات الذهب في أعيان علماء المذهب " ، وخير الـدين الزركلي في قاموسه لتراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين وكذلك الإمام مصطفى بن عبد الله الرومي المكنى بحاجي خليفة في كتابه " كشف الظنـون" وبرهـان الدين إبراهيم بن علي اليعمري في كتابه " الديباج المذهب في أعيان علماء المـذهب" ، وعلـي أحمد بن سعيد القرطبي الملقب بابن حزم في كتابه " جمهرة أنساب العرب " ، وجـلال الـدين السيوطي في كتابه " تذكرة الحفاظ " ، والبغدادي إسماعيل باشا في مصنفه " هدية العارفين فـي أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون" وغيرهم .

وليس هناك اختلاف في نسبه وشهرته سوى ما أورده بعضهم من اختلاف حول قبيلته حيث أشار بعض الدارسين إلى أن النمر بن قاسط في حمير اليمانية ، فرد ابن عبد البـر هـذا الرأي بقوله : " والصحيح الذي عليه جماعة أهل العلم بالأنساب أن النمر بن قاسط في ربيعـة " (ابن عبد البر ،١٩٨٥) ، وكذلك فإن كنيته التي اشتهر بها هي " أبي عمر " وذلك يخالف فقط ما وقع بيع بعض النساخ فذكر كنيته " بأبي عمرو" وهذه الرواية تخالف الرواية الصحيحة مما ثبت نقله ، كما وقع ذلك في القاموس المحيط (الفيروزبادي ،١٩٥٢) .

ولادته ونسبه :

أما ولادته فكانت سنة ثمان وستين وثلاثماية للهجرة في يوم الجمعـة وإمـام المسـجد يخطب في مدينة قرطبة (الضبي ، ١٩٩٧) ، وقد تناقضت الروايات حول مولده ففي حين تذكر المصادر أنها كانت في ربيع الآخرة سنة ثمان وستين وثلاثماية من الهجـرة . تـرى مصـادر أخرى أنها كانت في سنة اثنتين وستين وثلاثماية للهجرة ، وهي رواية منقولة عن محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ،٤ĔĔهـ) ، وهو أحد تلاميذه المشهورين (الحميدي ، ١٩Ĕ٣) ، ويـرى أغلب من ترجموا لـه أن الرواية الأولى هي الأصح كونها متواترة، والرواية الثانية مـردودة كون تلميذه الحميدي قد ترك الأندلس ورحل إلى بغداد وتوفي بها ، و لعل ذلك كان سبباً للخطأ الذي وقع فيه (جاسم ، ١٩ĔĔ) ، كما وجد اختلاف في شهر ولادته فتـذكر معظـم الروايـات والمصادر التاريخية أنه في ربيـع الآخـرة مـن سـنة ثمـان وسـتين وثلاثمايـة للهجـرة (ابن كثير ١٩٩٦) و تذكر مصادر أخرى أنه في ربيع الأول من سنة ثمان وستين وثلاثمايـة للهجرة (الذهبي ، ٢٠٠١) ، إلا أن كافة الروايات أشارت إلى الأولى ولـم تـذكر الثانيـة إلا روايتان :

- الأولى عن صاعد بن أحمد التغلبي الطليطلي (ت،٤٦٢هـ) حيث قال :" ولد - ابـن عبـد البر- في شهر ربيع الأولى سنة ثمان وستين وثلاثماية نقل ذلك أبو الطاهر السلفي مقدمـة كتاب "الاستذكار"(ابن عبد البر، ١٩٩Ĕ) .
- الثانية أوردها الحافظ شمس الدين الذهبي (ت،٧٤Ĕهـ) في كتابه سير أعلام النبلاء وقال : " مولده – أي ابن عبد البر – في سنة ثمان وستين وثلاثماية في ربيع الآخرة ، وقيل جمادى الأولى " (الذهبي،٢٠٠١) .

يمكن القول بأن الروايتين مردودتان كون الأولى خالفت كافة الروايات ، وخاصة رواية تلاميذه المقربين ، وكون الثانية رويت بصيغة التضعيف فيما رويت الأولى بصـيغة التـرجيح وكذلك فإن الذهبي اعتمد الرواية الأولى في معظم مصنفاته ومنها "تـذكرة الحفـاظ" و"تـاريخ الإسلام" وغيرها ، ويخالف أيضاً رواية الذهبي ما نقله طاهر بن مفوز (ت، ٤Ĕ٤ هـ) صاحب ابن عبد البر : "سمعت أبا عمر يقول : ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من ربيـع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثماية...) (ابن بشكوال ، ١٩٩٤) .

والنمر بن قاسط التي ينتسب لها الإمام ابن عبد البر قبيلة من قبائل العرب ، وهي قبيلة من قبائل ربيعة وبطن من بطونها ، وتشير أصحاب الروايات باشـتهارها بالفصـاحة والبلاغـة والشجاعة والكرم ، حتى أصبح كل من ينتسب إليها فصيحاً بليغاً ، وتشير المصادر التاريخيـة إلى أن هذه القبيلة العربية شأنها شأن مثيلاتها من القبائل العربية قـد شـاركت جيـوش الفـتح الإسلامي في نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية ، وكانت بلاد الأندلس إحدى الجهـات التـي تطلع لها المسلمون لنشر الإسلام حيث وصلتها جيوش الفتح وكانت قبيلة النمر بن قاسط إحـدى القبائل العربية التي كان لها شرف المشاركة في فتح الأندلس (ابن حزم،١٩٦١) .وقـد اتخـذت هذه القبيلة من حصن وضاح من أعمال كورة ريّة "RAIYO" منزلا لها ، ولما استقرت أحوال الأندلس بدأ أبناء هذه القبيلة بالتنقل في مدن الأندلس طلباً للعلم أو التجارة (جاسـم ، ١٩٨٨) وفي محاولة لتتبع تاريخ عائلة الإمام ابن عبد البر لا شيء على ما يبدو لفت انتباه المـؤرخين قبل جده ، لذلك افردوا لـه ولوالده تفصيلاً لحياتهم ودورهم في الحياة السياسية والعلميـة فـي الأندلس ، فجده محمد بن عبر البر بن عاصم النمري كـان عابـداً وزاهـداً ملازمـاً للعبـاد المعروفين بالزهد والورع والتقوى ، كان كثير الانقطاع للعبادة ، اهتم بتلقي العلـوم وخاصـة علوم القرآن والتجويد (ابن الفرضي، ١٩٨٨) .

وأما والده فهو عبد الله بن محمد من فقهاء قرطبة المعروفين ولد بها في سنة ثلاثمايـة وثلاثين للهجرة (الحميدي ، ١٩٨٣) ، نشأ وترعرع في أجوائها العلمية في كنف أسرته وكـان والده علماً من أعلام قرطبة وفقيهاً من فقهائها المعروفين من أهل العلم والأدب والبلاغة، كان ذا صلة قوية بالعلماء ممـا مكنـه مـن الأخـذ عـنهم حتـى بلـغ فـي ذلـك شـأواً عظيمـاً (ابن بشكوال، ١٩٩٤) (ابن الآبار ، ١٩٨٥) .

وقد تتلمذ والده على عدد من علماء عصره ومنهم : أحمد بن دحيم (ت،٣٣٧هـ) وأحمد ابن سعيد بن حزم (ت،٣٥٠هـ) ، وأحمد بن مطرف (ت،٣٥٢هـ) ، ومحمـد بـن معاويـة القرشي(ت،٣٥٨هـ) (ابن الفرضي، ١٩٨٨) . وهؤلاء جميعاً من علماء قرطبـة المشـهورين وبذلك تتضح لنا الثقافة الرصينة التي تلقاها عن هؤلاء الأعلام مما جعل العلماء يستعينون به في حلقات درسهم وخاصة في مجال القراءات لما تميّز به من صوت جهوري ، فكان يقـرأ علـى الشيوخ ويسمع الناس بقراءته (الحميدي، ١٩٨٣) وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يتمتـع بمكانـة سياسية مما جعل الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر يختاره في أهل الحل والعقـد

من الذين شهدوا على العهد الذي كتبه لابنه هشام - الملقب بالمؤيـد - بالخلافـة مـن بعـده (ابن الخطيب، -١٩) وكانت وفاته سنة ثلاثماية وثمانين للهجرة (ابن الآبـار ، ١٩٦٣) وهـذا يؤكد أن ابن عبد البر لم يسمع عن والده شيئا فقد فرقهما الموت قبل أن يصل الابن إلـى سـن التعليم لذلك اقتصرت رواياته عن والده بالوجادة – سيأتي توضيحها - فتراه يقول :" وجدت في كتاب أبي وجدت في أصل سماع أبي – رحمه ا - بخطه " (ابن عبد البر، ١٩ĔĚ) .

النشأة والبدايات :

لقد كان للبيئة العلمية التي نشأ فيها ابن عبد البر أثر كبير علـى شخصـيته ، وتحديـد وجهته وجهة علمية ، وكان لمنزلة جده ووالده الأثر الكبير في بنائه العلمي الأخلاقـي ، وقـد أجمع المؤرخون ً على أنه ولد في الأندلس بعاصمتها (قرطبة) تلك المدينة التي كانـت محـط أنظار العلماء ومركزاً من مراكز الإشعاع العلمي ،في شتى أصـناف العلـوم : الأدب والفـن والموسيقى والفلك والرياضيات ، كما كانت تتجه نحو بغداد وتحاول مجاراتهـا فـي مختلـف النواحي الثقافية (علاب ، ١٩٦٦) ، نشأ وترعرع فيها ، حيث " كانت مدينة عظيمـة وسـط الأندلس وبها كان ملوك بني أمية ، ونبع النبلاء من ذلك الصقع ، وهي أعظم مدن الأندلس في كثرة الأهل وسعة الرقعة " (الحموي ، -١٩) وكان لوالدته الدور الأكبر في رعايته وتعليمـه فهي التي كفلته صغيراً ، وعلمته شأنه شأن نظرائه من أبناء العائلات الأندلسية الغنية والمترفـة حيث كانت أسـرته هـي مدرسـته الأولـى التـي تلقـى فيهـا مبـادئ علومـه وتربيتـه (ابن بشكوال، ١٩٩٤) .

تشير المصادر التاريخية إلى أن ابن عبد البر بدأ بتلقي علومه في وقت مبكر وهو لـم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وأنهى تعليمه الأول في سن صغيرة جداً (جاسم، ١٩ĔĚ) وهذا يؤشر على الاهتمام الكافي الذي لقيه من أسرته وهو صغير السن . ولم تذكر المصادر المكـان الذي تلقى فيه تعليمه الأول ، ولكنه على الأغلب كان يرافق والده إلى حلقات الدرس التي كـان يعقدها أو يشارك بها فبينما كان الأب يقوم بالتدريس كان ابن عبد البر ينصرف إلـى حلقـات التأديب التي كان يعقدها في جانب من جوانب المسجد ، ولعله كان يذهب إلـى دور المـؤدبين الذين اختصوا بتأديب وتعليم أولاد الكبار على عادة العائلات الأندلسية المعروفة . وكل مـؤدب حسب اختصاص العلم الذي يؤدب به (ابن بشكوال،١٩٩٤) .

ويشار هنا إلى أن التعليم في الأندلس مارًّ في المراحل التالية :

١. **مرحلة التعليم الأولى** : تبدأ هذه المرحلة عند وصول الطفل سن التمييز وتمتد حتى يصـل إلى مرحلة الحلم ، وكان ذلك يتم بعيداً عن المسجد ، وربما كان يتم ذلك في دور المـؤدبين والمعلمين أو في أطراف الأسواق تنزيهاً للمسجد من الصبيان (الشـلبي، ١٩٦٦) ، فـإذا نضج هؤلاء الصبيان نقلوا إلى المسجد ، والمنهج الدراسي الذي كان يُعلّم في تلك الفترة هو حفظ كتاب ا ، وتفهمه ، وتعلم كل ما يعين على فهمه ، ويكون المتعلم قد تمكن من بعض العربية والحساب والشعر وغيرها (ابن خلدون، ١٩٧٨) ، وقد أجمع المؤرخـون أن لهـذه المرحلة التعليمية أهمية كبيرة في حياة الأندلسيين عامة حيث أصبحت الأمية نادرة إلى حد كبير ، ويشهد على ذلك ما يقوله (دوزي) أحد المستشرقين الهولنديين البارزين : إنه كان في أسواق قرطبة باعة عنب وتين يستطيع الواحد منهم أن يقرأ لك من الذاكرة كتاب " معـاني القرآن لأبي جعفر النحاس " (عيسى ، ١٩٨٩) .

٢. **مرحلة التعليم الثانية** : يتلقى فيها الطفل تعليماً أوسع وأشمل ، فيصبح المتعلم قـادراً علـى تلقي شروح القرآن وتفسيراته ، وقراءته ، وكذا الحديث والآراء الفقهية ، تبدأ هذه المرحلـة ببلوغ المتعلم سن البلوغ ، وفيها يستكمل المتعلم علومه ، وخاصة العلوم المعينة على فهـم القرآن واستنباط أحكامه كالفقه وأصوله ، ومعرفة الناسـخ والمنسـوخ ، وعلـم الحـديث والسيرة، وأما من أراد أن يصبح إماماً فعليه استكمال علومه (ابن خلدون،١٩٧٨) .

٣. **مرحلة التعليم الثالثة :** وأما مرحلة التعليم الثالثة فهي مرحلة الانطلاق في مجال التعلم على كبار الشيوخ والعلماء والفقهاء ، وهي غير مقيدة بزمان أو مكان وليس لها نقطة توقف أو انتهاء ، بل هي استمرار في تلقي العلوم حتى يصبح المتعلم من كبار الشيوخ أو الفقهاء في مجال من المجالات (عبد العال،١٩٧٨) ، ومن أهم أماكن الدراسة في هذه المرحلة : المساجد ، ومنازل العلماء ، ودور الخلفاء ومجالسهم ، وهذه المرحلة تشبه إلى حد كبير الدراسات العليا في وقتنا الحاضـر (عيسى، ١٩٨٢) ، وكان أبرز ما يميز هذه المرحلة سعي المتعلمين للوصول إلى أقصى ما يمكن تحصيله من العلوم ، مستخدمين أسلوب الرحلة في طلب العلم سبيلاً لتحقيق تلك الغاية وخاصة باتجاه بلدان المشرق (عبد العال ، ١٩٧٨).

لقد كان للمرحلة التاريخية التي نشأ بها ابن عبد البر ، الأثر الكبير على حياته وشخصيته ، فقد انتعشت الحياة الثقافية والعلمية بكل جوانبها حيث عاţ معظم سني عمره في القرنين الرابع والخامس اللذين اعتبرا بحق مرحلة العطاء في الحضارة العربية عامة وفي الأندلس خاصة ، وكانا من أبرز عصورها الزاهرة حيث انتعشت الحياة ، واعتبرت تلك الفترة فترة ازدهار في مختلف العلوم والتخصصات (يعيţ ، ١٩٩٤) .

بدأ ابن عبد البر الأندلسي دراسته العليا يطلب النحو والحديث والقرآن في أواخر الثمانينيات من القرن الرابع على يد شيخه عبد العزيز بن أحمد الأخفţ (ت،٤٠٣هـ) (ابن الفرضي، ١٩ĔĔ) ثم تحول عنه إلى سعيد بن نصر(ت،٤٠٦هـ) ثم على محلي ابن عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت، ٤٢٩هـ) المعروف بابن الملوي حيث لازمه يقرأ عليه الفقه (الحميدي، ١٩Ĕ٣) ، كما درس الفقه والأدب وعلم الرجال على زميله وشيخه أبو الوليد ابن الفرضي الذي لازمه حتى مقتله سنة ثلاث وأربعماية للهجرة في أحداث قرطبة (ابن الفرضي، ١٩ĔĔ)، وقد وصفه ابن عبد البر بقوله :" كان فقيها عالماً في جميع الفنون في الحديث والفقه والأدب وعلم الرجال ، وله تواليف حسان ، وكان صاحبي ونظيري حدّث عن أكثر شيوخه ، وأدرك من الشيوɑ ما لم أدركه أنا " (ابن بشكوال، ١٩٩٤) (الحميدي ، ١٩Ĕ٣) (عياض ، -١٩) .

ومن المحدثين الكبار الذين أخذ عنهم الحديث وعلم الرجال ، ونقل عنهم في موسوعته الكبرى : "التمهيد والاستذكار" ،عبد الوارث بن سفيان(ت، ٣٩٥هـ) ، وخلف بن قاسم (ت،٣٩٣هـ) وعبد ا يوسف بن الفرضي (ت،٤٠٣هـ) ، وأحمد بن قاسم الطاهراتي ، وخلف بن سعيد (ت، ٤٠٣هـ) ، والقاضي يونس بن عبد ا (ت، ٤٢٩هـ) ، (الحميدي، ١٩Ĕ٣) ومن الكتب المشهورة التي قرأها ودرسها على مشايخه " الموطأ " للإمام مالك ، و "المدونة الكبرى" للفقيه المعروف المغربي سحنون ، و "المختصر" لعبد ا بن الحكم ، و "المبسوط" لإسماعيل بن إسحق ، و "الجامع" لأبي الفرج ، و "الواضحة" لعبد ا الجرجاني ، و "غرائب حديث مالك" للقاسم بن اصبع ، و "مصنف ابن وضاθ" ، و "التاريɑ الكبير" لأحمد بن سعيد و "التاريɑ" لجعفر بن جرير الطبري ، و "كتاب المنتقى" لابن الجارود ، و "المعارف" لابن قتيبة وغيرها (يعيţ ، ١٩٩٤) .

وأما ما يتعلق برحلاته فلم تذكر المصادر التاريخية أن ابن عبد البر قد غادر الأندلس ولم تتح له فرصة الارتحال في طلب العلم كغيره من علماء الأندلس الذين رحلوا إلى بلاد المشرق لطلب العلم ، واكتفى بالسماع من العلماء الذين رحلوا إلى الشرق وعادوا بعلوم جديدة أو أولئك الذين أخذوا ممن رحل منهم (الضبي ، ١٩٩٧) ، كذلك فإن الظروف السياسية لم تساعده على البقاء في قرطبة وخاصة بعد الفتنة التي عصفت بقرطبة ، فتركها مرتحلاً إلى المدن الأندلسية شرقاً وغرباً . وكانت رحلته الأولى إلى إشبيلية سنة ٣٩٩هـ إثر سقوط دولة العامريين ، وتأجج القتال بين البربر وأهل قرطبة ، حيث استمر القتل والنهب ولم ينج أحد من آثارها السيئة (جاسم، ١٩٨٤) .

وقد اختلف في الجهة التي توجه إليها ففي حين أشارت بعضها إلى بطليوس ، أشارت أغلب المصادر إلى إشبيلية حيث كان يعيش صديقه القاضي إسماعيل بن عباد عميد العائلة العبادية ، (جاسم، ١٩٨٤) ، ولما لم ترق له الحياة في إشبيلية ولم يتمكن من ملاقاة العلماء الذين كان يريدهم تركها متوجهاً إلى دانية وهناك التقى مجاهد بن عبد الله العامري (ت، ٤٣٦هـ)(ابن بشكوال، ١٩٩٤) ، الذي كان يعتني بالعلماء وخاصة علماء القراءات ، كما التقى بأبي عمرو الداني المقرئ فأخذ عنه ، وفيها أحس بسعادة غامرة وألف خلال وجوده فيها العديد من كتبه ومصنفاته (يعيش ، ١٩٩٤) .

استمر الإمام يؤلف ويراجع ما ألف ويصحح بعض مؤلفاته ، وخاصة كتابه " التمهيد " وقد تسابق الطلاب على رواية كتبه ، وفي ظل مجاهد العامري استمر بقاؤه في مدينة "دانية " مشتغلاً بالتدريس والتأليف حتى توفي مجاهد وخلفه ابنه علي الملقب بـ" إقبال الدولة " ، وذلك في سنة أربعماية وست عشر للهجرة (ابن عذارى، ١٩٨٣) . ولعل بعض تصرفاته تجاه العلماء تركت أثراً كبيراً في نفس الإمام ابن عبد البر مما اضطره لترك دانية سنة أربعماية وسبع وثلاثين للهجرة وخاصة بعد سماعه بتولي المظفر بن الأفطس (ت، ٤٥٦هـ) ولاية بطليوس بعد وفاة والده عبد الله بن سلمة (ت، ٤٣٧هـ) (ابن عذارى، ١٩٨٣) ، ونمى إلى مسامعه اهتمامه بالعلم والعلماء وكونه كان شاعراً وأديباً وعالماً وبطلاً شجاعاً (ابن عذارى، ١٩٨٣) .

لقي الإمام ابن عبد البر اهتماماً كبيراً من المظفر ، فعقد له مجلساً علمياً يحضره كبار رجال الدولة غلبت عليه السمة الأدبية والثقافية لشغف المظفر بهذا اللون من العلوم

(المقري، ١٩Ě٦) ، وهذه الأجواء الأدبية شحذت همته في الأدب والثقافة وكان يؤنس مجالسيه بما يلقيه عليهم من نوادر الأخبار والشعر والعلم مما جعله وأخيراً يجمع كل ذلك في كتابه الذي سماه " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس " وقدمـه هديـة إلـى المظفـر (الحميدي ، ١٩Ě٣) .

ومع بداية الصراع الذي وقع في تلك الفترة بين مملكة بطليوس وإشبيلية ، وفي خضـم الصراع الذي فني فيه كثير من الناس ، وانقلاب المظفر على مبادئه وخاصة تقديمه للنساء على الرجال ورغبته في شراء الجواري على غير عادته ، و قد أدهş ذلك الإمام ابـن عبـد البـر وقوبل بامتعاض شديد من وجهاء بطليوس مما حدا بالإمام مغادرة بطليوس والعودة ثانيـة إلـى الرحيل وهذه المرة إلى بلنسية شرقاً (ابن بشكوال ،١٩٩٤) انتهى به الأمر في مدينـة شـاطبة حيث اتخذ فيها منزلا أصبح محجاً لطلبة العلم إلى أن وافته المنية سنة أربعماية وثلاث وسـتين للهجرة كما أشرنا (ابن بشكوال ،١٩٩٤) .

أما ثقافته فقد تميزت بأنها ثقافة موسوعية ، متعددة الجوانب ، وقد كانت الفترة التي نشأ فيها من أخصب الفترات انتعشت فيها الثقافة الإسلامية بمختلف جوانبها ، واعتبرت بحق مرحلة العطاء في الحضارة الإسلامية في الأندلس ، وتميزت ثقافة الإمام بتنوعها نتيجة لتعدد روافدها، وكان للمسجد ودور المؤدبين ومجالس الخلفاء والأمراء أثر واضح على تنوع هـذه الثقافـــة (جاسم ، ١٩ĚĚ) ، فقد تعلم الفقه والحديث والتاريخ والأدب والفكر وغيرها ، ولـذلك خلـف تراثاً ضخماً في مختلف العلوم والتخصصات فضلاً عن العلوم الأساسية التي برع فيها وهـي في علوم القرآن والسنة واللغة والأدب والتاريخ ، وأضاف إليها علوماً أخرى ، رأى أنه يجمـل بالعالم أن يأخذ قسطاً منها وجعلها من العلوم الضرورية من ذلك علم الجغرافيا حيـث يقـول : " ومن الضروري أيضـاً علـم النـاس أن فـي الـدنيا مكـة والهنـد ومصـر والصـين " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) . ولم يكتف بذلك فقد أضاف أنه من المطلوب معرفة علـم الجغرافيـة البشرية وعلم الأجناس بقوله:" وبلداناً عرفوها وأمم قد خلت " (ابن عبد البـر ، ١٩٩٦) . كمـا حث الإمام على تعلم الطب والحساب والهندسة والتنجيم لفوائد هذه العلوم للأمة ، واعتبرها تأتي في مرتبة ثانية بعد علوم الشريعة . والطب عنده علم واسع يشمل علوماً أخرى فـي عصـرنا الحاضر يقول:" وأما الطب فلفهم طبائع نبات الأرض وشجرها ، مياهها ومعادنها وخواصـرها، وطعومها , وروائحها ، ومعرفة العناصر والأركان وخـواص الحيـوان ، وطبـائع الأبـدان

والغرائز، والأعضاء والآفات العاطرة ، وطبائع الأزمان والبلدان ، ومنافع الحركـة والسـكان ودروب المداواة والرفق والسياسة " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

والحساب عنده معرفة الأعداد والقسمة وغيرها ، يقول :" فالصحيح عندهم منه ، معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور ومعرفة حمل الأعداد ... والحساب علـم لا يكاد يستغني عنه ذو علم من العلوم " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) ." والهندسة تختص بمعرفة الخط والدائرة والنقطة وإخراج الأشكال بعضها من بعض وما شاكل ذلك" (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

والتنجيم عنده هام للأمم جميعا مبيناً الفرق بينه وبين علم التنجيم المنهي عنه يقول :" أما التنجيم فثمرته وفائدته عند جميع أهل الأديان ، جرية الفلـك ، ومسـير الـدراري ، ومطـالع البروج، ومعرفة ساعات الليل والنهار ، وقوس الليل من قوس النهار في كل بلد وفي كل يـوم وبُعد كل بلد عن خط الاستواء ، ومن الممر الشمالي والأفق الشرقي والغربي ومولـد الهـلال وظهوره ، واطلاع الكواكب والأنواء وغيرها ، ومشيها واسـتقامتها ، وأخـذها فـي الطـول والعرض، وكسوف الشمس والقمر ووقته ومقداره في كل بلد ، ومعنى سني الشـمس والقمـر وسني الكواكب "(ابن عبد البر، ١٩٩٦) . ومع ذلك فقد ذم بعض أنواع التنجيم التـي يفعلهـا بعض الناس فقال :" والمتخرصون بالنجامة كالمتخرصين بالفياقة والزجـر ، وخطـوط الكـف والنظر بالكف ، وفي مواقع قرض الفأر ، وفي الخيلان ، والعلاج بالفكر ، وملك الجن ، ومـا شاكل ذلك ، مما لا تقبله العقول ، ولا يقوم عليه برهان ، ولا يصح من ذلـك كلـه بشـيء " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

إضافة لذلك فقد كان لثقافة ابن عبد البر جوانب أخرى فقد كان مشغوفاً بالأدب عمومـاً شعره ونثره ، ظهر ذلك في استشهاده بالعديد من أقوال الشعراء ، وخاصة فـي كتابـه بهجـة المجالس الذي ضمنه مادة ضخمة من الأدب والثقافة والشعر الكثير ، وكان له نظرات نقدية تدل على حس مرهف وذوق عال ، وفحص دقيق (ابن عبد البر ، ١٩٨١).

وأما الروافد العامة لثقافته فتشير الروايات إلى أن الإمام ابن عبد البر لم يتوقـف منـذ ولادته حتى وفاته من ارتياد أماكن التعليم والتعلم معلماً ومتعلماً ، فالمتعمق في كتبه ومصنفاته يجد نفسه أمام موسوعة علمية فقد عنيّ بتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية ، إضافة إلى علـوم

الحديث واللغة والأدب والفكر والسياسة والأخلاق والآداب والتربية والعلوم والطب والهندسة وعلوم التنجيم ، كما اهتم بدراسة الجغرافيا والتاريخ ، وكتب التراجم وتبين من خلال ما قدمه الإمام ابن عبد البر تعدد روافد ثقافته وتنوع معارفه ولم يترك الأخذ والانتقاء من التاريخ الحضاري للأمم والشعوب الأخرى مما رآه متوافقاً مع عقيدته الإسلامية فتراه يدعو إلى الأخذ وتعلم علوم الطب والهندسة والحساب ، ويرغب في الاستفادة من علوم التاريخ والمنطق والترجمة والأدب ، ويدعو إلى الاستزادة من هذه العلوم لمن أراد أن يكوّن لنفسه ثقافة واسعة إضافة إلى تخصصاته الأخرى مع العلوم الدينية (جاسم، ١٩٨٨) .

آثاره ومصنفاته العلمية :

عاصر ابن عبد البر الحركة العلمية والثقافية في الأندلس في عصورها الزاهرة - كما سبق ذكره - حيث كان لها الدور الكبير في صقل شخصيته لتصبح شخصية موسوعية . وكان لاجتهاده وجده في تحصيل العلوم الأثر الكبير في جعله عالماً برع في العديد من الفنون ، فقد ألف في مختلف العلوم من فقه وحديث وأدب وتاريخ وفكر وتربية وغير ذلك ، كما كان له اهتمامات أخرى لم يجمعها في كتاب واحد كالشعر واللغة ، والناظر في هذه المؤلفات والمصنفات يرى منزلة علمية رفيعة (الذهبي، ٢٠٠١) ، وقد شهد له بذلك العديد من العلماء ومنهم ابن حزم الأندلسي ، حيث يقول : "ولصاحبنا – ابن عبد البر - كتباً لا مثيل لها " (المقرى، ١٩٨٦) ، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال اهتمامه بإيراد الدليل الذي يؤيد قوله، لذلك يلاحظ القارئ لمؤلفاته أنه يتكلم عن ثقة وبقوة الحجة والإقناع ، وهذه القوة العلمية التأصيلية لا تبرز في فن أو كتاب دون آخر ، بل حين تطلع إلى أي مؤلف أو فن تشعر بذلك وفيما يلي أهم العلوم التي ألف فيها وأشهر المصنفات والمؤلفات في كل علم :

أولاً - علوم الحديث : كان له مشاركة واسعة وكبيرة في هذا المجال ، فقد لقي موطأ مالك اهتماماً كبيراً عنده فشرحه مرتباً على شيوخ مالك ، وشرحه على الوجه الذي كتبه به الإمام مالك وسماه "الاستذكار" ، وأهم مؤلفاته المطبوعة في هذا المجال :

١. **التمهيد لما في الموطأ عن المعاني والأسانيد** : وقد رتبه حسب حروف المعجم – كما سلف- على شيوخ مالك ، فقد كان يذكر اسم الشيخ الذي روى عنه مالك ، وعدد الأحاديث التي رواها ، قال عنه ابن حزم :" ولا أعلم في الكلام على فقه الحديث ، مثله فكيف" أحسن منه" (ابن بشكوال، ١٩٩٤) وقال عنه أبو علي العاني :" كتاب التمهيد لما في الموطأ من

المعاني والأسانيد ومرتب على أسماء شيوΩ مالك على حروف المعجم ، وهو كتاب ما لـم يتقدم أحد بمثله ، وهو سبعون جزءاً " (ابن بشكوال، ١٩٩٤) ، وأما منهجه في تأليفـه فقـد ذكر ذلك في مقدمة الكتاب حين قال:" ... رأيت أن أجمع في كتابي هذا كل ما تضمنه موطأ الإمام مالك بن أنس – رحمه ا - في رواية يحيى الليثي الأندلسي عنـه ، مـن حـديث رسول ا صلى ا عليه وسلم مسنده ، ومقطوعه ومرسله ، وكل ما يمكن إضـافته إليـه صلوات ا وسلامه عليه ... " (ابن عبد البر،١٩ĚĚ) ، ويبدو أن ابن عبد البر قد بدأ بتأليفه في وقت مبكر ، لكثرة ما كان يحيل إليه في كتبه ومصنفاته .

٢. **الاستذكار في شرŅ مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالp في موطئه من الرأي والآثار** : يعد هذا الكتاب مكملا لكتاب التمهيد ،وقد اقتصر فيه الكلام عن الأحاديث سواء الموصولة أو المرسلة أو غيرها ، ثم تكلم عن الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وأقوال مالك ذاكرا ذلك في مقدمة كتابه فقال :"إن جماعة أهل العلم...سألوني في مواطن كثيرة...أن أصـرّف لهم كتاب التمهيد على أبواب الموطأ ونسقه وأحذف لهم منـه مـا تكـرر مـن شـواهده وطرقه...وأن أشرθ ما في الموطأ من أقوال الصحابة والتابعين وما لمالك فيه من قول بنى عليه مذهبه..."(ابن عبد البر، ١٩٧١) لقد جاء الكتاب مكملاً لكتاب التمهيد بل موسوعة مـن موسوعات الفقه المقارن حيث كان يورد فيه أقوال الأئمة وأدلتهم ثم يرجح ما يراه راجحـاً معتمداً على فهمه للدلالة القرآنية والأحاديث النبوية .

Ď. **كتاب التقصي لحديث الموطأ وشيوΩ مالـp :** وهذا الكتاب عبارة عن مدخل مختصر لكتاب التمهيد بعد أن حذف منه أقوال العلماء ومذاهبهم واختلافهم مقتصراً على مـا أورده مـن حديث الموطأ (الحميدي ، ١٩Ě٣) .

ومن الكتب المخطوطة في علم الحديث : "الأجوبة المرعبة في المسائل المستغربة في كتاب البخاري (الذهبي ، ٢٠٠١) ، وأما الكتب التي اعتبرت في حكم المفقود : "الاستظهار في طرق حديث عمّار " وكتاب "اختصار التمييز " و"كتاب " الشواهد في إثبات خبر الواحد" وكتاب "عوالي ابن عبد البر في الحديث" و"كتاب مسند ابن عبد البر" وكتاب "منظومة السنة" (جاسم ، ١٩ĚĚ) .

ثانياً - علم الفقه : كان الإمام علماً من أعلام الفقه فضلاً عن ضلوعه في علم الحديث ، وكان من أهل الاجتهاد عالماً بالإجماع وله مؤلفات كثيرة منه إضافة إلى عدد من الرسائل التي تناقلها طلاب العلم ، ومن أشهر مؤلفاته :

١- **الكافي في فروع المالكية :** يقع في ستة عشر جزءاً ، (المقرى، ١٩٨٦) وموضوعه في الفقه المقارن تم طباعته في جزأين يقعان في أربعة مجلدات بتحقيق ولد ماديك الموريتاني ، ألفه بناءً على طلب طلبة العلم وجعله مختصراً " اقتصر فيه على ما في المفتي الحاجة إليه، وبوبه وقربه فصار مغنياً عن التصنيفات الطوال " (المقرى، ١٩٨٦) ، وقد عرض أقوال الصحابة واختلافهم ورجح ما يراه من هذه الأقوال ، فتراه يكثر فيه من عبارات :" والصحيح عندي " (ابن عبد البر ، ١٩٩٩) .

٢- **الأنصاف فيما بين المختلفين في بسم ا** : عبارة عن رسالة صغيرة ألفها بناءً على طلب طلاب العلم جمع فيها أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار في قراءة البسملة في أول فاتحة الكتاب والأحاديث الآثار الواردة فيها ، وقد ذكره الذهبي باسم " الإنصاف في بسم ا الرحمن الرحيم " .

ومن الكتب المخطوطة في الفقه : كتاب " اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف روايتهم عنه " ، وقد ذكر في مقدمة كتاب "الاستذكار" كما ذكره الحميدي في "جذوة المقتبس" ، وذكره الضبي في " بغية الملتمس" ، ومن الكتب التي اعتبرت في حكم في هذا العلم المفقود : كتاب "الإشراف علم في الفرائض من الإجماع والاختلاف" ، وكتاب "جوائز السلطان" .

ثالثاً - علم القراءات :

شارك الإمام علماء عصره في هذا العلم مشاركة واسعة و له فيه مؤلفات كثيرة و لكن كافة هذه المؤلفات اعتبرت في حكم المفقود ولايوجد منها شيء في وقتنا الحاضر ، وقد ذكر الحميدي وغيره أن له في هذا العلم كتابا أسماه " المدخل في القراءات " وكتاب "التجويد والمدخل إلى علم القرآن بالتحديد " و"كتاب البيان عن تلاوة القرآن" (الحميدي،١٩٨٣) .

رابعاً - علم التاريخ :

انطلق الإمام في هذا العلم من خلال عنايته واهتمامه بالسنة النبوية رواية ودراية ، ومن الكتب التي ألفها في هذا المجال :

الاستيعاب في معرفة الأصحاب : كتاب في تراجم الصحابة وقد بدأه الإمام بمقدمة أشار فيها إلى عدالة الصحابة ، وهذا الكتاب يعتبر من المصادر الرئيسة في التاريخ ، وقد تضمن الكتاب ترجمة للصحابة ، وحاول الإمام وضع إحصاء لهم ، تم تحقيقه تحقيقا علميا ومن أشهر من حققه "عبد المعطي القلعجي" ، يقع الكتاب في ثلاثين جزءاً ، أما الكتب المطبوعة في هذا المجال: كتاب "الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الكبار" ، و "الإنباء على قبائل الرواة " و" الدرر في اختصار المغازي والسير" ، وكذلك كتاب "القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم" (جاسم، ١٩ĚĚ) .

ومن الكتب المخطوطة "الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى" ، ومن الكتب المفقودة : كتاب "أحاديث أئمة الأمصار" ، و "أخبار القاضي منذر بن سعيد السلوطي" و "اختصار تاريخ أحمد بن سعيد " وأعلام النبوة "، و"تواليف الفقيه الحافظ أبو عمر بن عبد البر " و" محن العلماء" ، وكتاب "المغازي" (الغصن،١٩٩٦) .

خامساً - الأدب والفكر والثقافة والتربية :

شارك الإمام علماء عصره في هذا المجال فقد كان شاعراً وأديباً ، شهد له العديد من العلماء بذلك ، ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال :

١- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس :

وهو من أكبر كتبه في الأدب وأشهرها ويقع في مجلدين ، وقد تم تحقيقه تحقيقاً علمياً أشار فيه الإمام إلى العديد من الأهداف التربوية والتاريخية والتعليمية والترويحية وحشد فيه مادة أدبية متنوعة ضمت العديد من المعاني في أدب الدين والدنيا ، واعتبر هذا الكتاب أحد مصادر هذا البحث الرئيسة ، قسمه الإمام إلى مئة واثنين وثلاثين باباً ، أورد فيه العديد من الأدلة من القرآن والسنة ثم يتبع ذلك بذكر عيون الأخبار والشعر والحكم والأمثال عند العرب ناقلاً ذلك من أمهات الكتب ، وكثيراً ما أحال فيه إلى كتبه الأخرى .

٢- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله :

موضوعه عن العلم طلباً وتحصيلاً ضمنه الإمام أبواباً كثيرة كلها في فضل العلم وأهمية نشره وآداب العالم والمتعلم ، وطرق تحصيل العلوم وأساليبها ، وقد تم تحقيقه تحقيقاً علمياً مـن قبل العديد من العلماء والمفكرين ، حوى الكتاب على مباحث مهمة أورد فيه العديد من الأدلـة والآثار ، كما هو حاله في أغلب مصنفاته ومؤلفاته ، ويعتبر الكتاب مصدراً هاماً من مصـادر البحث .

٣- **الجامع :**

رسالة صغيرة في الأخلاق الإسلامية والأدلة الشرعية ، ألحقها بكتابه الكافي في الفقـه ولخص فيها كل ما يجب على طالب العلم التحلي به من أخلاق شخصية في نفسه وعائلته ، ومع مجتمعه ، عرض فيها الإمام العادات الاجتماعية الجائزة شرعا والمنهي عنهـا ، فـي اللبـاس والزينة والسلام ، والزيارة والأكل وآدابه ، واللهو وأنواعه ، والرفق بالحيوان وكيفية التعامـل مع الناس .

ومن الكتب المخطوطة : كتاب " الاهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال" و"الأمثال السائرة والآيات النادرة " ، و"رسالة في أدب المجالسة وحمد اللسان" ، و"مختارات من الشعر والنثر" ، و نزهة المستمعين وروض الخائفين" ، ومن الكتب التي اعتبـرت فـي حكـم المفقودة : كتاب "الإنصاف في أسماء ا " و يبدو أنه في أسماء ا الحسنى ، و" البيـان فـي الأخوان" و لعلها رسالة في أدب الأخوة ،و"الرقائق" وهو كتاب في الأخلاق والزهـد ، وكتـاب "العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم من العلماء والحكماء" (جاسم ، ١٩ĚĚ) .

تلاميذه :

وأما تلاميذه فلا حصر لهم ، فقد أقبل عليه العديد من طلاب العلم ينهلون مـن ثقافتـه وعلمه ، ويتبادلون معه المناقشات العلمية والرواية ، وتشير المصادر التاريخية إلى أنه قضـى فترة طويلة من حياته معلماً ، ولم يقتصر الأمر على الرجال في الأخذ عنه ، بل تذكر المصادر أن للنساء نصيبا كبيرا في الأخذ عنه وتلقي العلوم منه ، فذكرت ابنته زينب ، وطونة بنت عبـد العزيز (جاسم ، ١٩ĚĚ) ، ولا يتسع المجال للتفصيل في أسماء تلاميذه ولعل أشهرهم:أبي داود سليمان بن نجاθ (ت، ٤٩٦هـ)،وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الشاطبي (ت، ٤٩٦هـ ـ) ،

وأبو علي الحسين الحيراني (ت، ٤٩Ĕهـ)، وأبي محمد بن عبـد الـرحمن بـن عثمـان (ت، ٥٤٠هـ) وأبي محمد بن أحمد بن حزم (ت، ٥٢٠هـ) ، ومحمد بن عتيـق القيروانـي (ت، ٥١٢هـ) وحسن بن أحمد العساني(ت،٥٢٠هـ)،وعبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن (ت، ٥٢٠هـ) (الغصن، ١٩٩٦) (ابن بشكوال، ١٩٩٤) .

شيوخه :

تلقى الإمام علومه على جهابذة علماء قرطبة وأساطينها في عصره ، ولعل كثرة شيوخه كانت السبب وراء توجهه وجهات علمية وفكرية متنوعة ، وكان لملازمتهم الأثر الكبير علـى شخصيته ، ولا يتسع المجال هنا لتعدادهم جميعاً ، وذكر تفصيلات حياتهم ومن أشهرهم :

أحمد بن عبد ا الباجي (ت،٣٩٦هـ) وأحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي والمعروف بابن المكوي (ت،٤٠١هـ) وأحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب بن الجسور(ت،٤٠١هـ ـ) وأحمد بن محمد بن عبد ا الطلمنكي (ت،٤٢٩هـ) وخاف بن قاسم بن سهل المعـروف بـابن الدباƷ(ت،٣٩٣هـ) وعبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت،٤٠٢هـ) وعبـد ا بـن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني (ت،٣٩٥هـ) وعبد ا بن محمد بن يوسف بـن نصـر الأزدي (ت،٤٠٣هـ) وعبد الوراث بن سفيان (ت،٣٩٥هـ) ويونس بن عبد ا بن محمد بـن ويعرف بابن الصفار (ت،٤٩٠هـ) (الحميدي، ١٩Ĕ٣)(ابن بشكوال،١٩٩٤)(الذهبي،٢٠٠١) .

مكانته وثناء العلماء عليه :

لقد كان الإمام ابن عبد البر موضع تقدير من علماء عصره وƱيرهم ، قالوا فيه كلامـاً كثيراً كله مدƟ وإطراء ، قال فيه تلميذه الحافظ الحميدي :" أبو عمـر حـافظ مكثـر ، عـالم بالقراءات وبالخلاف ، مـن الفقـه ، وبعلـوم الحـديث والرجـال ، قـديم السـماع ، كثيـر الشيوƢ"(الحميدي، ١٩Ĕ٣) ، وقال فيه أبو الوليد الباجي :" لم يكن في الأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث" . (عياض، -١٩) ، وقال فيه ابن بشكوال :" ... أمام عصـره ، وواحـد دهره رƷب في طلب العلم ، وافتتن فيه ، وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجـال الأنـدلس "(ابن بشكوال، ١٩٩٤) . وقال فيه القاضي عياض :" ... الحافظ ، شيƺ علماء الأندلس ، كبيـر محدثيها في وقته ، وأحفظ من كان بها لسنة مشهورة ، وكـان سـنده ممـا يتنـافس فيـه..." (عياض، -١٩) .قال فيه الذهبي :" طلب الحديث قبل مولد الخطيب بأعوام ... وساد أهل زمانه

في الحفظ والإتقان ... وانتهى إليه مع إمامه ، علو الإسناد ، وله تواليف لا مثيل لها ، في جميع معانيها " (الذهبي ، ٢٠٠١) .

لهذه المكانة الرفيعة والتعمق في الثقافة والأدب تسابق الأمراء لكسـب وده ، وخاصـة أمراء وملـوك الطوائـف الـذين كانـت سـمة تقريـب العلمـاء أهـم سـمات عصـرهم (ابن عذارى، ١٩٨٣) ، اشتغل بالعديد من الوظائف وأهمها القضاء ، وقد كان للتعليم نصـيب وافر من حياته ، عمل بالتدريس والتحديث حيث علم الفقه والحديث والقراءة في مختلف مساجد قرطبة ، وقضى ردحا من الزمن في التأليف والتصنيف ، وخاصة بعد رحيلـه عـن قرطبـة (ابن بشكوال، ١٩٩٤). كان لـه دور بارز في الحياة السياسية والاجتماعية من خلال حلقـات الدرس التي كان يعقدها منبهاً إلى مخاطر الأوضاع السياسية والاجتماعية داعياً إلى التوحد وقد ضمن تلك التوجيهات مؤلفاته ومصنفاته وخاصة كتابه "بهجة المجالس " (جاسم، ١٩٨٨) .

وفاته :

اتفقت المصادر على أن ابن عبد البر قد توفي في ربيع الآخـر سـنة ثـلاث وسـتين وأربعمائة للهجرة وعمره خمسة وتسعين عاماً ، وخمسـة أيـام فـي مدينـة شـاطبة (ابـن بشكوال،١٩٩٤) ، ولم يخالف ذلك إلا تلميذه الحميدي صاحب جذوة المقتبس فـد أورد أن هـذا التاريخ غير دقيق ؛ لأن الحميدي كما أشير سابقاً قد خرج من الأندلس قبل وفاته ، وألف كتابـه بعد وفاة ابن عبد البر ، وبعيداً عن بلاد الأندلس ، قال عنه:" تركته حياً وقـت خروجـي مـن الأندلس سنة أربعمائة وثمان وأربعين للهجرة ، ثم بلغني نبأ وفاته " (الحميدي، ١٩٨٣) .

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في الكشف عن جوانب الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي وبيان أثر الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على فكره ومدى انعكاس أفكاره التربوية على معاهد التعليم في عصرنا الحاضر ، وإظهار أوجه الاتفاق والتباين بين فكره والفكر المعاصر . حيث ستتناوله هذه الدراسة بالبحث والاستنباط لبيان إسهاماته في مجال الفكر التربوي الإسلامي ، ويأمل الباحث أن ترسم هذه الدراسة مع مثيلاتها صورة شاملة و واضحة للإطار النظري للتربية الإسلامية ، واستخلاص المبادئ والأسس التي يقوم عليها الفكر التربوي الإسلامي ، لذا فإن أبرز ما تسعى إليه هذه الدراسة هو الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما أثر الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي ؟
٢. ما المنطلقات الفكرية التي بنى عليها الإمام ابن عبد البر الأندلسي أفكاره التربوية ؟
٣. ما طبيعة العلم والعلوم وأساليب تحصيلها في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي؟
٤. ما صورة الآداب والعلاقات التربوية بين أطراف العملية التعليمية / التعلمية في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي ؟
٥. ما المبادئ والأسس التربوية المستخلصة من فكر الإمام ابن عبد البر والتي يجب أن تقوم عليها التربية العربية ؟
٦. بم تتفق أفكار الإمام ابن عبد البر الأندلسي مع الفكر التربوي المعاصر ؟ وبم تختلف عنه؟
٧. ما إمكانية توظيف أفكار الإمام ابن عبد البر التربوية في هذا العصر ؟

محددات الدراسة :

المحدد الزماني :

تتناول هذه الدراسة الفترة الممتدة من بداية القرن الرابع ، وحتى منتصف القرن الخامس الهجري وبالتحديد من سنة (٣٠٠هـ / ٩١٣م ولغاية ٤٦٣هـ / ١٠٧٠ م) .

المحدد الموضوعي :

تتناول هذه الدراسة الأفكار التربوية التي أشار إليها الإمام في مؤلفاته و مصنفاته المختلفة ، و ما أشار إليه بعض الباحثين و الدارسين ممن تناولوا دراسة بعض الجوانب التربوية في فكره التربوي .

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة من خلال الأمور التالية :

- شغلت شخصية الإمام ابن عبد البر الأندلسي الدارسين على اختلاف تخصصاتهم الأكاديمية فأفردوا لها دراسات شملت جوانب عديدة من فكره ، لكن جانب الفكر التربوي – بعد البحث والتمحيص – لم يحظ بدراسة وافية ، حيث إن الدراسات حول فكر الإمام ابن عبد البر قليلة جداً في المجال التربوي، ولا تفي بالحاجة قياساً مع إسهاماته الكثيرة .
- يطمح الباحث أن تلقي هذه الدراسة الضوء على الفكر الإسلامي في جزء من عصوره الزاهرة وتبين اثر الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على هذا الفكر وخاصة أن فكر الإنسان يتأثر بالعوامل المحيطة به .
- السعي لإثراء الفكر التربوي المعاصر بالدراسات والبحوث المرتبطة بالفكر التربوي الإسلامي .
- تحاول هذه الدراسة إبراز أفكار الإمام ابن عبد البر الأندلسي التربوية ، وما قدمه من إسهامات في هذا المجال خدمة للإسلام والمسلمين .
- السعي لإفادة المعلمين والمتعلمين في الوقت الحاضر ، وخاصة في المجالات السلوكية والأخلاقية وذلك من خلال اطلاعهم على مبادئ هذا الفكر .
- لا تزال الدراسات التراثية الأصلية بشكل عام – رغم الجهود المبذولة – قليلة وبخاصة حول أعلام الفكر التربوي الإسلامي ، إلا من كانت لهم إسهامات واضحة وكبيرة في هذا الفكر .
- ستسهم هذه الدراسة – بحول ا – في دحض الافتراءات القائلة بعدم وجود فهم مستقل للتربية لدى المسلمين قديماً وحديثا ، وأن دورهم ينحصر في النقل عن الأمم الأخرى .

مصطلحات الدراسة :

لا بد من تحديد المصطلحات الواردة في هذه الدراسة حيثما وردت على النحو التالي :

الفكر التربوي :

الفكر المتعلق بالعملية التعليمية / التعلمية والمتعلقة بالأهداف التربوية والوسائل والأساليب المتعلقة بتحصيل العلوم وطبيعة العلم والمبادئ الأساسية والأسس والعلاقات التربوية بين أطراف العملية التعليمية / التعلمية .

الفكر التربوي المعاصر :

هو الفكر المتعلق بجوانب التربية والتعليم والمتمثل في الأسس التربوية ومجالاتها الرئيسة والمبادئ والأهداف ، والعلاقات التربوية بين أطراف العملية التعليمية / التعلمية والمطبقة في الوطن العربي عموماً والأردن خصوصاً ، وفي هذا السياق فإن كلمات مثل : التربية الخاصة ، التربية الحديثة ، التربية المعاصرة وحيثما وردت في سياق هذه الدراسة تأتي ضمن هذا المفهوم .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والتقصي وجد الباحث أن الدراسات ذات العلاقة المباشرة بهذا الموضوع قليلة جداً ولا تعالج إلا جانباً بسيطاً في الفكر التربوي عند ابن عبد البر الأندلسي ، ومن هذه الدراسات دراسة النحلاوي (١٩ĔĔ) وهي دراسة بعنوان" **الإمام يوسف بن عبد البر الأندلسي Û ترجمته واهتماماته التربوية والفكرية**" وهي عبارة عن دراسة موضوعية استخدم الباحث المنهج التحليلي التاريخي ، ونشرها مكتب التربية لدول الخليج العربي ضمن المجلد الثاني لكتاب "**أعلام التربية العربية** " ، وهدفت الدراسة إلى بيان أهم المبادئ والوظائف والأساليب التربوية عند ابن عبد البر الأندلسي من خلال كتابه " **جامع بيان العلم وفضله** " وقد عرضت الدراسة ترجمة للإمام ولأهم مؤلفاته واهتماماته التربوية وقد توصلت إلى أن أهم المبادئ التي تقوم عليها التربية عنده هي " مبدأ وجوب التعليم ، مبدأ تحريم كتمان العلم ، مبدأ وجوب طلب العلم والعمل به ، مبدأ الإخلاص في طلب العلم ، مبدأ التعلم المجاني ، مبدأ نشر العلم " ، كما حددت الدراسة بعض آداب المعلم وهي " ترك الفخر والدعوى ، والترحيب بالأحداث وتعليمهم ، واحترام العالم والتأدب بحضرته ، مراعاة الاستعداد لدى المتعلمين ." ثم تناولت الدراسة الآداب التي يجدر بالمتعلم العمل بها أمام العالم وهي مقتبسة مما ذكره الإمام

علي بن أبي طالب : " **من حق العالم عليp ما يلي : إذا أتيته أن تسـلم عليـه Û وأن تجلـس قدامه بۿدب Û وأن لا تۿخذ بثوبه Û ولا تلηعليه بالسؤال ولا تقل له خلاف قولp Û وأن تجله** "

وأخيرا تناولت الدراسة ما ذكره ابن عبد البر الأندلسي من أصول العلم وحقيقته وأقسام العلـوم الدينية والدنيوية .

أما دراسة الخولي (١٩٧Ĕ) وهي بعنوان " **الفكر التربوي في الأندلس** " فقد أفردت الفصل الرابع لدراسة " : ابن عبد البر الأندلسي وآرائه التربوية ونشأته واهتماماته " فجاءت تهدف إلى بيان أهم آرائه واهتماماته التربوية ومفهوم العلم وأهدافه ، والمعلم والمتعلم ، وما يجب أن يتوافر فيهما من السمات الخلقية ، وكذلك تعرض لطرائق التدريس في كتاباته لإعداد المحدثين والفقهاء مشيرة إلى ضرورة سعي المعلم لإيجاد جوّ واعٍ ومتحرر ومطالب بالتعقل والفهم وسعة التحصيل وضرورة النفور من التعصب والجمود والسطحية . حيث توصلت الدراسة إلى أن مفهوم العلم عنده يشمل كافة العلوم دون تفريق بين دينية ودنيوية ، أو مدنية والعلم عنده منزلة تلي النبوة ، و له ثلاثة أهداف رئيسية هي : العبادة ، وأفضلية العلم على العبادة الروحية ، والأهداف الدنيوية . كما أشارت الدراسة إلى مجموعة الأخلاق والصفات التي يجب أن تتوافر في كل من المعلم والمتعلم و حددت السمات التي يجب أن تتوافر في المنهج الدراسي ، وطرائق التدريس و انتهت بالتأكيد على أهمية الجو الواعي المتحرر من التعصب في العملية التعلمية .

أما دراسة التل (١٩٩Ĕ) و التي بعنوان التوجيه الأخلاقي [١] في اجتماعية التعلم [٢] عند علماء المسلمين ، وهي دراسة ائتلافية تهدف إلى بلورة مظاهر مكون من مكونات التوجيه الأخلاقي، والتي تشكل مفهوم اجتماعية التعلم كأحد مفاهيم نسق التعلم وهي تعظيم العالم عند أربعة من علماء المسلمين وهم : **الماوردي Û ابن حزمÛابن عبد البر الأندلسي والخطيب البغدادي**

---

(١) الإطار الفكري المستند على أصول التربية الإسلامية الأولى : القرآن الكريم ، السنة النبوية ، والذي يضبط السلوك عند المتعلم ويوجهه ويدفعه من خلال معايير أخلاقية . أنظر : مجلة المنارة ،م٣ /ع١ / ١٩٩Ĕ .

(٢) مفهوم من مفاهيم نسق التعلم : يتكون من مفاهيم فرعية ، وتتشكل من مواقف تعليمية / تعلمية ، تجري في البيئة التعلمية بين عناصر المجتمع التعليمي ، ويقوم المعلم فيها بتنظيم تعلم مجموعة من المتعلمين، ويقـوم المتعلم بعملية التعلم من هذا المعلم ، ومن خلال عملية التفاعل الاجتماعي التعليمية بين هذه العناصر ومـن خلال توجيه أخلاقي مستند ومستخلص من فكر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري المسـتمد مـن أصول التربية الإسلامية . أنظر : مجلة المنارة ، م ١ / ع١/ ١٩٩Ĕ .

والذين عاشوا معظم سني عمرهم ، ونضج فكرهم في القرن الخامس الهجري ، حيث قام (التل) بعملية مسح لكل ما ورد من فكر عند علماء المسلمين الأربعة من خـلال مؤلفـاتهم وآرائهـم التربوية حول مكونات التوجيه الأخلاقي في اجتماعية التعلم ، ثم قام بعمليـة تحليـل لـلآراء ، واستنباط الدلالات التربوية ، حيث بينت الدراسة أن التوجه الأخلاقي قـد اشـتمل علـى "٩Ĕ" توجيها منها "٣٤ " توجيها رئيساً و "٦٤" توجيها فرعياً ، وهذا يعد إضافة جديدة إلى التربية الحديثة التي أغفلت تقريباً هذه التوجيهات المستندة إلى أصول التربية الإسـلامية، و بينـت أن للعالم الحقيقي "٢٣" سمة مميزة يستحق بموجبها التعظيم ، كما أعات التربية الإسـلامية مكانـة العلماء وبوأتهم مرتبة سامية ، لم ترق لها تربية من التربيات الأخرى حيث قـرنتهم بالملائكـة جراء خشيتهم من ا سبحانه وتعالى ، كما أكد الفكر التربوي الإسلامي على استغفار مخلوقات ا جميعها للعالم ، وتفضيله على العابد واعتبارهم ورثة الأنبياء ، وتميزهم عن النـاس يـوم الحساب .

و تناول التل (١٩٩Ĕ) في دراسة أخرى بعنوان "مفهوما التأهب وأدب النفس في الـتعلم في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي التربوي" مفهومي التأهب وأدب النفس كمفهومين هـامين من مفاهيم التعلم استخدم الباحث في دراسته المنهج التـاريخي مسـتعينا بالوصـف والتحليـل لاستخلاص هذين المفهومين من آرائه التربوية التي جمعها على طريقة المحدثين والفقهاء فـي كتابه " جامع بيان العلم وفضله " حيث تبين للباحث أن مفهوم التأهب عنده يتكـون مـن (٢٦) مفهوما فرعيا تقوم على ربط التعلم با سبحانه وتعالى و أن مفهوم أدب النفس عنده يتكون من (٣Ĕ) مفهوما فرعيا ، وقد أوصت الدراسة بضرورة تأصيل العلم ، وربطه با سبحانه وتعالى ، وضرورة نشر أدب النفس باعتباره قضية من قضايا العلم الحديث .

وهدفت دراسة جاسم (١٩ĔĔ) وهي بعنوان "ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريƣ" إلى تقصي أثر ابن عبد البر الثقافي من خلال استخدام المنهج التاريخي لمعرفة مدى مسـاهمته في النهضة الثقافية والتربوية وقد جاءت الدراسة محاولة للوقـوف علـى دوره فـي الحيـاة الاجتماعية والتاريخية والثقافية ، حيث أظهرت الدراسة تميز ابن عبد البر الأندلسي في عدد من التخصصات وخاصة الشرعية منها ، كما وضحت المنهج التعليمي الذي وضعه ابن عبد البـر والذي يقوم على عدد من المبادئ والتي ميزته عن غيره من العلماء في عصره و الدور الـذي قام به في الحياة التعليمية والعملية في الأندلس في القرن الخامس الهجري لتكشف الدراسة عـن

دوره في التوجيه والإصلاح الاجتماعي في ظـل تفـاقم الأوضـاع السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية في عصره .

وأشار أبو اصبع (١٩٩٩) في دراسته التي جاءت بعنوان " الحياة الفكرية في الأنـدلس في عهدي عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر والتي هدفت إلى بيان دور كـل مـن عبـد الرحمن وابن الحكم في رعاية العلم والعلماء ، وبيان دورهما فـي الحيـاة الفكريـة والثقافيـة الأندلسية ، حيث لعب كل منهما دوراً هاماً وبارزاً في الحياة التي عاشها الأندلسـيون نتيجـة لاستقرار الأوضاع السياسية في عهدهما مما أدى إلى بروز العديد من العلماء نتيجة لاسـتقرار الحياة السياسية ورعايتهما للعام والعلماء ، كما أشارت الدراسة إلى الحركة المذهبية التي تمتـع بها أهل الأندلس وما ترتب عليها من حرية فكرية ، وخاصة في مجال الحرية في إبداء الـرأي و تقدم الدراسات الفكرية والعلمية في تلك الفترة .

وفي دراسة أجراها (Heranandez , 1998) ، (بعنوان تطور الفكر الإسلامي فـي شبه الجزيرة الأيبيرية) ، أجريت هذه الدراسة في مركز أبحاث الدراسات العربية فـي لبنـان وهدفت إلى التعرف على الفكر التربوي الإسلامي ، والوسائل التي ساعدت على دخولـه إلـى الأندلس ، وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي ، حيث أشارت الدراسة إلـى ظهـور العلوم في بلاد الأندلس ، و ساهم الاهتمام الذي أولاه الحاكم للتعليم والتعلم إلى بروز كثير مـن العلماء كابن حزم .، وابن عبد ربه ، وابن ماجة ، وابن عبد البر ، وابن طفيل ، وابـن رشـد وغيرهم ، كما اعتبرت الدراسة أن لهؤلاء العلماء إبداعات كثيرة في مختلف التخصصات أغنت بها الفكر الإنساني في ميدان الفكر التربوي والفلسفي و توصلت إلى طرائق التدريس التي كانوا يستخدمونها والتي من أهمها : حلقات الدرس ، والحوار والمناظرة ، والتلقين ، كمـا أشـارت الدراسة إلى المصنفات والمؤلفات العديدة التي وضعها هؤلاء العلماء ، وأثرهـا علـى الفكـر الإنساني والحضارة في ذلك العصر .

وفي دراسة أجراها (Urvoy , 1998) وهي بعنوان " علماء الأندلس " وقدمت إلـى مركز الدارسات العربية في لبنان ، وهدفت إلى التعرف على الفكـر التربـوي لـدى العلمـاء والمكانة المرموقة التي وصل إليها هؤلاء ، والمنزلة التي بلغوها ، وقد استخدم الباحث المـنهج التاريخي التحليلي ، حيث توصلت الدراسة إلى أن هناك هيئة علماء تدريس ترتبت علـى فكـر

تصاعدي ، متين في قرطبة من خلال مجموعة كبيرة من العلماء ، ترتبط ارتباطاً متينـاً مـع إشبيلية ، ويبلغ هذا الترتيب ذروته بشيوخ عرفوا باسم "الفقيه " "الحافظ " " الزاهد" .

مما تقدم يمكن ملاحظة ما يلي :

- أن الدراسات التي تناولت الفكر التربوي عند ابن عبد البر الأندلسي ، مـن خـلال كتبـه وتصانيفه ، لم تتناول جميع الجوانب التربوية لاقتصارها على كتاب واحد وهو كتاب "جامع بيان العلم وفضله "، وكانت أقرب إلى الإيجاز والاختصار منها إلى التعمق والشمول.
- إن دراسة الفكر التربوي عند ابن عبد البر والتي قام بها الخولي"١٩٧Ĕ" كانت ضمن دراسة العديد من العلماء ، ولم تكن دراسة مستقلة لفكره التربوي لذلك جاءت مختصرة .
- خلت كافة الدراسات السابقة من أية مقارنة مع الفكر التربوي المعاصر .
- إن الدراسة التي قام بها التل (١٩٩Ĕ) حول التوجيه الأخلاقي في اجتماعية التعلم لم تتنـاول إلا جانباً من جوانب هذه الدراسة ، هو ما يتعلق بتعظيم العالم ، ولم تتطرق إلـى الأفكـار التربوية الأخرى .
- إن الدراسة التي قام بها التل (١٩٩Ĕ) حول مفهومي التأهب وأدب النفس في التعلم جـاءت كسابقتها فتناولت جانبا واحدا من جوانب هذه الدراسة وهو ما يتعلـق بهـذين المفهـومين بالنسبة إلى العالم ولم تشر إلى الأفكار التربوية الأخرى .
- إن دراسة جاسم (١٩ĔĔ) حول جهود ابن عبد البر في التاريخ جاءت لتكشف عن دوره في مختلف مناحي الحياة ولم تأت بتفصيل عن الأفكار التي جاء بها في كل مجال .
- إن الدراسات السابقة جميعها خلت من الإطار النظري للدراسة لتأصيلها فكرياً .
- إن دراسة أبو إصبع (١٩٩٩) ودراسة و(Urvoy , 1998) و(Heranandez , 1998) تناولت الفكر التربوي في الأندلس بشكل عام ولم تتناول الفكر التربوي عند الإمام ابن عبـد البر الأندلسي.
- كافة الدراسات السابقة خلت من المنهج أو الإطار التربوي الذي يمكن استخدامه من أفكـار ابن عبد البر الأندلسي ، ويمكن توظيفه في الوقت الحاضر .
- كافة الدراسات السابقة لم تأت بأي تفصيل لمؤلفات الإمام ابن عبد البر الأندلسي ومصـنفاته في المجالات المختلفة عامة وفي المجال التربوي خاصة .

منهجية الدراسة :

يعتمد الباحث في دراسته على المنهج التاريخي مستعينا بالوصف والتحليل في دراسة الأفكار التربوية والتعليمية التي وردت في كتب الإمام ابن عبد البر ومصنفاته مستخدماً الخطوات التالية :

- تحديد المفاهيم والمصطلحات الواردة في هذه الدراسة .
- تحديد مصادر الدراسة ومراجعها الأولية .
- تحديد العصر والفترة الزمنية لهذه الدراسة مع إعطاء لمحة تاريخيـة وسياسـية وثقافيـة واجتماعية عن عصر الإمام وأثرها عليه .
- استجلاء الصورة العلمية التربوية في عصر الإمام يوسف بن عبد البر الأندلسي .
- قراءة تراث الإمام ابن عبد البر وما خلفه من كتب ومصنفات لاستقصاء وجمـع الأفكـار التربوية بناءً على الإطار المرحلي وتصنيفها في مجالات رئيسة .
- إلقاء الضوء على الأفكار المستنبطة من منظور التربية الحديثة .
- وضع تصور عام يمكن توظيفه من أفكار الإمام ابن عبد البر الأندلسي في العملية التربوية في عصرنا الحاضر .

الفصل الثاني

عصر الإمام ابن عبد البر و منطلقات فكره التربوي

أولا : الأوضاع العامة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على الفكر التربوي عند ابن عبد البر الأندلسي

شهد عصر الإمام ابن عبد البر الأندلسي تغيرات وتحولات كبيرة في مختلف المجالات كان لها تأثيرات بالغة على مجمل الأوضاع ، حيث كان للأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية أثر كبير على الفكر التربوي عموما ، وعلى فكر الإمام ابن عبد البر خصوصا وفيما يلي بيان لأثر تلك الأوضاع على فكره التربوي :

١. الأوضاع السياسية

عاشت الأندلس عصرها الذهبي في القرن الرابع الهجري ، وكان لعبد الرحمن الناصر (ت ٣٥٠/ هـ/٩٦١م) الذي تولى الخلافة مدة خمسين عاماً(٣٠٠ –٣٥٠ هـ /٩١١-٩٦١ م) الدّور الأكبر في استقرار الدولة الأندلسية ، بعد تشتت وفتن عانى منها المجتمع الأندلسي في القرن الثالث الهجري وخاصة في أواخره . ولكن حزم الملك الناصر وقوته وضعت حداً لكل وهن في المجتمع الأندلسي سياسياً كان أم ثقافياً (جاسم،١٩٨٤) . وغدت الدولة في الأندلس في أوج قوتها ومنعتها ، وأصبحت مرهوبة الجانب في الخارج ، بل وبدت الدول النصرانية تحاول كسب ودها وتتبادل السفارات معها (أبو الفضل، ١٩٩٦) .

ولقد ظلت الدولة الإسلامية في الأندلس مستقلة عن خلافة المشرق يحكمها خلفاء وأمراء بني أمية حتى حولها عبد الرحمن الناصر سنة ست عشرة وثلاثمائة هجرية إلى نظام خلافة واستمرت كذلك حتى سنة اثنتين وعشرين وأربعماية للهجرة حيث انهارت الخلافة الأموية في الأندلس نهائيا (حسن ، ١٩٩١) . خلفه بعد ذلك ابنه الحكم المستنصر (ت / ٣٦٦هـ /٩٧٦م) والذي دام حكمه من (٣٥٠هـ -٣٦٦هـ / ٩٦١م-٩٧٦م) مستفيداً من الإنجازات السياسية والعسكرية التي خلفها والده حيث عاشت البلاد فترة من الاستقرار أتاحت له التفرغ للأمور الداخلية وتلبية رغبته الجامحة في العلم حيث كان مشغوفاً بالقراءة وجمع الكتب ، فأرسل الرسل إلى بغداد ، ودمشق والقاهرة لابتياع الكتب ونقلها إلى الأندلس حتى زخرت خزائنه بالعديد منها وصل عددها كما تشير الروايات إلى أربعماية ألف كتاب في وقت لم تكن الطباعة قد عرفت بعد فاصبح غزير العلم واسع الإطلاع ، وكانت تعليقاته التي وضعها على كتبه من أجمل ما كتب في تلك الفترة (حسن ، ١٩٩١) ، وبسبب تشجيع الناصر والمستنصر للعلم والعلماء أصبحت

قرطبة مركزا جاذبا للأدباء من كل أنحاء العالم الإنساني (العسلي ، ١٩Ĕ٩) ، فعم الاهتمام بالتأليف ، وعقد المناظرات العلمية (ابن الأبار ،١٩Ĕ٥) .

إن هذه الفترة من الاستقرار السياسي قد لعبت دوراً كبيراً من حيث الاهتمام بالنواحي العلمية والتعليمية والتي من أهمها ظاهرة استجلاب العلماء من كافة المناحي ، وظهور العديد من المعاهد التعليمية وبروز الاهتمام بالمساجد وخاصة تلك المساجد التي تحولت إلى ما يشبه الجامعات الحقيقية وعلى رأسها مسجد قرطبة (عنان،١٩Ĕ٠) ، وتشير العديد من المصادر التاريخية إلى أن هذه المساجد قد أصبحت عبارة عن مراكز علمية تعطى فيها الدروس ، وتعقد فيها المناظرات وحلقات الدرس (عنان، ١٩ĔĔ) . واتسعت نتيجة هذا الاستقرار السياسي ظاهرة الرحلة في طلب العلم في الاتجاهين فكان علماء المشرق يفدون إلى الأندلس ويقابلون بالحفاوة والتكريم من حكامها وعلمائها إضافة إلى رحلة علماء الأندلس إلى الشرق باتجاه القاهرة وبغداد ودمشق ، وما كانوا يقومون به من نقل للعلوم والكتب إلى الأندلس عند عودتهم . كل ذلك أسهم إسهاماً كبيراً في النهضة العلمية والاقتصادية والعمرانية التي شهدتها الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين . و نتيجة لذلك أقبل الناس على تعليم أبنائهم في المراكز والمعاهد العلمية والتي كانت تقدم التعليم المجاني لأبناء الفقراء والضعفاء من خلال نظام الأحباس أو الأوقاف (عيسى ، ١٩Ĕ٢)

ولي الأمر بعد ذلك هشام بن الحكم بن المستنصر الذي ورث الخلافة عن والده بعد أن أخذ له العهد من كبار العلماء ورجال الدولة قبل وفاته سنة ست وستين وثلاثماية للهجرة (ابن عذارى،١٩Ĕ٣) . في هذه الفترة ولد ابن عبد البر الأندلسي مع بداية الصراع على السلطة وتشير المصادر التاريخية إلى أن صغر سن هشام وإنكار الناس لتقديمه كان سبباً مباشراً لهذا الصراع بين المؤيدين لتوليته وعلى رأسهم جعفر بن عثمان المصحفي ، ومحمد بن أبي عامر وكيل هشام بن الحكم وغيرهما وبين المعارضين وعلى رأسهم الصقالبة (ابن عذارى،١٩Ĕ٣). وبعد صراع طويل آل الأمر إلى هشام ومؤيديه ، ثم ما لبث أن انقسم المؤيدون لهشام ، وانفرد ابن أبي عامر بالسلطة ، وأصبحت خلافة هشام شكلية، ولما شعر بدنو أجله نصّب ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر والذي دام حكمه سبع سنين (٣٩٢ – ٣٩٩هـ/١٠٢٤-١٠٣١م) (ابن عذارى،١٩Ĕ٣) . ثم تولى أخوه عبد الرحمن - الملقب بشنجول - الحكم والذي لم يحسن

التصرف في شؤون البلاد بسبب انصرافه إلى اللهو والمجون ، وبذلك انتهى حكم العامريين وقيام الثورة في قرطبة سنة ثلاثمائة وتسع وتسعين للهجرة (ابن بسام ، ١٩٩Ě) .

كان من أهم المظاهر التي نشأت نتيجة الفتنة في قرطبة نشوء أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية غاية في الخطورة ، حيث انتشر النهب والسلب والقتل ، واستعان المسلمون بالنصارى في حربهم مع بعضهم بعضا ، وخاصة في الحروب التي قامت بين ملوك الطوائف ، وسفك الكثير من دم المسلمين ، وترتب على ذلك مجموعة من النتائج الخطيرة ، وعلى رأسها الصراع بين العرقيات .واضطرار العديد من العلماء ترك قرطبة والرحيل عنها(ابن عذارى ، ١٩Ě٣) ، وكان من بينهم الإمام ابن عبد البر الأندلسي والذي تشير الروايات إلى انه غادر قرطبة مرتحلاً إلى غرب الأندلس تارة ، وشرقها تارة أخرى (ابن بشكوال ، ١٩٩٤) .

يمكن الإشارة هنا إلى تشابه تلك الظروف السياسية مع الظروف السياسية في وقتنا الحاضر ، حيث كان لتلك الظروف السياسية التي نشأت بقيام الفتن ، وتدهور الأوضاع وتأثيرات بالغة على العلم والعلماء ، وهذا ما نشاهده اليوم من تأثيرات الأوضاع السياسية على غير المستقرة على العلم والعلوم ، واضطرار العديد من العلماء العرب والمسلمين في وقتنا الحاضر ترك بلادنهم والهجرة إلى الخارج ، وليس أدل على ذلك ما حصل في العراق وفلسطين وأفغانستان مما مكن غير المسلمين من الاستفادة من هذه العقول المهاجرة وحرمان أوطانهم من إنجازاتهم وإبداعاتهم .

لقد دل استقراء الدول أنها تمر بأطوار متعددة ، فتبدأ بطور الخشونة وهو طور الظفر والتمكن والقوة ، في هذا الطور تحقق المجموعة البشرية أهدافها ، ويظهر إنتاجها الحضاري ، وعندما يضعف هذا الجيل ويقصر في أداء مهماته وإدارة الدولة فيسري فيها الضعف وتظهر مظاهر التفكك مما يؤدي إلى انهيارها ، واضح أن "بداية الانهيار " بدت واضحة في نهاية القرن الرابع الهجري ، حيث تحولت الخلافة إلى خلافة صورية ، وأصبح الحاجب أو الوزير هو صاحب النفوذ والسلطة في الدولة (ابن خلدون، ١٩٧Ě) .

قامت عدة محاولات لإعادة الخلافة إلى البيت الأموي ، لا سيما وأن الرأي العام الأندلسي كان يريد عودة الأمويين لأنه يدين لهم بالولاء ، وكل تلك المحاولات بما فيها محاولة أهل قرطبة باءت بالفشل ،وبلغ الأمر منتهاه وعمت الفوضى جميع جوانب الحياة القرطبية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، كل ذلك بسبب سوء سياسة الخلفاء (حسن ، ١٩٩١) ، وعندها اتفق أهل الحل والعقد في قرطبة على محو رسم الخلافة الأموية لعدم الصلاح في أهل بيتها وسوء الأحوال وضياع الأموال ، ولعدم وجود من هو أهل للخلافة من غير الأمويين ، اتفق على إسناد الأمور في قرطبة إلى شيخ الجماعة وبقية الأشراف من بيوت الوزارة ، ونودي في الأسواق والأرياض : "أن لا يبقى في قرطبة أحداً من بني أمية ولا يكنفنهم – يؤويهم – أحد" وكان ذلك يوم الثلاثاء في الثاني عشر من ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين وأربعماية للهجرة بعد خلع هشام المعتد ، وهكذا انتهت مرحلة الأمويين في قرطبة ، وبدأت مرحلة جديدة تمر بها دولة الإسلام في الأندلس (حسن، ١٩٩١) .

بدأت مرحلة جديدة من التاريخ السياسي في الأندلس اعتبرت حقبة جديدة اتسمت بالتمزق والتجزئة حيث أصبح الولاة على المدن هم الحكام الحقيقيون ، وانقسمت الأندلس إلى دويلات عديدة بلغت في مجموعها ستاً وعشرين دويلة ، انضوت تحت ثلاثة ألوية كبيرة يطمح كل منها في بسط سيطرته وسلطته على الأندلس . وهذه التجمعات هي : الأندلسيون ، الصقالبة ، والبربر (جاسم، ١٩ĚĚ) .

لقد تميز هذا العصر والذي أطلق عليه عصر ملوك بني الطوائف بأنه عصر الفرقة السياسية ، وكان من أهم مظاهره التسابق على بسط النفوذ والحروب التوسعية والاستعانة بالممالك النصرانية في حروبهم الداخلية مما أدى إلى فقدانهم الشرعية وأصيب الشعب الأندلسي بنكسة نفسية أدت مجمل هذه العوامل إلى العديد من الدعوات التي تدعو إلى التوحد والصحوة (جاسم، ١٩ĚĚ) ، وأسفر الوضع الجديد عن عدم استقرار في الحياة العلمية فكان العلماء يتنقلون من مدينة إلى أخرى داخل الأندلس وبعضهم اضطر للخروج إلى خارجها (ابن بشكوال ، ١٩٩٤) .

لقد كان لهذه الأوضاع السياسية أثر كبير على شخصية ابن عبد البر تمثلت بما يلي :

٨. كان للاستقرار السياسي الذي تزامن مع بدايات نشأة ابن عبد البر وقبلها الأثر الكبير على شخصيته العلمية ، فاستقرار الأوضاع السياسية هو الدعامة الأساسية للنمو الحضاري والتطور العلمي .

٩. اهتمام الحكام بالعلم والعلماء أعطى دفعة قوية لعلماء العصر في تلك الفترة للبحث في مختلف العلوم وشتى التخصصات ، وكان لذلك الأثر الكبير في النهضة العلمية والثقافية والاقتصادية والعمرانية ، حيث شارك ابن عبد البر في صياغة تلك الحضارة بما قدمه من إسهامات وإنجازات علمية كبيرة وللدور الذي لعبه في الحركة العلمية والتعليمية .

١٠. كان للرحلة في طلب العلم ، والتي برزت في تلك الفترة كظاهرة قوية الأثر الكبير في التقدم العلمي لما أحدثته من انفتاح بين الشرق والغرب ، وملاقاة العلماء بعضهم بعضاً مما مكّن ابن عبد البر من ملاقاة عدد كبير منهم ، والإسهام بشكل واضح في الحركة العلمية والتعليمية .

١١. الأوضاع السياسية غير المستقرة بعد فتنة قرطبة ، وبروز الاختلافات والانقسامات دفعت العديد من العلماء إلى الرحيل عن بلادهم ، وكان ابن عبد البر واحداً منهم حيث أتاحت له ظروف الارتحال عن قرطبة ملاقاة العديد من العلماء .

١٢. كان للفتنة في قرطبة والانقسام السياسي وظهور ملوك بين الطوائف الأثر الكبير على علماء العصر نتيجة لاضطرارهم التنقل بين المدن الأندلسية ومنهم ابن عبد البر ، وهذا يشير إلى أمرين : **الأول :** إيجابي على حياته العلمية حيث أكسبه ذلك ثقافة متنوعة اعتبرها الكثير من الباحثين ثقافة موسوعية لا سيما أنه اتخذ من الأوضاع السياسية غير المستقرة طريقاً له لنشر الوعي السياسي والديني لدى طلابه . **والثاني** : سلبي نتيجة لاضطراره الانقطاع عن أبحاثه وحلقات درسه في قرطبة لفترات طويلة مما أثر على إنتاجه على الرغم من الكم الهائل الذي تركه ، والذي أشير إليه سابقاً في الحديث عن مؤلفاته ومصنفاته .

١٣. كان من نتائج الانقسام السياسي ، وظهور ما سمي بعصر الطوائف الأثر الكبير علـى حياة ابن عبد البر من حيث دوره في تحريك نزعة الإصلاح عند الناس من خلال ما بثه في ثنايا كتبه ، وحلقات درسه التي كان يعقدها في مختلف المدن الأندلسية ، ووصفه حال الناس زمن ملوك بني الطوائف بما يدل على رفضه لهذا الواقع ودعوته إلى التوحد . وكان مـن نتائج تلك الظروف السياسية مشاركة ابن عبد البر في بث روح اليقظة ، وهذا مـا ظهـر واضحاً في كتبه ومؤلفاته ، فقد ضمّن العديد منها جوانب رئيسة لمعالجة الأوضاع السياسية والاجتماعية في فترة التمزق ، حذر فيها من الاستبداد والظلم والاستعانة بغير المسـلمين ، وذم من يفعل ذلك .

١٤. يتضح من كتابات ابن عبد البر أنه حاول كعالم مسؤول وضع الحلول الجذرية للظروف التي كان يعيشها مجتمعه ، ومن الأمثلة على ذلك ما ضمنه في كتابه بهجة المجـالس مـن أبواب كثيرة عالج فيها قضايا مختلفة ومن الأمثلة على ذلك " الاستبداد مذموم عند جماعـة الحكماء، والمشورة محمودة عند عامة العلماء ، ولا أعلم أحداً رضي الاستبداد وحمـده إلا رجلا واحداً مفتوناً مخادعاً لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجلاً فاتكاً يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرجلين فاسق مائق "(ابن عبد البر، ١٩٨١) .

٢. الأوضاع الثقافية

نجح عبد الرحمن بن معاوية(ت،١٧٢هـ) في الوصول إلى الأندلس ، وتأسـيس دولـة بني أمية فيها (عيسى ، ١٩٨٢) ، واعتبرت تلك الفترة بداية حكم الأمويين في قرطبة ، سـاعده في ذلك هجرة المزيد من المشرقيين بكل ما يحملونه من علوم ومستويات ثقافية ، وعلى الرغم من تفاقم الأوضاع السياسية ، وكثرة الحروب التي واكبت بدايات حكم بني أميـة ، وانشـغال الخلفاء وخاصة عبد الرحمن الداخل فيها إلا أنه اهتم بالأوضاع الداخلية اهتماماً خاصـاً ، ففـي عهده اهتم ببناء المستشفيات و المساجد ومراكز التعليم ، وكان من أهمها المباشرة ببناء مسـجد قرطبة الذي كان لـه دور كبير في الحياة الثقافية ، ولقي العلماء فـي عهـده اهتمامـاً كبيـراً وتقدمت الدراسات ، وتطورت الرحلات العلمية تطوراً كبيراً (عيسى، ١٩٨٢) .ثم لعب الحكـم المستنصر دورا بارزا في الحياة الثقافية من خلال تشجيعه للعلم والعلماء فأصـبح عامـل دفـع وتشجيع للنهضة الثقافية في الأندلس فاقبل العلماء على قرطبة من كل حدب وصوب ، وانتشرت حلقات الدرس ، وأقبل الناس على تعليم أبنائهم فكثر عدد المعلمين والمؤدبين وسـارع الحكـم

المستنصر إلى إنشاء المدارس لتعليم الفقراء وأوقف عليهم الأوقاف ، حيث بلغ عددها سبعة وعشرين مكتبا في قرطبة وضواحيها (عباس ، ١٩٧٣) ، ولم يكن للأندلسيين مدارس قبل هذا الوقت ، بل كان المسجد هو المدرسة ، وهو المعهد والجامعة (ابن بشكوال، ١٩٩٤) .

كان للأندلسيين بمختلف أصولهم رغبة جامحة ودوافع عميقة للتعلم ، لذلك تسابق طلبة العلم نحو العلماء الذين وفدوا إلى الأندلس في تلك الفترة ، ونحو المؤلفات والمصنفات الجديدة التي كانت تظهر أو تم استقدامها من المشرق ، ويشير المقرى في نفح الطيب إلى حقيقة إقبال الناس على التعلم بقوله :" أما حال الأندلسيين في فنون العلوم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب ، أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه ا للعلم يجهد نفسه أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس" (المقرى،١٩٨٦) .

وفي تلك الفترة المبكرة من تاريخ الأندلس دخل إليها المذهب المالكي ، وسيطر على كافة مناحي الحياة ، وكان لهذه الظاهرة أهمية كبيرة على حياة ابن عبد البر العلمية والثقافية حيث كان للمذهب المالكي ودخوله الأندلس الأثر الكبير على الحياة الدينية والفقهية فأصبح ابن عبد البر مالكي المذهب ، إضافة إلى اهتماماته الكبيرة ونبوغه في المجال الفقهي واهتمامه الخاص بكتاب الموطأ الذي أفرد له عدداً من المؤلفات والدراسات وترك مجموعة من الآثار التي تعلقت ببحث هذه الموسوعة الفقهية (جاسم، ١٩٨٨) .

والمتأمل في الحياة الثقافية في الأندلس في تلك الفترة ، وفي ضوء استعراض الدراسة للواقع السياسي الذي عاشته الأندلس يرى أن الحياة الثقافية قد تكونت من عدد من العوامل الرئيسة يدور الأول حول الآثار الثقافية والتعليمية والعلمية في طلب العلم سواءً تلك التي ترتبت على هجرة عدد كبير من علماء الأندلس إلى الشرق . أو وفود العديد من علماء الشرق إلى الأندلس ، حيث وفدها عدد كبير منهم استطاعوا نتيجة الظروف المواتية وخاصة رعاية الحكام لهم ، وحسن وفادتهم أن يؤثروا في الحياة الثقافية في الأندلس ، وقام هؤلاء العلماء بدور فاعل وخاصة في الحياة التعلمية (يعيش ، ١٩٩٤) ، كما ترتب على ذلك إنشاء العديد من المعاهد العلمية والجامعات والمساجد ، وأخيراً المدارس التي شكلت العامل الثاني في تنشيط الحركة التعليمية والعلمية ، فأصبحت منارات يؤمها الدارسون من مختلف شرائح الشعب الأندلسي فأقبلوا على حلقات الدرس والمناظرات العلمية .وأصبحت هذه المؤسسات العلمية مراكز

استقطاب شمات مختلف طبقات الشعب الأندلسي ، يضاف إلى ذلك إيفاد العديد من علماء الأندلس إلى الشرق وارتحالهم إلى بغداد ودمشق والقاهرة التي كانت في تلك الفترة مراكز علمية وثقافية متقدمة ، ونتيجة لذلك أسهم هؤلاء العلماء بعد عودتهم بما حملوه معهم من علوم وكتب ومصنفات في شتى ألوان المعرفة والعلوم(يعيش ، ١٩٩٤) ، حيث شكلت تلك الكتب العامل الثالث للحياة الثقافية والتعليمية ، والتي كان من أشهرها كما ذكرنا الموطأ للإمام مالك، والمسند والأم والرسالة للإمام الشافعي ، ثم الصحيح وكتاب التاريخ للإمام البخاري (يعيش ، ١٩٩٤) .

تعتبر مرحلة الاستقرار السياسي التي شهدتها الأندلس ، والتي بدأت بتولي عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة ثلاثماية للهجرة ، والتي امتدت حتى قيام الثورة في قرطبة سنة ثلاثماية وتسع وتسعين للهجرة مرحلة النمو الحضاري والتقدم العلمي (جاسم، ١٩ĚĚ) حيث تميزت تلك الفترة الثقافية بقدرتها على منافسة قوية للشرق في مختلف المجالات وخاصة في المجالات العلمية والأدبية ، وبدأت الشخصية الأندلسية تبرز وتتجلى وتتحدى الشرق وتكاد تتميز عليه في مختلف التخصصات ، وأصبح للحياة الثقافية سمة مميزة (عبد العظيم، ١٩٧٣) . وقد كان للنشاط الثقافي الذي شهدته الأندلس في تلك الفترة عدد من المميزات يمكن إجمالها بما يلي :

- الفرص التعليمية التي أتيحت لأبناء المجتمع الأندلسي ، حيث كان المسلمون إذا فتحوا بلداً أو مدينة يبدأون بإنشاء المساجد والمدارس التي كانت تعرف وقتها بالمكاتب ، وكأنهم يشيرون إلى أهمية تربية النفوس بالدين كتربية العقول بالعلوم (ضيف، ١٣٢٤هـ) .

كما كان هناك إشارة أخرى باتجاه السيادة السياسية والفكرية حيث كان المسلمون يقومون بتشييد مدن للجند كالبصرة والكوفة وواسط في العراق وغيرها . وتشييد المساجد امتدادا لسنة النبي عليه السلام حين بنى مسجد قباء في المدينة المنورة .

- ظهور الاهتمام الشديد من قبل الحكام والعلماء باللغة العربية ، حيث كانت هي اللغة السائدة للتخاطب والتدريس والتأليف لكل من المسلمين والنصارى واليهود في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية .

- بروز ظاهرة الرحلة في طلب العلم ، وكانت مختلفة الأغراض فهي ذات نزعة شخصية من قبل بعض الناس ، أو بتكليف من الحكام ، ورغم الاختلاف في الهدف إلا أنها التقت علـى هدف واحد وهو نقل العلوم وجلب الكتب وإحضارها إلى الأندلس . وكان بعضهم يقوم بنقل الكتب الأندلسية إلى الشرق أيضاً وهذه الكتب مختلفة في موضوعاتها : دينية ، علمية، أدبية تاريخية ، وغيرها من كافة ألوان العلوم والفنون (العكţ ، ١٩Ĕ٦) ، وكان مـن أوائـل المبكرين بالرحلة عباس بن الناصح الذي كلفه هشام بن الحكم بالسفر إلى المشرق لالتماس القديم من الكتب فأتاه بكتاب "السند – هند" ، وكان هدفه من وراء ذلك تعليـم ولـده أبـي المطرف عبد الرحمن العلوم الحديثة القديمة والحديثة (عنان، ١٩ĔĔ)، وقد سبق المسلمون غيرهم في هذا المنهج العلمي الرائد حيث كان الواحد من العلماء يرتحل أشهرا ، أو سنوات من أجل التحقق من معلومة أو التأكد من صحة حديث أو غيره .

- بروز ظاهرة استجلاب العلماء المشارقة إلى الأندلس ، فكانوا يحملون معهم علومهم فـي مختلف التخصصات وعلى رأسهم : أحمد بن عبد الرحمن القرشي ، وأبـو علـي القـالي (عنان ، ١٩Ĕ٠) ، واستقطاب العلماء ظاهرة واضحة في عالم اليوم ، فالدول تسعى إلـى استقدام العلماء والكفاءات المتميزة من أجل الإسهام في نهضته ورفعتها وتقدمها .

- برزت ظاهرة الاهتمام بالكتب والمكتبات ، وينقل الدارسون أنه كان للعـرب فـي إسـبانيا وحدها سبعون مكتبة وفي رواية أخرى ستون . (ضيف ، ١٣٢٤هـ) ، كما انتشرت هذه الظاهرة أيضا في المشرق ، فالمؤرƠ اليعقوبي يشعر إلى أن وجود مئة حانوت للـوراقين في الحي كان يقيم به في بغداد ، وكانت عبارة عن منتديات للحـوار والنقـا ţ وحلقـات البحث.

ومع نهاية عهد الخلافة الأموية في الأندلسي وقيام الثورة في قرطبة دخلـت الأنـدلس مرحلة جديد - كما أشير سابقاً - حيث شهدت ظروفا صعبة ، وفوضى عارمة ضـاع معهـا الاستقرار وعصفت بقرطبة رياθ التغيير وتتابع سقوط الحكام ، وترك أكثر العلماء قرطبة هرباً من الفتنة، وعاشت الحركة العلمية فترة من عدم الاستقرار أدت إلى هبوط المسـتوى العلمـي والتعليمي والثقافي ، ورغم ذلك استمر العلماء في لعب دورهم في الحياة الثقافيـة والتعليميـة

وخاصة في عهد ملوك بني الطوائف الذين شجعوا العلماء ، وتبارزوا في استجلاب العلماء وتكريمهم فأخرجوا لهم العطايا والهبات فنشطت الحركة العلمية من جديد (عيسي ، ١٩٨٢) .

لقد كانت هذه الفترة من أسوأ الفترات سياسياً ولكنها أيضاً كانت فترة ثقافية لامعة ، بفضل تنافس ملوك الطوائف والذي أدى تنافسهم إلى عودة العلماء والشعراء والأدباء للعب دور هام في الحياة الثقافية في تلك الفترة وينقل المقري في نفح الطيب قول الشقندي : " وكان في تفوقهم اجتماع على النعم الفضلاء إذ نفقوا سوق العلوم ، تبادلوا في المثوبة فما كان أعظم مباهاتهم إلا قولهم : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني " (المقري ، ١٩٨٦) .

وكان لهذه الأوضاع الثقافية والعلمية جملة من الآثار على شخصية الإمام ابن عبد البر الأندلسي تمثلت بما يلي :

- استقرار الأوضاع السياسية التي سبقت بدايات ابن عبد البر أوجد بيئة علمية متميزة كان لها أثر كبير على حياته العلمية .
- بروز ظاهرة الرحلة في طلب العلم أعطت دفعة قوية للتقدم العلمي ، ولعبت دوراً كبيراً في الحياة العلمية لمختلف علماء العصر ومنهم ابن عبد البر الذي كان لملاقاته العديد من العلماء القادمين من الشرق إلى الأندلس الأثر الكبير على شخصيته العلمية .
- استقدام الكتب من الشرق مما أدى إلى إثراء الحركة الثقافية والعلمية وأعطى دفعة قوية لعلماء العصر من خلال اطلاعهم على المؤلفات الجديدة في مختلف التخصصات وألوان العلوم .
- كان لبناء المساجد ومراكز التعليم والمعاهد العلمية الأثر الكبير على النهضة العلمية والتعليمية حيث أقبل الأندلسيون على هذه المراكز والمعاهد ، وأصبح للعلماء مكانة هامة في المجتمع الأندلسي فأصبحت مكانا للحلقات العلمية والمناظرات التي كانت تعقد في مختلف الأماكن ، والتي شارك فيها علماء الأندلس ومنهم ابن عبد البر الأثر الكبير في الحياة العلمية والتعلمية .
- كان للفرص التعلمية التي أتيحت لأبناء المجتمع الأندلسي الأثر الكبير على الحركة التعلمية فتتاحة فرص التعلم في مختلف التخصصات أوصلت عدداً كبيراً من العلماء للعب دور هام في الحركة التعلمية من خلال مشاركتهم في حلقات الدرس والمناظرات والندوات .

- أتاحت رحلات العلماء من الشرق والغرب الفرصة لابن عبد البر للالتقاء بعدد منهم مما أسهم في تكوين شخصيته العلمية .
- كان لظاهرة الاهتمام بإنشاء المكتبات الأثر الكبير على الحركة الثقافية وعلى علماء العصر حيث مكنتهم تلك المكتبات من الإطلاع على مختلف ألوان العلوم وشتى التخصصات .
- كان لفترة عدم الاستقرار السياسي في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس واضطرار العلماء ترك قرطبة والتنقل إلى مدن أخرى الأثر الكبير على شخصياتهم ومنهم ابن عبد البر الذي جاب الأندلس شرقاً وغرباً .
- لعب اهتمام الحكام بالعلوم وتكريمهم للعلماء الأثر الكبير عليهم ومنهم ابن عبد البر الذي مكنه ذلك من المشاركة الفاعلة في مختلف مناحي الحياة ، وخاصة في مجالي التعليم والقضاء .
- ترك تعدد المراكز التعلمية والثقافية وظهور الأسر العلمية وبناء المدارس الأثر الكبير على شخصية ابن عبد البر الذي أسهم مع غيره في العملية التعليمية والثقافية.
- كان لتفاقم الأوضاع السياسية ، وظهور الفتن والانقسام الذي شهدته الأندلس في بدايات القرن الخامس الأثر الكبير على شخصية ابن عبد البر من خلال الدور الذي اضطلع به مع علماء عصره في محاولتهم وضع الحلول للمشكلات الناجمة عن هذا الوضع الجديد .

٢. الأوضاع الاقتصادية

كان لفترة الاستقرار السياسي الذي ميّز القرن الرابع للهجرة الأثر الكبير في تطور الحياة الاقتصادية في الأندلس عامة ، وفي قرطبة خاصة ، فقد نشطت الزراعة والصناعة والتجارة وحركة العمران ، إلا أن التباين في الأحوال السياسية التي شهدتها الأندلس مع نهايات القرن الرابع للهجرة وخاصة عند قيام الثورة في قرطبة ، وتدهور الأوضاع السياسية أدى إلى إصابة الاقتصاد الأندلسي بنكبة قوية ، مما أدى إلى حصول المجاعة وتدهور عام في الأوضاع الاقتصادية . ولكن بمجيء عصر ملوك الطوائف وحصول بعض الاستقرار النسبي في الأوضاع السياسية عادت الأوضاع الاقتصادية إلى التحسن ، واستؤنف النشاط الاقتصادي فعمد كل أمير منهم إلى تشجيع الزراعة والصناعة والتجارة لينافس غيره من الأمراء . ولكن مبالغتهم في فرض الضرائب اضطرت العديد من سكان المدن الأندلسية لترك مدنهم هرباً من ثقل تلك الضرائب (جاسم ، ١٩٨٨) ، وهذه الطرائق تشكل سببا مباشرا لهروب رأس المال أيضا ويقلل فرص الاستثمار ، وهذا يؤكد ضرورة الخفيف منها أو التخلص منها لآثارها السيئة .

لقد تطورت الزراعة في الأندلس تطوراً كبيراً في القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس ، ساهم ذلك في اعتدال مناخها وخصوبة تربتها وكثرة مياهها ، واتخذت فنون الزراعة طابعاً علمياً ، حيث كانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال في الروعة والجمـال . وتشـير المصادر التاريخية إلى استخدام الأندلسيين أساليب فاعلة في الزراعة وخاصة في الري حيـث استخدم الأندلسيون أسلوب الري بالتنقيط مستخدمين مواد معروفة في ذلـك العصـر كالفخـار إضافة إلى قيامهم ببناء السدود وشق القنوات وإقامة الجسـور ، وإصلاح وسائـل الزراعة (حتاملة ، ٢٠٠٠) .

من مظاهر التقدم الزراعي عند المسلمين في الأندلس أنهم زرعوا كل نبات في التربـة الملائمة ، بعد أن درسوا صلاحية كل تربة والنباتات التي تصلح لها ، وكان لدخول المسـلمين إلى الأندلس الأثر الكبير في الزراعة حيـث جلبـوا معهـم أصـنافا جديـدة مـن النباتـات (حتاملة ، ٢٠٠٠) .

وبتطور الزراعة تطوّرت الصناعة أيضاً ساعد على ذلك توافر المـواد الخـام سـواء الزراعية أو تلك التي توافرت في الأندلس من معادن وغيرها ، لذلك قامت صناعة المنسوجات والفخار ، والجلود ، والعطور ، والأصباغ وخاصة صناعة الزجاج إضافة إلى اهتمامهم الواسع بالصناعات الثقيلة ومنها صناعة السفن ، كما برع الأندلسيون أيضاً بصناعة الأسـلحة وكانـت قرطبة مدينة لصناعة التروس . ودانية دارا لصناعة السفن الحربية ، وكان لهـذه الصـناعات الأثر الكبير على تطور الحياة الاقتصادية (جاسم ، ١٩٨٨) .

وبتطور الزراعة والصناعة تطورت التجارة تطورا ملموسا حيث أصبح لكـل حرفـة وسلعة شارع وسوق خاص بها كأسواق الغزل وسوق الوراقين وغيرها (الحميـري، ١٩٨٨) ، وانتعشت التجارة الداخلية والخارجية وارتبطت البلاد بصلات تجارية مع الخارج ، مما جعـل ذلك ينعكس على مجمل الأوضاع وخاصة التعليمية والتربويـة (القطـري،١٩٨٥) ، فأنشـئت المساجد والمكاتب والمدارس وغيرها وأسست المكتبات وأنفق الحكام بسخاء على العلم والتعلية وبدأ بدفع الرواتب للمعلمين ، وتم تحبيس جوانب الـراجين بسـوق قرطبـة علـى المعلمـين (ربيرا،١٩٨١) .

وأما الحركة العمرانية ، فقد نالت اهتماماً كبيراً مـن الخلفـاء وخاصـة فـي فتـرات الاستقرار السياسي ، فبنى الناصر مدينة الزهراء تلك المدينة التي جعلها مركزاً لحكمه ولأبنائه من بعده ، حيث استمر العمل بها من سنة ثلاثماية واثنين وخمسين للهجرة إلى سـنة ثلاثمايـة وست وستين للهجرة (المقري ، ١٩Ĕ٦) ، وتشير الروايات أنه حشد لها من الخبرات الهندسية من مسلمين وروم ، وجلب لها الرخام من مختلف أنواع الأرض ، وبنى جامع الزهـراء الـذي اشترك ببنائه آلاف البناءين والنجارين حيث أتم بناءه في ثمان وأربعين يوماً(المقري،١٩Ĕ٦) .

ومن المظاهر العمراينة بناء قصر الزهراء في عهد ابن أبي عامر حيث سما إلـى مـا سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله بأهله وذويه ، ويضم إليه رياسته ويتمم بـه تدبير سياسته حيث أقامه بطرف البلاد على نهر قرطبة ، ثم أقطع ما حولـه لوزرائـه وكتابـه وقواده وحجابه (عقل ، ٢٠٠٢) .

جاءت بعد ذلك مرحلة جديدة دخلت بموجبها إسبانيا في نموذج سياسي واقتصادي جديد وذلك بدخول عهد ملوك بني الطوائف حيث حصل بعض الاستقرار النسبي وعـادت الحركـة الاقتصادية من جديد من خلال محاولاتهم المفاخرة فيما بينهم بما حققه كل واحـد مـنهم مـن إنجازات في مختلف المجالات ولكن تعسفهم في فرض الضرائب شكل عبئاً كبيراً على مختلـف شرائح الشعب الأندلسي فاضطربت الحياة الاقتصادية بمختلف مجالاتها الزراعيـة والصـناعية والعمرانية واضطر العديد من أبناء المجتمع الأندلسي للرحيل عن مدنهم (جاسـم ، ١٩ĔĔ) ، ولكن الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن الحركة العمرانية قد عادت وتطورت في عهدهم ، حيث كان أمراؤهم يتنافسون في بناء القصور والجسور لإظهار دولهم بمظهر القوي المتمكن .

لقد لعب التطور الاقتصادي الذي شهدته الأندلس خلال القرن الرابع الهجري دوراً بارزاً في مختلف مناحي الحياة وخاصة الثقافية والعلمية ، وكان لهذا التقدم في الجانب الاقتصادي أثراً كبيراً على التقدم العلمي والحضاري الذي شهدته الأندلس وكذلك فإن التقدم العمراني أثر بشـكل كبير وخاصة في مجال إنشاء الجامعات والمعاهد العلمية والمساجد ومراكز التعليم والتي لعبـت دوراً بارزاً في الحياة الثقافية وأسهمت في دفع الحركة العلمية والتعلمية (المقـري ، ١٩Ĕ٦) . وقد أثرت الأوضاع الاقتصادية تأثيرا بالغا في حياة الإمام ابن عبد البر حيث مكنه ذلـك مـن

مواصلة علومه حتى أصبح إماما في العلم ، فأقبل الطلبة على حلقات درسه التي كان يقيمها في مختاف المدن الأندلسية ، وعلى قراءة كتبه ومؤلفاته .

ď. الأوضاع الاجتماعية

فتحت الأندلس على يد طارق بن زياد سنة اثنين وتسعين للهجرة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (الحميـدي ، ١٩Ĕ٣) حيث دخـ ـل معه العديد من الصحـ ـابة والتابعيـ ـن (ابن عذارى ، ١٩Ĕ٣) وشاركت جيو ţ الفتح العديد من القبائل العربية واستقر بعض أبنـاء هذه القبائل في البلدان المفتوحة ومنها الأندلس حيث أسهموا في صياﺋة حضارة هذه البلـدان ، ولذلك فإن هذه البلدان تتكون عادة من عدة عناصر وطبقات اجتماعية مختلفة . وهذا هو حـال الأندلس بعد الفتح ، ويشير المقري (١٩Ĕ٦) إلى أن المجتمع الأندلسي يتكون من :

١. **العرب :** وهم أولئك القادمون لفتح الأندلس ، والذين استقروا بها بعد الفتح ، وكان لهم دور كبير في الحياة السياسية والثقافية والعمرانية . فهم سادة البلاد وقادتهـا . ولكـن تنافسـهم وميلهم نحو الملذات وفشلهم في إدارة الأمور جاء سببا لقيام الفتنـة فـي قرطبـة وانقسـام الأندلس إلى عدة دويلات ثم زوال حكمهم نهائياً وعودة الأندلس إلى المسيحية نهائيـاً عـام اثنين وتسعين وأربعمائة وألف، وابن عبد البر عربي الأصل ينتسب إلى قبيلة النمـر ابـن قاسط - كما أشرنا سابقا - .

٢. **البربر :** شاركوا بفتح الأندلس وتحملوا مع العرب أعباء الفتح ولكن العرب حرموهم ثماره وأنزلوهم الأماكن والأقاليم الوعرة ولذلك ثاروا ضد العرب وناصبوهم العداء(حسن ١٩٩١) وبحكمة وشجاعة الملك الناصر استطاع إرﻏامهم على الطاعة وإعادة وحدة الـبلاد، وبقـي أمرهم هكذا حتى وفاة المنصور ابن أبي عامر (ت، ٣٩٣ هـ) حيث استطاعوا قتل عبـد الرحمن وإزالة دولة العامريين (حسن ، ١٩٩١) .

٣. **النصارnj :** انقسم هؤلاء إلى فريقين : فريق بقي متمسكاً بدينه ، وفريق آخر عرف باسـم المستعربين ، و رﻏم أنهم ظلوا على عقيدتهم الدينية إلا أنهم أظهروا ميلاً لـتعلم العربيـة فألفوا الكتب ونظموا الشعر ، وتخلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم ، وهؤلاء هم أهـل الـبلاد

الأصليين ، تمتعوا بكثير من التسامح الديني والسياسي وسبب ذلك يعود إلى تسامح العـرب معهم ، يقول ول ديورانت في قصة الإيمان : " لم يشهد وجه الأرض أمة متسـامح كأمـة العرب ، ودلالة ذلك أن شعوب البلاد المفتوحة أحبوهم لتسامحهم وشـغفوا بهـم وبلغـتهم فوضعوا المعاجم والقواميس والموسوعات بتلك اللغة ، كما أتاحوا لهم فرص الوصول إلـى أعلى الوظائف في الدولة (عويس، ١٩ĚĚ) .

ď. **اليهود :** تمتع هؤلاء في هذا العصر بشيء من التسامح الديني ، وأسندت إليهم العديد مـن الوظائف العامة ، وأصبحوا عنصراً هاماً في الإدارة والتجارة والثقافـة ، وأصـبحت لهـم مراكز متعددة للدراسات العربية في قرطبة ، وتعلموا اللغة الصحيحة وكتبوا بهـا ، وكـان لليهود مدينة على بعد أربعين ميلاً جنوب قرطبة (يعيţ ، ١٩٩٤) ، كما كـان الطريـق أمامهم أيضا مفتوحا للوصول إلى مراكز مرموقة مهما بلغت في الدولـة الإسـلامية فـي الأندلس (عويس، ١٩ĚĚ) .

٥. **الصقالبة :** هم واحدة من أهم طبقات الشعب الأندلسي ،قرّبهم عبد الرحمن الناصـر وقـد أشار المـقري فـي نفح الـطيب أن عـددهم قد بلـغ ثلاثـة آلاف وسبعمـاية وخمسون (المقري، ١٩Ě٦) ، ولكنهم لم يلبثوا أن انضموا إلى الثورات بعد موت الحاجب المنصـور الذي حاول القضاء عليهم ، وعلى العرب أيضاً معتمداً على البربر (حسن ، ١٩٩١) .

đ. **الرقيق :** كانوا يعيشون بين طبقات الشعب الأندلسي ، نالوا الكثير مـن الحقـوق المدنيـة فزرعوا الأرض ، واشتغلوا بالتجارة وكانوا يؤدون الخراج للدولة ، كما اشـتغلوا بـالتعليم أيضاً (يعيţ ، ١٩٩٤) .

Ē. **الجواري :** النساء اللواتي جلبن أثناء الغزوات التي غزاها المسلمون في جنـوب فرنسـا وغيرها في حوض المتوسط ، و كان لهن شأن عظيم في الحياة الأندلسية ، تثقفن ثقافة أدبية عالية ولعبن دوراً هاماً في الحياة الثقافية (يعيţ ، ١٩٩٤) .

إنّ تكوّن المجتمع الأندلسي من هذه العناصر المختلفة أدى إلى بروز عدد من الطبقات الاجتماعية فأعطى هذا الخليط من العناصر المختلفة ثماراً يانعة في حقل الحضارة والعلم

والأدب والفكر مما هيأ لظهور عدد كبير من العلماء الذين اسهموا في صياغة حضارة عربية (يعيʢ ، ١٩٩٤) ، و كان ابن عبد البر واحداً منهم ، كما تميز تعدد الطبقات الاجتماعية في المجتمع الأندلسي بالتسامح الديني الواسع مما مهّد لقيام ترابط اجتماعي . فكان الإسلام هو الدين الرسمي و يعمل الخليفة ضمن إطار الدستور المستمد من القرآن والسنة ، ويطبق النصوص المستمدة منه على المسلمين كما ʄرك لليهود والنصارى ممارسة شعائرهم الدينية ضمن إطار الحرية والتسامح (لوبون،- ١٩) . فكان هذا التعاون والترابط بين أفراد المجتمع الأندلسي سبيلا لانتعاʢ البلاد في مختلف المجالات وساهم في إيجاد بيئة اجتماعية قوية بين مختلف الطبقات ، وعاʢ المجتمع الأندلسي حياةً هانئة رغدة ، فعرفوا الموسيقى ، وفن التجميل و بناء القصور الشاهقة ، وتمتعت المرأة الأندلسية بنفوذ واسع ، وحاول الأندلسيون محاكاة الشرق وتقليده في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية (حسن ، ١٩٩١) ، حتى أنهم اسموا مدنهم بأسماء مدن الشرق فسموا غرناطة بدمشق ، واشبيلية بحمص وغيرها (ابن عبد البر، - ١٩) وصف المقري حال الأندلسيين بقوله :" ... عراق في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمة وفصاحة الأندلس وطيب النفوس ، هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها ، وضبطهم لها وروايتهم ، بغداديون في فطنتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ، ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم (المقري ، ١٩Ĕ٦) .

من خلال هذا التحليل الموجز لواقع الحياة الاجتماعية في الأندلس في تلمp الفترة يمكن تلمس الآثار التالية على شخصية ابن عبد البر :

- كان لاهتمام الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء أثر كبير على إقبال الناس على التعلم والانخراط في الحياة العملية والتعلمية وكان ابن عبد البر واحداً منهم أقبل على تلقي العلوم ، وشارك في الحياة العلمية ولعب دوراً بارزاً فيها .
- أدى تماسك الطبقات الاجتماعية ، والترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع الأندلسي إلى انتعاʢ البلاد ، حيث أحدث ذلك تغييراً هائلاً في مختلف مناحي الحياة مما انعكس إيجابياً على مختلف شرائح المجتمع الأندلسي ، وخاصة طبقة العلماء الذين يعتبر ابن عبد البر علماً من أعلامهم .

- كان للمنزلة الرفيعة و النفوذ الكبير التي حظي بها العلماء في مختلف مراكز القيـادة فـي الدولة الأثر الكبير على شخصياتهم ومنهم ابن عبد البر الذي تمتع بمنزلة كبيرة ولعب دروا بارزاً في الحياة السياسية والتعليمية .

- النفوذ الكبير الذي تمتع به هؤلاء العلماء والفقهاء ، شجع مختلف شرائح الشعب الأندلسـي للإقبال على التعلم والتفقه والتأدب طمعاً إلى الوصول إلى هذا النفوذ مما ساعد على ازدهار العلم والأدب وقيام الحركة التعليمية التي شارك بها مختلف علماء العصر ومنهم ابن عبـد البر الأندلسي .

ثانيا : الإطار الفلسفي للفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي

لقد اقتصرت أغلب الدراسات التي تعرضت للفكر التربوي النظـر إليـه مـن خـلال مؤسسات التعليم والمناهج الدراسية وطرائق لتدريس ، وأقسام العلوم وغيرها ، والمفترض بمثل هذه الدراسات أن يكون لها إطاراً فلسفياً تستند إليه يعتبر إطارها المرجعـي ، رأى الباحـث أن يكون لدراسته إطاراً تستند إليه يتضمن موقف الإسلام من مجمل القضايا الفكرية التي تستند إليها هذه الدراسة باعتبارها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفكر الإسلامي الـذي:" يتـولى تنظـيم الحيـاة الإنسانية جميعها ، فهو لم يعالج نواحيها جزافاً ، ولم يتناولها أجزاءاً وتفاريق ، ذلـك أن لــه تصوراً كاملاً عن الألوهية ، والكون ، والحياة الإنسانية "(قطب،١٩٧٤) .

إن استجلاء صورة الفكر الأندلسي عموماً ، والفكر التربوي عند ابن عبد البر الأندلسي خصوصاً يتطلب الوقوف على التصور الإسلامي لكل من الكون ، والإنسان والحياة ، وكـذلك تصوره للمعرفة ، والقيم والأخلاق في الفكر الإسلامي ، وبيان رأى ابن عبد البر في مجمل هذه القضايا ذلك :" إن التربية تعد الوسيلة الفاعلة التي يستطيع من خلالها أي مجتمع من المجتمعات تحديد أهدافه في مختلف المجالات الوجودية ، والسياسية والاجتماعية ، والثقافية والتي يجب أن تقوم عليها بما يتوافق مع تصور أبناء هذه المجتمع للوجود ، وما ينبثق عن هذا التصـور مـن مفاهيم وعقائد وأفكار ، وبذلك تختلف التربية من مجتمع لآخر ، وهذه التربية لا يمكـن فهمهـا دون فهم الإطار المرجعي الذي يشكل الإطار العام للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحيـاة" (الحياري، ٢٠٠١) .

وانطلاقاً من هذا التصور فإن هذا الإطار سيتضمن العديد من المحاور الرئيسة والتـي سيتم تناولها بشيء من الإيجاز والمقارنة عند اللزوم ، وخاصة في تناولنا للفلسفة التـي انطلـق منها الإمام ابن عبد البر والمحددات التي تناولها في ثنايا كتبه ومؤلفاته ، وهو يشير إلى أفكـاره التربوية المختلفة ، وهذه المحاور هي :-

- يتناول المحور الأول موقف الإسلام من الكون من حيـث طبيعتـه ، وماهيتـه وعلاقتـه بالإنسان، ودور التربية الكونية في إعداد الإنسان إعدادا ملائما للتعامل معه ، ورأي ابن عبد البر في مجمل القضايا المتعلقة بالكون .

- يتناول المحور الثاني طبيعة الإنسان من حيث ماهيتها ، وغاية خلقها ومنزلتها في العقيـدة الإسلامية ، ودور التربية الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية ، لإحداث التغير المطلـوب فيها تمهيداً لإحداث التغيير والتحديث في المجتمع الإسلامي ويتناول هذا المحور أيضاً آراء ابن عبد البر في مجمل هذه القضايا .

- يتناول المحور الثالث طبيعة المعرفة في الفكر الإسلامي ، ومصادرها وأقسامها وأدواتهـا ، وأثر هذه المعرفة على الإنسان ، وسيتضمن هذا المحور مجموعة المبادئ المتعلقة بالمعرفة من خلال ما أورده القرآن الكريم ، والحديث النبوي ورأي ابن عبد البر في هـذه المبـادئ والأفكار .

- ويتناول المحور الرابع طبيعة القيم والأخلاق في الفكر الإسلامي من خـلال مـا ورد فـي القرآن الكريم والحديث النبوي ، وما أشار إليه علماء الفكر الإسلامي من أجل ربـط هـذه التصورات القيمية والأخلاقية بالفرد الذي هو محور الفكر الذي ستتناوله الدراسة .

أولاً : الكون في الفكر الإسلامي

يحتل الحديث عن الكون جانباً مهماً وكبيراً في الفكر الإسلامي ، لما لهذا الكون من أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، حيث يهدف الخطاب المتعلق بالكون إلى العمل على إعداد الإنسان لإنجاز مهمة خلقه ، وغاية وجوده ، وهي خلافة الأرض (مرسي، ١٩٨٧) ولأن الكون الواحد أهم عناصر البيئة التي أوجدها ا سبحانه وتعالى ، والتي تخص الإنسان ، فقد

جاء الخطاب المتعلق بالكون متسلسلا وهادفاً لتربية الإنسان تربية خاصة تمكنه من التعامل مع الكون تعاملا ملائماً وتتيح له فرصة التعامل مع المجتمع الذي يعيش فيه من أجل استمرار حياته، والتي أطلق عليها البيئة الاجتماعية ، وكذلك لتمكينه من التعامل مع الجانب الآخر وهو الجانب الغيبي بواقعية ، تعاملاً ملائماً يمّكن الإنسان من العيش بانسجام مع نفسه مطمئناً أنه يحقق غاية وجوده، والناظر في هذا الخطاب يرى غرضاً تربوياً يقوم على تربيته تربية ملائمة في مختلف جوانب ومجالات حياته (الزيدي ، ١٩٨٠) .

لقد جاء الفكر الإسلامي بصورة شاملة ومتكاملة للكون من حيث طبيعته وعلاقته بالإنسان ، بعد أن ظلَّ الإنسان ومنذ خلقه دون تصوّر شامل وواضح لـه ، والناظر المتعمق في الآيات الكريمة التي تتحدث عن الكون يستطيع تكوين صورة شاملة تقوم على التكامل والتوازن بين أجزائه وعناصره ، فكل جزء وعنصر فيه متناسق مع الأجزاء الأخرى ، ولكل موجود فيه حكمة وغاية تتعلق بهذا التوازن (عبد العال، ١٩٧٨) .

إنّ المراد بالكون هو كل خلق ما عدا الله سبحانه وتعالى من أفلاك وسماوات وكواكب ونجوم، وأنهار ووديان ، ومخلوقات مادية وغير مادية ، ويُعتبر الإنسان أو النوع البشري هو أهم أحد أهم عناصر هذا الكون ، وأكثرها أهمية ، وأعظمها قوة وفاعلية ، والإنسان أحدث المخلوقات وجوداً ، و أعظمها قوة في عمارة هذا الكون ، وازدهاره ؛ ولأن خواصه الكامنة في خلقه تنطوي على حقيقة الكون بأسره ، فتكوينه مركب من مجمل العناصر التي يتكون منها لذلك اختاره الله سبحانه وتعالى خليفة فيه ، قال تعالى : **{ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** [سورة البقرة، آية ٣٠] (الشيباني، ١٩٨٥) .

والمتأمل في الخطاب القرآني المتعلق بالكون يرى أنه منظومة واحدة ، فهو خلق سوي قائم على الدقة والتنظيم والإبداع ، قال تعالى:**{ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ }** [سورة السجدة ، ٧]. وهو خلق قائم على دقة الصنعة ، قال تعالى:**{ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ}** [سورة الملك ، آية ٣] ، وهو نظام قائم لا يمكن أن يعتريه خلل ، قال تعالى : **{فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير }** [سورة الملك ، آية ٣-٤] ، وهو مسير بنظام كوني ثابت ، قال تعالى : **{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ**

نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون } [سورة يس ، آية ٣٧] ، **{والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون}**[سورة يس، آية ٣٨] (عبد اللطيف ، ١٩٨٨) .

تنبع أهمية دراسة الكون بالنسبة للإنسان وفهم طبيعته ، كون الفكر التربوي الذي هو محور هذه الدراسة ذا علاقة مباشرة به ، فالتربية كما يراها علماء التربية هي عملية اكتساب نمو وتغيير مرغوب في سلوك الفرد والجماعة ، وهذا لن يتحقق إلا عن طريق التفاعل بينه وبين الكائنات والأشياء المحيطة ، ومع البيئة العامة التي يعيش فيها الإنسان ، وهذه هي أحد أهم جوانب الكون والعالم المحيط به ، والدليل على ذلك ما يلاحظه الباحثون من اختلاف في طبائع وأخلاق وعادات وتقاليد وأساليب حياة الناس في البيئات الطبيعية المختلفة (الشيباني ،١٩٨٥) .

جاءت الآيات الكريمة المتعلقة بالكون مؤكدة على ضرورة تربية الإنسان وإعداده إعداداً نفسياً وجسمياً وعقلياً من أجل إيجاد التوافق بينه وبين الكون من خلال مجموعة من المطالب والإرشادات والتوجيهات والتي جاءت على أشكال وصور مختلفة باختلاف مقاصدها الجزئية والتي من أهمها العمل على ترقية إدارة الإنسان في تعامله مع الكون من أجل الوصول إلى الحقائق ومنها قوله تعالى : **{ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون }**[سورة البقرة ، آية ١٦٤] (الزيدي، ١٩٨٠).

والتوافق بين الإنسان والكون له مظاهر شتى ، وهدفه كما يبدو تعميق الشعور الإنساني بمعنى التقارب والتآلف بين وتنطلق أساساً من الثنائية التي أقرتها عقيدة الإسلام والتي تشمل على وجود إله مدبر ، وعالم مخلوق مدبر فالإنسان والكون ينتسبان إلى طرف واحد، ويتساويان في الاعتبارات الربوبية تعالى ، يقول تعالى :**{ ألم تر أن الله يسجد له من في**

السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون } [سورة النور ،آية ٤١ -٤٢] (النجار، ١٩٩٥) .

إن مظاهر الوحدة بين الإنسان والكون لا تتعدى معنى المشاركة في جزء من الطبيعة مع اختلاف بين الإنسان والكون في مظهر الاستعلاء والرفعة التي خص الله بها سبحانه وتعالى الإنسان والمكانة التي كرمه الله تعالى بها ، قال تعالى :{ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** } [سورة الإسراء ، آية ٧٠] ، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد سخر هذا الكون من أجل خلافة الإنسان وليكون مهيئاً لأن يتفاعل معه ، بحيث ينتفع من كل موجوداته ، وهذا الانتفاع هو على مستويات عدة وأهمها القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى بحيث يستطيع الإنسان الإفادة منها كحركة الكواكب والنجوم وتسخيرها لـه ، قال تعالى :{**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار** } [سورة إبراهيم ،آية ٣٣] (الشيباني، ١٩Ž٥) .

يؤكد الفكر الإسلامي على الصداقة التي يجب أن ترتبط بين الإنسان والكون ، فالكون في حقيقته ليس عدوّاً للإنسان وليس عقبة في سبيل تقدمه ورفعته ، بل يرى فيه خير صديق ومعين على تقدمه ورفعته ، وهو المكان الملائم لنظره العقلي ومتعته الروحية، في حال استطاع اكتشاف قوانينه وكنوزه، واستطاع أن يضع تصوراً لكيفية التعامل معه ، فبذلك يستجلي جماله وروعته ، ويكتشف من خلاله الأدلة التي تؤكد وجود الله سبحانه وعظمته ، كما دعا القرآن الكريم الإنسان لاستثمار كل ما فيها خيرات وموارد مؤكدا على ضرورة التفكر بمظاهرها وأسرارها لاستجلاء دلالاتها على وجود الخالق وعظمته (الشيباني ، ١٩Ž٥) .

والكون في الفكر الإسلامي حديث كبير قديم في كافة أصوله وفروعه وعناصره وأجسامه وأعراضه بما فيه من سماوات وأفلاك وكواكب وبحار وأرض وحيوان ونبات ، وليس أدل على ذلك ما يعتري هذه العناصر من تغير وتبدل وتطور وتحول وانتقال من حالة إلى أخرى ، وفناء وانحلال واضمحلال وبداية وانتهاء ، فهو دائم التغير والتبدل ، وذلك كله مرتبط بالسنن والقوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى . فحركة التغير والتبدل لا تسير باتجاه واحد

إنما هي حركة متذبذبة صعوداً وهبوطاً ، وهذا ما أكده القرآن الكريم في أكثر من موضع (الشيباني ، ١٩Ĕ٥) .

اعتبر الإسلام الكون مصدراً للمعرفة ، وقد عملت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية على توجيه القلوب والعقول والأبصار إلى هذا الكون للتأمل في بدائع صنع ا سبحانه ، ودعت إلى ضرورة التفكر في آياته وفهم نظامه والقوانين التي وضعت لـه معتبرة أن هذا الكون كتاب مفتوθ من أجل النظر فيه واكتشاف كل الحقائق والمبادئ والنظريات وغيرها التي وضعها ا سبحانه وتعالى فيه ، كما أكد الإسلام على دور العقل في التفكر في آياته طالباً إعطاء العقل الحرية الكاملة في التفكير وداعياً إلى تحريره من كل أشكال الجمود والجهل في إطار القيم الإنسانية التي هي الضمان لضبط منطقه وحركته ، وكل ما يصدر عنه من تغير لفظي (سلطان، ١٩٩٦) .

تجدر الإشارة إلى أن النظرة الحديثة للطبيعة الإنسانية تقوم على أساس تكاملي بين الإنسان والكون ، فالإنسان يتفاعل ككل مع البيئة الخارجية ولهذه الطبيعة الإنسانية خصائصها البيولوجية والاجتماعية وينظر إلى العقل على أنه جانب من الجوانب التي تشكل هذه الطبيعة لاستخدامه في حل المشكلات (مرسي،١٩Ĕ٥) .

أما بالنسبة للإمام ابن عبد البر فقد انطلق في نظرته الخاصة بالوجود والكون إلى اعتبارات واضحة مستندة إلى القرآن في اعتباره أن الكون مخلوق من مخلوقات ا خلقه ا سبحانه وتعالى ليكون مكاناً يعيţ فيه الإنسان لتحقيق هدف خلقه وهو الخلافة . وأن كافة ما في الكون مسخر لخدمته وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن التربية الإيمانية وعند مناقشة بعض أفكاره التربوية .

من خلال هذه النظرة لطبيعة الكون وعلاقته بالإنسان يمكن استنتاج الآثار التربوية التالية :

- أن هذا الكون بجميع مظاهره يدل دلالة واضحة على وجود ا ووحدانيته ، وفي ذلك دعوة للمربين بضرورة تربية الإنسان الذي هو محور الفكر التربوي تربية إيمانية تقوم على الإيمان با تعالى وحده .

- أن كافة عناصر الكون وجميع موجوداته تدل دلالة واضحة وقاطعة على وحدانية ا ، وكذلك حث الإسلام على دراسة كل ما في الكون دراسة موضوعية ، وكونه مسخراً لخدمة الإنسان فقد أسقط الإسلام على الإنسان عنه صفة القداسة التي ألبستها عليه بعض الحضارات القديمة لذا أوجب الإسلام دراسة سبل استغلال كافة ما فيه من طاقات ومواد من أجل الإفادة منها في حياته .

- أن طريق الإنسان لدراسة هذا الكون بكافة مظاهره وموجوداته هو العلم ، ذلك العلم الذي يمكن الإنسان من أداء رسالته في الحياة وفي نشر الحق والخير والعدل ، ولا يمكن ذلك ما لم يقم علاقة طيبة بينه وبين هذا الكون .

- يمكن القول أن هناك أخطاء وقع بها العديد من الناس في قولهم بوجود خصومة بين العلم والدين كما حدث ذلك في أوروبا ودعوة المفكرين عندهم قديماً للفصل بين الدين والحياة ، في حين يقرر الإسلام أن العلم فريضة من الفرائض .

ثانيا : الإنسان في الفكر الإسلامي

يعتبر موضوع الطبيعة الإنسانية من الموضوعات الهامة التي لا يستغني عنها أي باحث في الفكر التربوي لأنه موضوع التربية ومادتها الأساسية ، لذلك وجب على كل دارس أن يضعها في إطارها الصحيح ، يقول أوبير (١٩٩١) :" أن فلسفة التربية هي فلسفة الإنسان قبل كل شيء ، وبهذا الشرط وحده تستطيع أن تؤدي رسالتها في الحياة وهي العمل على تنظيم حياة الكائن الحي الإنساني ، وتأليفه تأليفاً جديداً ومستمراً والعمل على حمايته من كافة القوى المختلفة التي تتنازعه في اتجاهات مختلفة ومتباينة والعمل على وقايته من مخاطر التشتت والانحلال والضياع " .

ويعد موضوع الطبيعة الإنسانية من الموضوعات التي دار حولها جدل كبير وتناقضت الدراسات وأقوال الفلاسفة والعلماء حولها (الحياري، ١٩٩٣) . يرى جان جاك روسو أن : الطبيعة الإنسانية مجموعة من القدرات الفطرية تولد معه ، ويجب على المربين احترام النمو الطبيعي لهذه القدرات(جيوشي ، ١٩٩Ë) . كما يراها خيّره لأنها من صنع ا ، ومن ثم فإن النمو السليم لها يكمن في اتباعها قوانين الطبيعة ، وأن مصدر الشر يكمن في المجتمع ، وتصبح

الطبيعة الإنسانية شريرة من خلال تدخل الكبار بقيمهم ومعاييرهم التي تؤدي إلى إفساد نمو النفس وانحرافها (الفنيš ، ١٩٨٢) ، يرى Jones (1964) أن النفس عبارة عن مجموعة من الملكات العقلية والجسمية فعن طريق الملكات الجسمية فإن النفس تحس وترغب ، وعن طريق الملكات العقلية تتذكر وتعقل وتتخيل .

لا يتسع المجال لتفصيل الآراء والدراسات وأقوال الفلاسفة والعلماء قديماً وحديثاً حول طبيعة النفس الإنسانية بل اقتصر البحث هنا على بيان معنى الطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي ، والذي وضع تصوراً واضحاً لهذه الطبيعة معتبراً أنها طبيعة متكاملة ، ولم يفصل بين ما هو مادي ونفسي ، كما تناولتها معظم الفلسفات والدراسات الإنسانية مؤكداً أن لفظ النفس دال على الإنسان ككل ، والذات الإنسانية مكونة من عنصرين مادي ومعنوي (عبد العال ، ١٩٨٥) .

والناظر في آيات القرآن الكريم يستطيع القول بأن الإنسان واحد من مخلوقات ا وأنه ليس كسائر المخلوقات في قيمته ، بل أنه يتميز عنها تميزاً نوعياً في الخلق ، فهو مخلوق مكرم خلقه ا تعالى من التراب ثم نفخ فيه من روحه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، قال تعالى : **{ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ☼ إنا خلقناه من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً }** [سورة الإنسان، الآيتان ١، ٢] ، : **{ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين }** [سورة البقرة، آية ٣٠](الحياري ، ٢٠٠١) .

لقد ميّز ا سبحانه الإنسان عن غيره من المخلوقات كونه الكائن الوحيد الذي اختاره ليكون مكلفاً ، فقد خصّه ا سبحانه وتعالى بمهمة الاستخلاف وفق أوامر ينبغي أن يقوم بها ، ونواه ينبغي أن ينتهي عنها وبذلك فقد أعطى الإنسان الحرية الكاملة في اختيار طريقة والنهج الذي سيسلكه بعد وضح ا سبحانه وتعالى أمامه السبل (الحياري، ١٩٩٣) ، وأشار إلى العواقب والجزاءات والنتائج المترتبة على عمله من خلال الرسل والأنبياء الذين أرسلهم ا سبحانه وتعالى ، فاعتبر الإسلام الإنسان قادراً على الاختيار من خلال العقل الذي منحه له

وأنه قادر على التحرر من كافة القيود ، قال تعالى :**{ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم}** [سورة البقرة ، آية ٢٥٦] (الحيارى ، ٢٠٠١) . وكذلك تميّز الإنسان عن غيره بالعقل، وبه بوأه ا منزلة ومكانة لا تعلو عليها سوى منزلة ا تعالى(عبود،١٩٨٧) كما تميز عن باقي مخلوقاته بقدرته على اختيار سلوكه في ضوء البدائل المتعددة ، وهذه الحرية هي الأساس الذي تقوم عليه التربية (عبد ا ، ١٩٩٦) .

وأشار القرآن الكريم إلى أن الإنسان مفطور على عقيدة التوحيد ، وأن الاعتراف بالربوبية سبحانه هي فطرة في الإنسان أما الرسل والرسالات فقد جاءت لتذكيره وتحذيره من عواقب الانحراف عن هذه العقيدة ، والتي هي عبارة عن ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالقهم، وقد اقتضت حكمة ا أن يرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس حجة (قطب ، ١٩٨١) ، وكذلك فإن فطرة الإيمان منسجمة مع الهدف الذي من أجله خلق ا الإنسان، وهي العبادة الخالصة سبحانه تعالى ، وقد ميزه ا بهذه العبادة عن غيره من المخلوقات لتكون الواسطة التي يستطيع بها نيل ثقة ا (الحيارى ، ٢٠٠١) .

لقد كلف ا سبحانه وتعالى الإنسان بعد أن هيّأ لهذا التكليف أسبابه والتي من أهمها قدرته على التفكير بواسطة العقل الذي به يستطيع القيام بمختلف العمليات العقلية كإدراك الأشياء والعلاقات بينها ، والتذكر والفهم والتصرف والتخيل والتعلم ، وإدراك الموجودات وإدراك العلاقة بين الأشياء المحسوسة والمجردة ، ولكن وبالرغم من اعتراف الفكر الإسلامي بأهمية العقل كعنصر أساسي من عناصر الطبيعة الإنسانية وكقوة هادية له في مختلف مجالات حياته وكمصدر أساسي من مصادر المعرفة ، إلا أن هذا الفكر أكد على محدودية هذا العقل وقصوره (عبد اللطيف وآخرون ، ١٩٨٧) .

إن تكليف ا سبحانه وتعالى للإنسان هو في ضوء القدرات والطاقات التي أعطيت لـه و هي متفاوتة وكذلك في ضوء الظروف التي يعيشها ، والإمكانات المتاحة له ، قال تعالى :**{ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين }** [سورة البقرة ، آية ٢٨٦] (الحيارى ، ٢٠٠١) . وهذا يؤكد إقرار

الإسلام بالفروق الفردية بين الناس ، وذلك واضح حين اعتبر الإسلام أن لكل نفس سعة من الطاقات تختلف عن غيرها ، فا قد أعطى كل نفس قدراً من الطاقات يكون تكليفها منسجماً مع هذه الطاقات ، وفي هذا المجال تجدر الإشارة إلى أن الإسلام قد تجاوز الفروق بين الناس إلى الفروق القائمة بالنفس الإنسانية الواحدة حيث أن الإنسان يمر بحالات من السلوك مغايرة ، ونتيجة لذلك يرى الفكر الإسلامي ضرورة استغلال الإنسان لحالات التفوق والتميز والنشاط التي يمر بها لتحقيق أهدافه (الحياري ، ٢٠٠١) .

إن جميع جوانب الشخصية الإنسانية ، ومظاهر نموها هي نتاج لعاملي الوراثة والبيئة ، و هذين العاملين لهما تأثير كبير على النفس الإنسانية ، ولكنهما يختلفان في أثر كل منهما سواء كان ذلك نتيجة لعامل السن أو البيئة ، أو المرحلة التي يمر بها الإنسان ، وأن درجة تأثيرهما تختلف من إنسان إلى آخر باختلاف مظهر النمو والسن ، فمثلا عامل الوراثة أقوى تأثيراً في مرحلة الطفولة قبل أن تتسع علاقات الفرد الاجتماعية ، ودائرة خبراته وتفاعلاته البيئية ، وبذلك يصبح عامل البيئة أكثر تأثيراً من عامل الوراثة (العمايرة ، ٢٠٠٠) .

يقوم التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية على أفضلية الإنسان بالنسبة لسائر المخلوقات، فهو أهم عناصر الوجود ، متميز عنها بالعديد من الخصائص والمميزات التي بواسطتها استحق التفضيل على كافة المخلوقات ومنها ما خصه ا بالعلم والبيان وحسن الخلق وجمال الصورة والاستخلاف على الأرض لعمارتها ، وتكليفه بإقامة العدل فيها وسخر لـه الكون ودعا إلى الحفاظ على حياته وماله وعرضه وحريته وغيرها ، يقول تعالى : **{ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }** [سورة التين، آية ٤] وقوله تعالى :**{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }** [سورة الإسراء ، آية ٧٠](العمايرة، ٢٠٠٠).

ومن المبادئ الهامة أيضاً في التصور الإسلامي اعتبار أفضلية الإنسان على غيره من المخلوقات واستخلافه في الأرض وتحميله أمانة التكليف والحرية والمحافظة على القيم ليس مردّها جنسه أو لونه ، أو شكله بل ترجع إلى إيمانه با سبحانه وتعالى وتقواه ، وإلى ما خصه ا به عن غيره من المخلوقات ، فتكريم الإنسان وتمييزه عن غيره إنما يقاس بمدى إيمانه وتقواه (العمايرة، ٢٠٠٠) .

يربط الفكر الإسلامي بين ظاهرة الإيمان وظاهرة الأخلاق التي هي أثر من آثاره ، فالإنسان الذي يمتاز بنزعته الدينية يمتاز بنزعته الأخلاقية وبقدرته على التمييز بين الخير والشر ، وقدرته على تصور الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق هذه الغاية من خلال مراقبته وضبط الدوافع ، والغرائز ، والنزوات ، والإنسان بحكم فطرته وخلقه ليس بالخيّر المحض ، ولا بالشرير المحض ، فالخير والشر صفتان متلازمتان فيه ، ولكن البيئة والتربية التي يعيشهما تؤثران تأثيراً كبيراً في توجيهه وجهة خيّرة أو شريرة ، قال تعالى:**{ ونفسٍ وما سوّاها☼ فألهمها فجورها وتقواها }**[سورة الشمس ، الآيتان ٧، ٨] (الشيباني ، ١٩٨٥) .

ويقوم التصور الإسلامي على أن الهدف من خلق الإنسان هو عبادة ا سبحانه وتعالى مؤكداً على ضرورة قيامه بذلك ، وأن عليه واجب القيام بمهمة العبادة (قطب،١٩٨١) ، وأنه أيضاً مميز بمنزلة لا تعلو عليها منزلة سوى منزلة ا سبحانه وتعالى (عبود ، ١٩٨١) ، وكذلك فإنه إنسان مكرم خصه ا سبحانه وتعالى بمجموعة من القيم تتفاوت درجاتها حسب قيمتها ، ولكن الإنسان مستقل بمعنى أنه لا مجال لمفاضلته مع سائر المخلوقات (الحياري، ٢٠٠١) .

أشار الفكر الإسلامي إلى ضعف النفس الإنسانية .. عن الكمال ، فهذه النفس تقع في الخطأ والنسيان وبذلك أعفيت من المحاسبة والمساءلة عن الأعمال التي تقع فيها نتيجة لهذا الضعف ، وهذا واضح في قوله تعالى:**{ خُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً }** ، وكذلك فإنها تصاب بالهلع والخوف والجزع إذا مسها الشر ، وبالطغيان إذا مسها الغنى ، وهذا واضح أيضاً في قوله تعالى:**{ كلا إنّ الإنسانَ ليطغى☼ أن رآه استغنى }** [سورة العلق ، آية ٦، ٧] (الحياري،١٩٩٣) .

والناظر في مؤلفات الإمام ومصنفاته يستطيع القول بتطابق وجهة نظره في موضوع الإنسان مع الفكر الإسلامي باعتبار الطبيعة الإنسانية متكاملة يجب تربيتها تربية إيمانية،وخلقية، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن التربية الإيمانية والخلقية عنده ، وفي هدف خلقه معتبراً أن غاية وجوده هي خلافة الأرض ، وأنه كائن حر ، وفي تفاوت البشرية من حيث القدرات والاستعدادات ، ودور البيئة الاجتماعية في نشأته ونموه ، وتطوره ، إضافة إلى تأكيده على أنّ

هذا الإنسان كائن مكرم مفطور على عقيدة التوحيد ، وسيأتي تفصيل ذلك كله عند عرض أفكاره التربوية لاحقاً .

من خلال نظرة الإسلام إلى الإنسان يمكن استنتاج النتائج التربوية التالية :

- إنّ تميز الإنسان بالخالق يدل دلالة قاطعة على عظمة ا ، وكمال قدرته ، وهذه الطبيعة الجميلة المنسجمة والمتكاملة في صنعها وتركيبها وتأدية وظائفها تستحق الشكر في كل وقت وحين ؛ لذلك على المربين تربية النفس الإنسانية على ضرورة شكر ا من خلال تربيتها على عبادة ا التي هي وسيلة الإنسان لشكر ا الخالق .

- إنّ قدرة الإنسان على القيام بالعمليات العقلية كالتفكير المجرد الذي يعنى بالأمور المعنوية والتأمل في ظواهر الكون ، والتخيل والنظر العلمي بقصد الوصول إلى الحقيقة أوجب على المربين الاهتمام بذلك من خلال تدريب عقول المتعلمين على ذلك ، مع الإشارة إلى ضرورة عدم إقحام العقل في الأمور التي لا يقوى عليها .

- ضرورة التعامل مع الذات الإنسانية كوحدة واحدة دون التركيز على جانب واحد ، وإهمال الجوانب الأخرى فالمربين المسلمين مدعوون لتربية النفس الإنسانية تربية متكاملة تأخذ بكافة الأبعاد الجسمية والعقلية والنفسية .

- ضرورة توفير فرص متكافئة أمام أفراد المجتمع المسلم في شتى الأمور المتعلقة بالعملية التربوية ، وعدم إقصاء أي فئة أو حرمانها من هذه الفرص . وعلى المربين واجب حث كافة أفراد المجتمع على بذل قصارى جهدهم حسب قدراتهم لتحقيق أهدافهم الفردية والجماعية بما ينسجم مع ما قرره الإسلام .
- ضرورة إثارة الدوافع وتشكيل الحوافز عند الأفراد لطلاب العلم دون اللجوء إلى إجبارهم ؛ لأن الإقبال على العلم يجب أن يكون ذاتياً ينبع من داخل الفرد . كما ينبغي الإيمان بأنّ الطبيعة الإنسانية مرنة وقابلة للتشكيل ، والتغيير والتعديل ، والاكتساب ، فهي قادرة على تغيير سلوكها واكتساب المعارف والقيم والعادات .

- على المربين إدراك أهمية الخصائص والصفات التي تتميز بها النفس الإنسانية ، فالناس وإن تشابهوا فيما بينهم في الكثير منها ، فإنهم في الوقت نفسه يختلفون فيما بينهم نتيجة لعاملي الوراثة والبيئة .

- نزعة الإنسان نزعة اجتماعية تحتم على المربين الأخذ بذلك ، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش منفصلا عن المجتمع البشري الذي يعيش فيه ، فهو يسعى دائماً إلى الاندماج في الحياة الاجتماعية ، وهذه النزعة تدفعه للبناء والتعمير وتحاول مساعدته للتغلب على المشكلات التي تواجهه .

- الإنسان ينزع دائماً نحو الأخلاق الفاضلة التي تعتبر أثراً من آثار الإيمان ، وعلى المربين الأخذ بذلك من خلال إبعاده عن المؤثرات التي تؤدي إلى الأخلاق الذميمة .

- تقرّ نظرة الإسلام إلى الإنسان بوجود فروق فردية واسعة بين الناس ، كذلك وجود فروق فردية وفي النفس الواحدة ، فالمربين عليهم واجب الأخذ بمبدأ الفروق الفردية والعمل بناء على ذلك .

ثالثاً : المعرفة في الفكر الإسلامي

يعتبر الفهم الواضح لطبيعة المعرفة وأنواعها ومراتبها ومصادرها وأدوات اكتسابها وعلاقتها بالعقل من خلال الفكر الإسلامي على درجة كبيرة من الأهمية كونها تشكل محوراً أساسياً وهاماً في الإطار النظري لهذه الدراسة لارتباطها الوثيق بالإنسان الذي هو محور الفكر وغايته ، كما أنها أيضاً أحد أهم الأطر المرجعية لهذه الدراسة عند الحديث عن المعرفة والعلوم وأقسامها وأساليب تحصيلها في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي .

يشير القرآن الكريم إلى أن العالم الذي يحيط بنا عالم خاضع لنواميس وقوانين من صنع ا ، كل شيء فيه بقدر ، ويشير أيضاً إلى ضرورة التعرف على هذا العالم والتبصر في كائناته وظواهره المتعددة المتغيرة وفي ذلك دعوة إلى العلم والمعرفة من خلال التدبر والتأمل والعمل (خياط ، ١٩٨٦) .

انقسم علماء المسلمين حيال معنى مفهوم المعرفة ، فالإمام ابن سينا يرى أنها تقسم إلى ثلاثة أقسام : " معرفة بالفطرة ، ومعرفة بالفكرة ، ومعرفة بالحدس "، في حين اعتبر آخرون البديهيات معارف نظرية ، وإدراك المجردات والكليات العامة معارف بالفكرة ، والحدس من خلال الاتصال بالعقل معرفة حدسية مؤكدين أن الاستعداد للمعرفة الحدسية ليس واحداً عند جميع الناس (بدران وآخرون ، ٢٠٠١) . ورأى العمايرة أن المعرفة مرتهنة بمعرفة ا ومحبته ، ولا يرى أن للفعل أي دور خارج إطار الشرع (نصار،١٩ĔĔ) .

تكمن أهمية المعرفة كونها الهدف الرئيس الذي يسعى إليه الأفراد والجماعات لأنها سبيلهم إلى التقدم والتطور في مختلف المجالات ، وهذا ما أكده الفكر الحديث في وقتنا الحاضر فالأمم لا تتقدم إلا بالمعرفة والعلم وسيلتها إلى ذلك التطور والتقدم هو البحث العلمي ، لقد كان الإسلام سباقاً حين دعا الناس إلى طلب المعرفة من المهد إلى اللحد ، وهو الذي فضّل العلماء على غيرهم من الناس وأنزلهم منزلة عليا تأتي بعد منزلة النبوة ، قال تعالى : **{ يَرْفَعِ ا ُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [سورة المجادلة ، آية١١] وقوله:**{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الألْبَابِ }**[سورة الزمر، آية ٩] (الشيباني، ١٩Ĕ٥) .

والمعرفة التي أشار إليها القرآن هي المعرفة الشاملة التي تنتظم بها كافة شؤون الحياة ، شاملة العلوم الدينية والدنيوية ، وليس كما أشيع في عهود التخلف والانحطاط من اقتصار المعرفة على علوم الدين فقط ، لقد دعا القرآن الكريم إلى النظر في مظاهر الوجود الإنساني ومظاهر الحياة كلها كما دعا إلى دراسة الكائن البشري ووجه دعوة إلى دراسة علم النبات والجماد والحيوان وعلم الأجناس ، قال تعالى:**{ ألم تر أن ا أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ۚ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ۚ وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ۚ إنما يخشى ا ُ من عباده العلماء ۚ إنّ ا َ عزيز غفور }**[سورة فاطر،آية ٢٧ - ٢Ĕ] (الشيباني، ١٩Ĕ٥).

يشير الفكر الإسلامي إلى أن المعرفة متفاوتة في قيمتها ومتفاوتة بفضلها وأهميتها حسب موضوعها وغايتها ووسيلتها ، فالعمل والمعرفة المتعلقة با سبحانه وتعالى تأتي بالدرجة

الأولى والمعرفة والعلم الذي لا يوصل إلى الحقيقة الأولى لا خير فيه ، فالقصد من جميع المعارف والعلوم هو في النهاية معرفة ا سبحانه والإقرار بوجوده ، وعلى قدر معرفة الإنسان بربه تكون خشيته منه أو طاعته ومحبته لـه والقبول بقضائه وقدره والصبر على ما يصيبه من مصائب ونكسات ، ومن شأن تلك المعرفة في نظر الإسلام إيصال الفرد إلى الأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الرديئة والرجوع إلى ا في كل لحظة (الشيباني ، ١٩٨٥) ، والمعرفة الحقة يجب أن تتطابق مع الحقيقة وأن تكون مطابقة للواقع ، والواقع هو معيار الحقيقة (إسماعيل،١٩٩٣) .

يرى أصحاب مفكري الإسلام أن مصادر المعرفة إما معرفة إلهية أو معرفة بشرية ، ولكن المتعمق في ذلك يلاحظ أنهما متكاملتان في ردهما إلى ا سبحانه وتعالى فهو خالق الإنسان وموجد المعرفة عنده وخالق وسائلها وأساليبها ، وهم بذلك يرون في تقسيمها إلى مصدرين من خلال ما يمكن رده إلى الإنسان من معلومات وصور خاصة به عن الكون عن طريق الحواس والإدراك العقلي فهي معرفة مكتسبة ، يقول تعالى:**{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون }** [سورة النحل،آية ٧٨] وتلك المعرفة المتعلقة بالاستعدادات الذاتية وهي بالضرورة فطرية تتجه كما صوّرها القرآن إلى الخير والنزوع نحو الكمال الإنساني أو إلى الشر والنزوع نحو الملذات والرغبات،قال تعالى: **{ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها }** [سورة الإنسان،آية ١-٣](عبد اللطيف وآخرون ، ١٩٨٧).

وميادين المعرفة كثيرة ومتنوعة ولا يمكن حصرها ، فمنها مثلاً تلك الإشارة إلى أن المعرفة المتعلقة بالكون وعناصره ، وخاصة المتعلقة بالطبيعة الإنسانية والأجرام السماوية ووصف الأرض ، وما فيها من مخلوقات جاءت عامة وفق نظرة فلسفية عميقة فقد قصر القرآن الكريم الحديث عنها بشيء من الإيجاز والعمق لا يستطيع النظر فيها إلا ذوو العقول والألباب الذين وصفهم القرآن بأنهم أولئك الذين هم على صلة دائمة با سبحانه يقول تعالى :**{ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض}** [سورة آل عمـران، آية١٩١] (عبد العظيم ، ١٩٧٣) .

ووظيفة المعرفة ليست مقصورة في نظر الفكر الإسلامي على المنفعة الاجتماعية أو الذاتية كونها غير مقتصرة على المعرفة القائمة على كوكب الأرض ولا على عمر ووقت محدد، فالذين يرونها كذلك هم في نظر هذا الفكر لا يعرفون ، وقد وسع القرآن دائرة الحياة ولم

يقصرها على الحياة الدنيا وإنما جعلها ممتدة إلى الآخرة ، لذلك فالعلم والتعلم في نظر هذا الفكر يجب أن يكون لأن الأصل بعملنا أن يكون خالصاً ، قال تعالى :**{ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }** [سورة الأنعام ، آية ٦٢ - ٦٣] (عبد العظيم ، ١٩٧٣) .

ومراتب المعرفة حسب الفكر الإسلامي تنقسم إلى قسمين رئيسين :" معرفة يقينية ، ومعرفة غير يقينية ، ولكل منهما مستويات متدرجة ، فالمعرفة اليقينية تتكون من الأولويات العقلية [١] ، والمحسوسات [٢] ، والمجربات[٣] ، والمتواترات[٤] ، والقضايا التي عرفت لا بنفسها بل بوسيط[٥] ، والحدسيات[٦] ، وأما المعرفة غير اليقينية فتتكون من المقبولات[٧] ، والمظنونات [٨] والمسلمات [٩] ، والمشهورات [١٠] ، والمخيرات[١١] والوهميات[١٢] (العراقي ، ١٩٧٦) .

---

(١) الأوليات العقلية : هي القضايا التي يوجهها العقل الصريح لذاته ولغريزته ، وليست بسبب من الأسباب الخارجة عنه وكلما وقع قصور لحدودها وقع له التصديق بها " محمد العراقي –ثورة العقل في الفلسفة العربية ، دار المعارف ، ص٥٠ .

(٢) المحسوسات : أمور تم معرفتها والتصديق بها من خلال الحواس ، كقولنا الثلج بارد ، فإن العقل لم يقض بهذه القضايا وإنما أدركها بواسطة الحواس " المرجع السابق " .

(٣) المجربات : هي ما يحكم بها العقل بواسطة الحس مع التكرار ، مثل قولنا إن الضرب مؤلم للحيوان ، وأن الخمر مسكر ."المرجع السابق " .

(٤)المتواترات : هي الأمور المصدق بها من خلال تواتر الأخبار التي لا يصح في مثلها المواطأة على الكذب لغرض من الأغراض ، كضرورة تصديقها بوجود الأمصار والبلدان الموجودة وإن لم نشاهدها ، ومثل علمنا بوجود أفلاطون . "المرجع السابق " .

(٥) القضايا التي عرفت لا بنفسها بل بوسيط : هي ما يحكم فيها العقل بواسطة لا تغيب عن الذهن ، عند تصور الطرفين كقولنا الأربعة زوج بسبب وسط حاضر الذهن وهو الانقسام بمتساويين ، فهذا الوسط متصور في الذهن عند تصور الأربعة زوجاً .

(٦) الحدسيات : ويتمثل الحدس في سرعة الانتقال من المبادئ إلى المطالب ، ويزول معه الشدة كقولنا أن نور القمر مستمد من الشمس ، فإننا لما شاهدنا اختلاف حال القمر في تشكيلاته النورية بحسب اختلاف أوضاعه من الشمس قرباً وبعداً ، أحسسنا منه أن نوره مستعار من الشمس "المرجع السابق ص ٥٤" .

(٧) المقبولات : وهي المقبول من أفاضل الناس وأكابر العلماء ، مشايخ السلف إذا تكرر نقل ذلك منهم على ذلك الوجه وفي كتبهم واصفا إلى ذلك حسب الظن بهم، فإن ذلك يثبت في النفس ثبوتاً "المرجع السابق ص ٥٩".

(٨) المظنونات : وهي قضايا يحكم فيها حكماً راجحا مع جواز نقيضه ، ومن أمثلتها قولنا : محمود يتحدث مع العدو ، كل من يتحدث مع العدو مثله : محمود عدو "المرجع السابق ص ٦٠".

(٩) المسلمات : هي المقدمات المأخوذة بحسب تسليم المخاطب ، سواء كان حقه أو مشورة أو مقبولة ، ولكن لا يتلقف إليها إلا إلى تسليم المخاطب "المرجع السابق ٦١ ".

(١٠) المشهورات:قضايا يحكم بها لاعتراف أغلب الناس بها كالعادات والشرائع والآداب"المرجع السابق ص٦٢"

(١١) المخيلات : هي القضايا التي لا تسمع لصدقها ، بل لانفعال وتأثر يعرض لنفس السامع منها على طريق التخيل فتنقبض النفس عن شيء وتمثل لآخر ، ومثالها : الأقاويل الشعرية "المرجع السابق ص٦٦ ".

(١٢) الوهميات : هي من حيث وثائقه الدليل أو بمعنى آخر من حيث الأسباب الموضوعة في أنواع المعارف نفسها ، أما من حيث ما تتركه من آثار وما تؤدي إليه من مخاوف ، ونجد الغزالي ترتيبا آخر : المحمود من العلوم وما يرتبط بها من مصالح الدنيا كالطب والحساب ، والمذمومة من السحر والطلسمات ، والمباح كالعلم بالأشعار وغيرها " الغزالي ، إحياء علوم الدين ، د.ت ، ص١٦ " .

والمعرفة في الفكر الإسلامي تحمل طابعاً يميزها عن غيرها من المعارف لدى الأمم والشعوب ذات الاتجاهات الفكرية المحدودة فهي معرفة تقوم على الأخذ مما لدى الآخرين مـن معارف وإنجازات حضارية بغية الإفادة منها والإفاضة على الآخرين بتزويدهم بما وصلت إليه من نتاجات علمية في مختلف المجالات ، وفي ذلك رد على القائلين بأن الاطلاع على فكر الآخرين يحوّلنا إلى ذلك الاتجاه ، وبذلك يضعون سداً منيعاً بين الناس وبين التقدم العلمي الذي وصل إليه الآخرين .

أما ما يتعلق بالمعرفة عند ابن عبد البر فتكاد تتطابق مع الفكر الإسلامي ومبادئه السابقة فهو يرى أن مصدر المعرفة عنده الكتاب والسنة ، والأمر عنده واضح وجلي في ضرورة العودة إليهما فما لم يوجد له نص في كتاب ، فإن سنة رسول ا ﷺ قاطعة في هذا الباب " خاصة في باب العقيدة ، نراه يقدم كتاب ا في طلب الحجة على غيره ، ثم سنة رسول ا ﷺ (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

ويرى أن معرفة ا تكون على ثلاثة أقسام : الإيمان والإسلام ، ومعرفة ما في القرآن والعمل به ، والإيمان بأركان الإيمان الستة يقول في ذلك :" واتفق أهل الإسلام على أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام : أولها معرفة خاصة بالإيمان والإسلام ، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي عليه السلام فهو المؤدي عند ا تعالى ، والمبين لمراده ، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق ا بالدلائل على آثار صنعته في تربيته على توحيده ، وأزليته سبحانه وتعالى والإقرار والتصديق بكل ما في القرآن ، وبملائكة ا وكتبه ورسله " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

وأصالة المعرفة وبعد النظر مصدرها واضح عنده ، فهو يرى أن مصدر المعرفة إضافة إلى مصدريه : الكتاب والسنة آثار صنع ا سبحانه وتعالى في الكون بما حوى ذلك من صور وأدلة حية شاخصة على الإيمان ، إضافة إلى ذلك ضرورة التفكر والتأمل في آثار صنع ا ، ولم يكتف الإمام ابن عبد البر بذلك ، بل كان يضيف إلى الأدلة النظر في الدليل.

والقياس في نظره مرفوض في أبواب التوحيد لأن مسائله موقوفة على النصوص ، يقول في ذلك :" لا يمكن تطبيق أركان القياس عليها – يقصد أبواب التوحيد – لأنها أمور

غيبية في جملتها ، فلا يوجد لها مماثل في المشاهد يمكن قياسها عليه ، ثم أن القياس غير جائز في صفات الباري سبحانه وتعالى لأنه ليس كمثله شيء" (الغصن، ١٩٩٦) .

وأما التقليد فهو مذموم ، ولكنه وإن رفض التقليد واعتبره مذموماً ومعيباً للعالم ، بل قد وصل به الأمر إلى اعتباره محرماً إذا تابع المقلد من قلده وهو يعلم فساد رأيه مستمداً ذلك من الأدلة الواضحة في كتاب ا وسنة نبيه ، إلا أنه يرى جواز ذلك لفئة من الناس ، فهو لم يبالغ في تحريمه ، ويرى أنه العامة الذين لا يستطيعون النظر في الأدلة لهم أن يقلدوا العلماء ، يقول في ذلك :" فإن العامة لا بد لها من تقليد العلماء " ، وسيأتي تفصيل آرائه في مجال المعرفة عند الحديث عن أفكاره وآرائه التربوية حول العلم وأساليب تحصيله (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

ومن خلال نظرة الإسلام إلى طبيعة المعرفة وغايتها ومراميها ، وميدانها وأدواتها ، يمكن الوقوف على النتائج التربوية التالية :

- تزكية النفس وإبعادها عن الهوى هدف رئيس يجب على المربين العمل على تحقيقه فتخليص النفس من الهوى الذي يعد عائقاً كبيراً أمام العلم ومنهجه هو واجب المربين وعليهم تقع مسؤولية ذلك .

- تربية المتعلمين والأفراد على عدم جواز الركون إلى الظن وجعل المعرفة قائمة على المعرفة اليقينية ، ورفض التخمين القائم على غير دليل ، وكذلك تربيتهم بوجوب البحث عن المعرفة الأصيلة والابتعاد عن المعرفة المحرفة القائمة على منافع شخصية أو أهداف معينة، فقد اعتبر الإسلام ذلك فساداً أخلاقياً لما في ذلك من إحلال للمعرفة المزيفة والفاسدة والتي تؤدي في اعتقاده إلى أمراض اجتماعية أو انقسام وغير ذلك .

- تربية المتعلمين على نشر المعرفة وعدم جواز كتمانها لما في نشرها من نتائج خيرة تعود على الفرد والمجتمع ، وفي هذا أيضاً عدم جواز انتقاء بعض المعارف وكتمان بعضها لما في ذلك من آثار سلبية ، فنشر المعرفة يؤدي إلى توسيع مدارك المتعلم وتجنب الوقوع في المعرفة المجزأة . كما ينبغي تربيتهم على وجوب العمل بالعلم ، واقتران أفعالهم بعلمهم كون المعرفة في نظره جزءا لا يتجزأ من السلوك كما يجب نقل المعارف النظرية إلى مجال التطبيق العملي . وينبغي رفض أسلوب المجادلة في تربية الأفراد القائمة على الغرور

والتزام الموضوعية القائمة على الحجة وإبداء الدليل على صدق الرأي وصحته . كما ينبغي التأني في تلقي المعرفة وعدم جواز التسرع في إصدار الأحكام ، وعدم الاكتفاء بالنقل مما لدى الآخرين دون نظر . إضافة إلى ضرورة ربط المعرفة بالأهداف والغايات والمقاصد لما يحققه ذلك من انتفاع كافة الناس بالمعرفة وبذلك تتحقق وظيفتها .

رابعاً : القيم في الفكر الإسلامي

لقد لازم مفهوم القيم الإنسان منذ وجد على هذه الأرض باعتبارها المحرك الأساسي لسلوكات الإنسان ، وقواعد هامة يسير عليها الإنسان في حياته الدنيا ، كما أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكافة المسائل الوجودية ودون استثناء ، فالفهم الواضح لطبيعتها يتطلب من الفرد فهم طبيعة الذات الإلهية وطبيعة الكون وحقيقة الحياة وطبيعة الذات الإنسانية وسر وجودها ومصيرها في هذا الكون ، وتكمن أهميتها أيضاً كونها تشكل القواعد الأساسية والمحددات التي ينطلق الإنسان على أساسها بما يعود عليه بالفائدة والخير (الحياري ، ٢٠٠١) .

لقد اختلفت وجهات النظر وتباينت الآراء والدراسات في تحديد مفهوم القيم كونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأسس والرؤى الدينية والفلسفية و الثقافية والفكرية والتربوية التي تتبناها المدارس الفكرية المختلفة ، وهذا الاختلاف عائد إلى تباين وجهات نظر هذه المجتمعات حول طبيعة المعرفة وطبيعة الإنسان ، وطبيعة الكون وغيرها ، (الجلاد ، ٢٠٠٣)

وما يهمنا الوقوف على معنى مفهوم القيم وطبيعتها من خلال الفكر الإسلامي ، فقد جاء الإسلام كثورة فكرية وأخلاقية وقيمية أبرزت مجموعة كبيرة من الحقائق ووضعت العديد من التعاليم ، وهي ثورة إنسانية إذا قيست بما سبقها من رسالات وديانات كانت ذات طبيعة محدودة كاليهودية والبوذية وغيرها ، وهذه الثورة تميزت بالاستمرارية والتجدد على اعتبارها وضعت الفرد في منزلة سامية وأحلته بمرتبة لا يضاهيها شيء من الكائنات الأخرى (عبد اللطيف وآخرون ، ١٩Ĕ٧) .

إن النظرة العامة في رسالة القرآن الكريم تكشف أنها بمجملها رسالة تربوية لا تكاد تخلو أية من آياته من توجيه وتربية للن ţ ء على أساس من القيم الإسلامية والتي تتمركز جميعها حول قيمة التوحيد وما يتفرع عنها من قيم العبودية كلها بجزئياتها وتفاصيلها كالتقوى وطاعة

ا باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والتحرر من العبودية وغيرها إضافة إلى قيمة الحكمة وما يتفرع عنها من تعاون وتآزر وتآخي وإيثار وتكامل ، وقيمة التسخير وما يتفرع عنها من تكامل الإنسان مع محيطه الاجتماعي وبيئته ومحيطه من الأمم الأخرى (الصمدي ، ٢٠٠٣) .

أما النظرة العامة في السنة النبوية فتكشف تمحورها حول سلوك الإنسان واعتباره قدوة من خلال بناء أساليب التواصل بينه وبين الآخرين فالمتتبع للسنة النبوية يلاحظ أنها تشكل نظرية متكاملة في التواصل ، وهذا ما أشارت إليه العديد من الأحاديث النبوية ومنها قوله ﷺ : " **صلوا كما رأيتموني أصلي** " [1] وقوله في الحج : " **خذوا عني مناسككم** " [2] (الصمدي ، ٢٠٠٣)

والقيم في الفكر الإسلامي مأخوذة من العديد من المصطلحات القرآنية كالاستقامة والطريق المستقيم وغيرها من المعاني المتعددة فالاستقامة جاءت بمعنى الهداية ، والطريق المستقيم بمعنى العدل والوضوθ ، وقد تباينت تعريفات الباحثين المعاصرين لمفهوم القيم الإسلامية ، ولوحظ من خلال هذه التعريفات تأثرها بالاتجاهات التربوية المعاصرة فقد عرفها الكيلاني بأنها : " محطات ومقاييس يحكم بها على الأفكار ، والأشخاص والأشياء ، والأعمال والموضوعات ، والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها ، أومن حيث ضعفها وقلة قيمتها (الكيلاني ، ١٩ĔĔ) .

يرى عبد الحليم (١٩٩٣) أن القيم : " حالة عقلانية ووجدانية يمكن ملاحظتها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات هي : الاعتقاد ، الاتجاهات ، والميول والطموحات ، والأغراض ، وتدفع الحالة العقلية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفي باختياره وبإرادة حرة واعية ، وبصورة متكررة نشاطاً إنسانياً يتنسق فيه الفكر والقول و يرجحه العقل على كل ما عداه من أنشطة بديلة فيستغرق فيه ، ويسعد به ، ويحتمل به أكثر مما يحتمل من غيره دون انتصار لمنفعة ذاتية" .

يرى الطهطاوي (١٩٩٦) أن القيم : " والقيم مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية " .

١- رواه الإمام أحمد ورواه مسلم وغيرهما .
٢ - رواه البخاري ومسلم و أحمد وغيرهم .

وعرفها Hallstead (1996) بأنها مجموعة المبادئ والمعتقدات الأساسية الخلقية والذاتية كما وذهب بعض الباحثين إلى اعتبارها مجموعة من المعتقدات يتمسك بها الأفراد والمجتمع ، ويحكمون بواسطتها على قيم الأشياء وحسنها ، ومـن ذلـك تعريـف كـل مـن Kreach and Ballachey(1962) بأنها: " طبقة مهمة من المعتقدات يتقاسمها أعضاء المجتمع الواحد وبخاصة فيما يتعلق بما هو حسن أو قبيح ، أو ما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه " .

ويرى الجلاد (٢٠٠٣) أن القيم الإسلامية عبارة عن " نظام يقوم على مجموعة من المعتقدات الربانية ، يؤمن بها الفرد ويتمثلها المجتمع ، وينبثق عنها سلوك محكوم بمجموعة من الأحكام المتوخاة من الشريعة الإسلامية يتمثلها الأفراد ضمناً بغية الرقي في حياتهم المادية والروحية ويتحدد من خلالها مجموعة من المعايير للحكم على الأشياء والأشخاص والأفكار وأنماط السلوك من حيث كونها مرغوباً فيها أو مرغوباً عنها " .

لقد اعتنى علماء الإسلام عناية واضحة بمفهوم القيم وبخاصة القيم الخلقية المتعلقة بتهذيب النفس والسمو بالروح ، وقد اتسعت دائرة البحث عنهم لتشمل عناوين متعددة منها شعب الإيمان والآداب والفضائل والكبائر والأخلاق ويشهد على ذلك تلك المصنفات الفريدة التي سطرت حولها في التراث الإسلامي ، والتي انضوت تحت مجموعة العلوم الإسلامية (القيسي،١٩٩٥) .

الناظر في سمات القيم الإسلامية يستطيع القول بأن هذه القيم ربانية السمة فمنذ بعث إبراهيم عليه السلام قامت دعوته على دعاء ربه بأن يرسل لهم نبياً يبلغهم ويعلمهم القيم ، وعلى لسانه يقول تعالى : **{ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم }** [سورة البقرة ، ١٢٩] واستجابة الله سبحانه وتعالى لدعائه بإرساله محمداً هادياً ومربياً ومعه الكتاب والحكمة ، وبيان الهدف من دعوته جاء على لسانه ﷺ : " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** "[1](الصمدي، ٢٠٠٣) .

١- رواه الإمام أحمد .

والواقعية سمة أخرى من سمات القيم الإسلامية فهي ليست مثالية وإنما هي خلاصة شريعة نزلت حسب الوقائع والحوادث واستجابت لمشاكل الناس وقضاياهم وليست فكراً يبتغي المدينة الفاضلة ، التي لا وجود لها على أرض الواقع ، بل هي قيم واقعية في مراميها وأهدافها قاعدتها قوله تعالى : **{ وعجلتُ إليك ربي لترضى }** [طه ، ٨٤] ، فالعدل قيمة إسلامية هدفه مدافعة الظلم بقدر الاستطاعة ، لذلك كان الرسول يقول للمتخاصمين : " **إنما أنا بشر وأنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ بحجته من بعض فاحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليأخذها أو يتركها** "[٢] فالإسلام لم يطالب مطلق الكمال في تمثل هذه القيم ولكنه طالب المسلم الصعود في سلمها بقدر العزم والاستطاعة " (الصمدي ، ٢٠٠٣) .

والتكيف والعالمية والاستمرار سمات أخرى من سمات القيم الإسلامية ، فهي قيم قابلة للتحقيق في المجتمع باستخدام الوسائل والطرائق الملائمة وتتكيف مع مختلف الأحوال والأزمان دون تأثير على جوهرها ، وكذلك فهي قيم عالمية لا يمكن لثقافة ما أو مجتمع أن يرفضها فالعدل مطلب إنساني ، والرسالة التي جاء بها الإسلام تضمنت قيماً جاءت بها مختلف الرسالات وهي دعوة عالمية لكل الأمم والشعوب يقول تعالى : **{ وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرا ونذيراً }** [سورة سبأ ، آية ٢٨] .

والقيم في الفكر الإسلامي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلم ، فالإنسان بحاجة إلى علم ثابت لا يشوبه شك أو ريب ولذلك فالمتأمل في المسائل الوجودية المتعلقة بالإنسان والكون يرى حاجة الإنسان لذلك لأن نقصان العلم حول أي قيمة من هذه القيم ربما يؤدي إلى تمثل قيم عكسية وغير حقيقية تؤدي على نتائج خطيرة ، فالإنسان لا يستطيع بقدراته العقلية منفرداً الوصول إلى مختلف العلوم ،فهو بحاجة إلى ما جاء من الله سبحانه حول العديد من المسائل ومنها حقيقة الذات الإلهية وطبيعة الكون والمفهوم الحقيقي للحياة الدنيا إذا ما أراد معرفة القيم المتعلقة بالهدف من خلقه (الحياري ، ٢٠٠١) .

---

١. رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبي داوود والنسائي وغيرهم

اعتنى الإمام ابن عبد البر عناية واضحة بمفهوم القيم وخاصة القيم الخلقية المتعلقة بتهذيب النفس والسموّ بالروح ، فقد رأى في الإيمان والآداب والفضائل والكبائر والأخلاق ، قيماً هامة كما ربط الإمام ربطاً وثيقاً بين العقيدة والسلوك ، واعتبر أن السلوك الإنساني لا يقوم في فراغ بل يجب أن ينطلق من منطلقات ومعتقدات فكرية ، وهذه المنطلقات الفكرية هي الدافع لما يصدر عنه من أنماط سلوكية متمثلة في القول والعمل ، والمتعمق في مؤلفاته يرى نظاماً قيمياً لـه أسسه العقدية والشرعية والنفسية والاجتماعية .

وكما ربط الإمام ابن عبد البر بين آرائه في القيم الإنسانية وبين القرآن والسنة لأنه يرى أنهما مصدر هذه القيم ، وقد أشار بإسهاب إلى قيمة الإيمان التي يرى فيها رأس الأمر معتبراً أن الإيمان لا يعد كاملاً إلا إذا اشتمل على العمل الصالح ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن التربية الإيمانية في نظر الإمام ابن عبد البر .

أشار الإمام إلى أن سلوك الأفراد يقوم على مجموعة من العقائد الواضحة التي تلزم صاحبها بأنماط سلوكية محددة ومرغوب فيها ، كما تبعده عن أنماط سلوكية غير مرغوب فيها ، ولم يكتف بذلك بل أكد على النتائج التي تترتب على هذه السلوكيات في الدنيا والآخرة من خلال دعوته إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي اعتبرها أحد أبرز أهداف تحصيل العلوم ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن أفكار الإمام التربوية لاحقاً وخاصة عند حديثه عن الآداب والعلاقات في العملية التعلمية التعليمية .

رأى الإمام أيضاً ضرورة ارتباط هذه القيم بمجموعة من المعايير الشرعية التي تضبط السلوك الإنساني وهي بنظره محددة بالأحكام الشرعية الخمسة والتي تشمل :" الفرض والمندوب والمباح والحرام والمكروه " ، فهو يرى في الحكم الشرعي معياراً أساسياً تقاس به قيم الإنسان ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن أقسام العلوم عند الإمام وأثناء مناقشة آرائه التربوية .

من خلال نظرة الإسلام إلى القيم يمكن استنتاج ما يلي :

- إن نظرة الإسلام إلى الإنسان تقوم على اعتباره مفطوراً بفطرة الإيمان ، وليس صفحة مليئة بالآثام فهو مفطور على قيم الإسلام ولكن اختلاطه بالبيئات المختلفة تقربه من هذه القيم أو تبعده عنها .

- الاستمرار والمثابرة للتمسك بالقيم الإسلامية ، هدف يجب على المربين العمل على تحقيقه ، وصلاحية القيم واستمراريتها نتيجة طبيعية لصلاحية مصدرها ، وعلى المربين والمتعلمين واجب الاستمرار في حملها والتمسك بها .

- القيم الإسلامية قيم عالمية ، ولكن حملها والتمسك بها يجب أن يصدر عن نية وقصد يبتغي بذلك رضا ا   سبحانه ، فالقيم التي يمكن للفرد العمل وفق مدلولاتها دون نية ليس لها قيمة في التصور الإسلامي ، كما أن هذه القيم الإسلامية ليست قيماً جامدة أو محددة بفترة معينة وإنما جاءت الدعوة لها مفتوحة فلم يزل الفرد أو طريقة محددة لبلو3 هذه القيمة ، وعلى المربين العمل على تزويد الناشئة بهذه القيم من خلال أساليب متنوعة وملائمة للظروف التي يعيشها المتعلم .

- القيم الإسلامية قيم متميزة وتحقق للفرد والمجتمع السعادة في الدارين كونها مستمدة من العقيدة التي جاء بها الرسول عليه السلام من ربه ، فهي إلهية المصدر ، وواجب على المربين لفت الأنظار إلى مصدر هذه القيم لما يوفره ذلك من طمأنينة وراحة للنفس البشرية. كما أنها صالحة لكل زمان ومكان ولمختلف الأجناس ، وليست محددة بقوم أو بفترة زمنية معينة كونها مستمدة من رسالة عالمية ، فالإسلام رسالة إلى العالم كله .

ثالثا - الفرق الإسلامية في عصر ابن عبد البر وموقفه منها

كانت عقول المسلمين في بداية العهد متفتحة على القرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية وعلومها تستنبط منهما الأحكام وتحكمها في الأمور عامة وما يستجد من قضايا إلا أن ذلك لم يستمر ، فما كادت المائة الثالثة على بدء الدعوة الإسلامية تؤذن شمسها بالغروب حتى أخذ مصباθ الاجتهاد ينكمţ ضوؤه ويتضاءل بريقه بل كاد ينمحي أثره بانصراف الناس عن القرآن الكريم ، والنظر في آياته واستنباط الأحكام منها والبعد عن سنة النبي وأحكامه لاهين بأقوال الفقهاء والعلماء ينتصر كل واحد منهم لإمامه ، يعمل على تأييد رأيه ومذهبه حتى لو خالف القرآن وسنة النبي عليه السلام ، فانقسم الناس في الفروع شيعاً وأحزاباً ، ماتت بينهم معركة الجدل والمناظرة (يعيţ ، ١٩٩٤) ، وقد رأى المحدثون أن موافقة الفقهاء على ظهور المذاهب أدى ضرر كبير عمل على تمزيق وحدة الأمة الإسلامية (العمايرة، ٢٠٠) .

وانقسم المسلمون إزاء ذلك إلى فرق متعددة نتيجة لعدد كبير من المؤثرات الداخلية والخارجية ، والتي كان من أهمها داخلياً حرصهم على تحقيق أهداف سياسية خاصة بكل فريق فالكل يريد الانتصار لرأيه ، ولتدعيم موقفه لجأ إلى تأويل النصوص وشرحها بما يتوافق مع رأيه (علي،١٩٩١) ، وكان من أهم أسبابها خارجياً : الآثار الكثيرة التي ترتبت على نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية فتأثر العلماء والفقهاء بالعديد من الآراء الفلسفية التي جاءت بها تلك الفلسفة فزاد انقسام الأمة إلى مزيد من الفرق الإسلامية والأحزاب وتمسكت كل فرقة بموقفها . والمجال هنا لا يتسع لتفصيل ذلك ولكن الباحث رأى ضرورة الإشارة إلى هذه الفرق وبيان رأي الإمام بها لما لذلك من أثر كبير على الفكر التربوي الذي قدمه وجاء به ومن هذه الفرق :

- **أهل السنة والجماعة :**

اعتبرت هذه الجماعة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مصدرا الفكر الإسلامي عامة والتربوي خاصة حيث استمر ذلك كما سبقت الإشارة إلى نهاية القرن الثالث الهجري ومع بداية القرن الرابع اختلفت وجهات نظر الفقهاء والمحدثين من أهل السنة والجماعة وخاصة حول قضية فقه الأئمة وكانت وجهة نظر أهل الحديث أنهم يعتمدون في قضايا الاعتقاد والفقه على القرآن الكريم والحديث ، وخاصة أهل الحجاز حيث كان الحديث شائعاً ، أما أصحاب الرأي " الفقهاء " فكانوا يعتمدون القياس وجعلوا يفتون في قضايا الفقه خاصة بالرأي وشاع ذلك وكثر أصحابه وخاصة في بداية العصر العباسي (فروخ ، ١٩٧٢) ، وبالرغم من الاختلافات الكثيرة فقد ظهر العديد من المفكرين التربويين في تلك الفترة ، ومن أشهرهم : ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ) ، ومحمد بن الحسن الآجري (ت، ٣٦٠هـ) ، والقابسي (ت ٤٠٣هـ) ، واستمر ذلك أيضاً في القرن الخامس الهجري رغم الاختلافات المذهبية ، وظهر منهم الماوردي(ت ٤٥٠هـ) ، والخطيب البغدادي (ت، ٤٦٣هـ) وابن عبد البر(ت ، ٤٦٣هـ) والذي رأى في أصحاب هذه الفرقة أو ما سماهم أهل السنة والجماعة متتبعون للأثر وللفقه (ابن عبد البر،١٩ĚĚ) ، وهم الذين تمسكوا بمنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وأئمة المذاهب الفقهية ، ورأى فيهم أنهم جماعة الحق ولذلك جاء موقفه منهم الاتباع والتعظيم والاحترام ، ورأى أنهم يمثلون النهج الصحيح فهم علماء الأمة وفقهاؤها (يعيش ، ١٩٩٤) . تجدر الإشارة هنا إلى أن الفكر التربوي عند علماء هذه المدرسة ركز على إيجاد فلسفة تربوية ، وتحديد المنهج التربوي وميادينه ، ووضع قوانين للتعلم ، وظهرت الدعوات الصريحة لإنكار

التقليد والدعوة للحرية الفكرية ، ومحاولة إيجاد تكامل في المنهاج وخاصة بين منهاجي الفقه والحديث وأخيرا الدعوة إلى الانفتاθ على الآخرين (الكيلاني ، ١٩Ĕ٥).

▪ الخوارج :

هم فرقة من المسلمين خرجت على إجماع الأمة محتجة بقبول الإمام علي بن أبي طالب للتحكيم قائلين :" لا حكم إلا حكم ا " وهذا يشير إلى خروجهم عن الخلافة وإنكارهم لها ولتبرير موقفهم عمدوا إلى تكذيب الكثير من الأحاديث النبوية والعديد من أحكام السنة والقرآن وتمردوا على الخلافة ولهم تعد هذه الفرقة تعترف بها ، وهكذا أنكروا الخلافة ، كما تنكروا بموقفهم هذا للإمام علي بن أبي طالب مدعين أن الحكم ولا لزوم للخليفة ، ونادوا بمقاطعة الخلافة وأشاعوا بين الناس فكرة أن المسلمين ليسوا بحاجة إلى حاكم يحكمهم وينظم أمورهم وشؤونهم بل الحكم فقط هو حكم ا (يعيţ ، ١٩٩٤) ، قال فيهم الإمام ابن عبد البر : " كان خروجهم ومروقهم زمن الصحابة فسموا بالخوارج وسموا بالمارقة ، يقول فيهم الرسول عليه السلام :" **تقتتل طائفتان من أمتي فتمرق بينهما مارقة تقتلهما أولى الطائفتين بالحق**" [١] . (الغصن ، ١٩٩٦) ، فهذا أصل ما سميت به الخوارج والمارقة واستمر خروجهم على السلاطين فأكدوا الاسم ثم افترقوا فرقاً لها أسماء منها :

الأبايضة[٢] ، والأزارقة[٣] ، والصفرية[٤] ، وغيرهم (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) . وقد أشار الإمام إلى بعض عقائدهم المخالفة كإنكارهم لصلاة الجماعة وإنكارهم للحوض وغير ذلك (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) .

---

(١) رواه أحمد (٢٥١٣) ، ورواه مسلم في كتاب الزكاة (١٥١) ، (٧٤٦/٢) .

(٢) اتباع عبد ا بن إباض من تيم اللات من ثعلبة التميمي من بني مرة ، ولد في زمن معاوية رضي ا عنه ، وإليه تنسب فرقة الأباضية ، توفي في آخر حياة عبد الملك بن مروان ، أنظر ترجمته في : الكامل للمبرد والفرق بن الفرق والملل والنحل ،الأعلام، وكتاب دراسات في أصول الأباضية.

(٣) أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري – أبو راشد – رأس الأزارقة وإليه نسبتهم ، كان أمير الفرقة وفقيههم ومن أهل البصرة في أول أمره عبد ا بن عباس وله أسئلة رواها وكان جبارا فتاكاً مثيراً للفتن توفي سنة (٦٥هـ) ، أنظر ترجمته في الملل والنحل وميزان الاعتدال لسان الميزان والأعلام.

(٤) الصفرية : أتباع زياد بن الأصفر وهم من الخوارج ومن عقيدتهم أن أصحاب الذنوب مشركون ، وأن كان الذنب قولا دون عمل ، وللاستزادة عنهم يمكن الرجوع إلى المراجع السابقة نفسها .

▪ المرجئة :

فرقة كلامية أخرى كانت ترى أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط أو معرفة ا بالقلب فقط دون المظهر ، فإن آمن الإنسان بقلبه فهو مسلم ، ومنهم من رأى أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان فالإقرار بالقلب وحده لا يكفي والإقرار باللسان وحده أيضاً لا يكفي ،بل لا بد منهما معاً لذلك يرون العمل ليس ركناً ، ويرون أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، ولا بكافر وإنما يرجأ أمره إلى حكم ا فيه لذلك سموا بالمرجئة (يعيţ ، ١٩٩٤) .

رأى الإمام فيهم فرقة ضالة لأن مفهوم الإيمان في نظره مخالف لهم فهو يرى ضرورة مواكبة العمل لإقرار القلب ، وإقرار اللسان ، فالأعمال عنده ركن من الإيمان لا يكتمل إلا بها ولكن موقفه قريب منهم في مرتكب الكبيرة ، فهو يرى أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة ا إن شاء غفر وإن شاء عذبه ý ولذلك فهو يوافق رأيهم في بعض المسائل ويخالفهم في مسائل أخرى (ابن عبد البر، ١٩ĚĚ) ، ويمكن هنا استنتاج أنها فرقة ضالة لكنها بنظره ليست مارقة وأتباعها ليسوا كافرين لأنهم لم ينكروا الأحاديث ولم يؤولوا القرآن .

▪ القدرية والمعتزلة :

تشير سنقر(١٩٩Ě) أن تاريخ المعتزلة عائد إلى أوائل القرن الثاني الهجري ، وأنهم واضعوا علم العقائد ، وأن واصل بن عطاء الذي اختلف مع أستاذه الحسن البصري فاعتزل وقيل عنه "اعتزا عنا واصل " فسمي واصل ومن اتبعه بالمعتزلة .

وهي فئة من المسلمين أولت الآيات والأحاديث وقالت بقدرة الإنسان على العمل ، وخلق أفعاله بحيث هو من يقوم بذلك بنفسه ، وهو حر يفعل ما يريد ويترك ما يريد وهو غير مجبر على أي عمل ، ومعنى هذا أن ليس سلطان على عمله ، وهذا الرأي ما ذهبت إليه فرقة أخرى سموا بالقدرية والتي حملت نفس الآراء (ابن عبد البر، ١٩ĚĚ) ، وقد وقف المفكرون المسلمون من هاتين الفرقتين مواقف مختلفة فمنهم من رأى فيهم فرقة ضالة ، ومنهم من أنكر عليهم رأيهم واعتقادهم ، ومنهم فصل في ذلك ويبدو أن الإمام ابن عبد البر يقف منهم موقف الرافض لأقوالهم والمنكر عليهم اتجاهاتهم العقلاني ، يقول فيهم :" أجمع أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون في جميع البلدان في طبقات العلماء، وإنما العلماء هم المتبعون للأثر والفقه ، (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ، ووصفهم بهذا لأنهم يقولون

بأن الإنسان حر في أقواله وأعماله (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) ، كما وصفهم بالزنادقة وأصحاب الاعتقاد الفاسد (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ، كما وصفهم بأنهم أهل الهوى والبدع (ابن عبد البر، ١٩٩٦) ، كما يرى عدم جواز إجازة كتبهم و حتى قراءتها أو شرائها (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ويورد لذلك أسباباً متعددة :

١. إنكارهم للعديد من الأحاديث الصحيحة كحديث الحوض ، يقول الإمام في ذلك :" الأحاديث في حوضه متواترة صحيحة ثابتة كثيرة ، الإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب ، والإقرار به لازم ، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ، وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) .
٢. إنكارهم لبعض أحكام القرآن الكريم ومنها " الرجم " وروى في ذلك قول عمر بن الخطاب (... أن الرجم حق وآية ذلك : أن الرسول ﷺ قد رجم وأبا بكر أيضاً ، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ، ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون في الشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحنوا" (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) .

قال فيهم أيضاً :" كان للقوم صلاة بالليل وصيام ، يحقر الناس أعمالهم عندما كانوا يتلون القرآن إناء الليل وأطراف النهار ... ولم يكن يتجاوز حناجرهم ولا تراقيهم لأنهم كانوا يتلونه أيضاً بغير علم ... كانوا قد حرموا أجره وفهم معانيه" (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) ، وقد ذكر الإمام أيضاً عقائد أخرى للخوارج لا يتسع المجال لتفصيلها كإنكارهم لصلاة الجماعة (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) ، ويمكن استنتاج رفض الإمام لأقوالهم وآرائهم واعتبارهم في نظره أهل البدع والضلالة كونهم أولوا آيات القرآن الكريم وفهموها على غير ظاهرها خدمة لآرائهم وأهدافهم .

- **الشيعة :**

فئة من المسلمين اعتقدت بأن علياً – كرم الله وجهه – وذريته أحق بالخلافة ، وأن علياً أحق بهما من أبي بكر وعمر وعثمان، وأن النبيﷺ قد عهد بها إليه من بعده (أمين ، ١٩٦٥) ، وفلسفة الشيعة تقوم على اعتبار أن أهل البيت هم خلفاء الرسول ﷺ ، وأن حركة التشيع تقوم على اعتبار أحقية علي بالخلافة ، وأن بني هاشم وبني عبد المطلب وبعض المهاجرين والأنصار كانوا يعرفون بالعلوية بعد وفاة الرسول (شلبي، ١٩٧Ĕ) وهناك من يرى أن الشيعة لم

تظهر إلا في عهد علي وأنها كنظام سياسي لم تظهر إلا بعد ذلك الوقت بكثير (القزويني، ١٩Ĕ٥) .

لقد تباينت عقيدة أهل الشيعة من الخلافة مع أهل السنة والجماعة وأنكرت بشكل واضح خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لذلك جاء موقف الإمام منهم مغايراً ورافضاً على اعتبار أنه يرى في أهل السنة والجماعة هم أصحاب الرأي الصائب فهم في نظره على الحق، وأما الشيعة فهم على باطل ، وأنهم خارجون عن منهج السلف الصالح ، وعن إجماع الأمة ، من ثم فلا يعتد برأيهم في مجال العقيدة ولا في أحكامهم الفقهية ، أشار الإمام إلى جملة من الأفكار والأحكام الفقهية التي وردت على لسان أئمتهم وثقاتهم مبيناً زيفها وبطلانها ومن ذلك بطلان رأيهم في زواج المتعة ، وفي ذلك خير دليل على فساد رأيهم ، والقول الفصل هنا أن علياً كان على الحق وأنه رابع الخلفاء الراشدين المهديين (يعي ţ ، ١٩٩٤) .

تجدر الإشارة أيضا إلى أن أهم سمات الفكر الشيعي القول بالاجتهاد وأنه لا يمكن التخلي عنة فكرة أهمية المجتهد ومسؤوليته في بناء وتوجيه المجتمع في سمة العمل والمعرفة، حيث تقسم الشيعة العمل إلى قسمين : عقلي ، مادي ، وبذلك لم يهمل الفكر التربوي الشيعي الناحية العملية وارتباطها بالعلم ، وأنهما مكملان لبعضهما البعض ، فلا يمكن أن يكون هناك علم بلا عمل وهذا يشير إلى رفض فكرة حشو العقول بالمعرفة بل لا بد من ظهور أثر العلم على سلوك المتعلم (العمايرة ، ٢٠٠٠) .

وتشير التربية الشيعية على أنها تشمل التربية الجسمية والعقلية معاً ، وأن المعارف العقلية عندهم طائفتين : المعارف الضرورية والمعلومات النظرية ، كما أن المعارف أو العلوم الكسبية تشمل مجموعة من القضايا لا تؤمن النفس بصحتها إلا أنها على ضوء معارف ومعلومات سابقة فيتوقف صدور الحكم منها في تلك القضايا على عملية تفكير واستنباط للحقيقة من حقائق أسبق وأوضح ، وتقوم مناهجهم على التوسع في العلوم الهامة كالشريعات والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام ، والطبيعيات والإلهيات والعلوم الاجتماعية وغيرها (العمايرة، ٢٠٠٠) .

الفصل الثالث

أقسام العلوم وأساليب تحصيلها

في الفكر التربوي عند الإمام

ابن عبد البر الأندلسي

أقسام العلوم وأساليب تحصيلها في الفكر التربوي
عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي

أخذ المسلمون بحظ وافر من العلوم في عصر الإمام ابن عبد البر الأندلسي على اختلافها ، وميز علماؤهم ومفكروهم بين العلوم التي تتصل بالقرآن والسنة النبوية ، والعلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم فأطلقوا على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية ، وعلى الثانية العلوم العقلية أو الحكمية ، وانتشرت الثقافة في عصره انتشاراً يدعو إلى الإعجاب ، ونضجت ملكات المسلمين في البحث والتأليف والتحصيل ، وأقبلوا على هذه العلوم طلباً وتعليماً حتى أصبح طلبة العلم يجوبون البلاد سعياً إلى مواد العلم وحلقات الدرس (حسن، ١٩٩١) وكانت قرطبة التي نشأ فيها الإمام وعاش فيها معظم سني عمره مركزاً هاماً من مراكز الإشعاع العلمي والثقافي فقد ازدهرت فيها الدراسات العلمية ، ونبغ فيها العديد من العلماء والمفكرين الأفذاذ وخاصة في مجال العلوم الدينية ، وابن عبد البر واحد منهم إلى جانب العديد من المفكرين والعلماء كابن حزم القرطبي وابن الصيرفي وغيرهم (القيسي ، ١٩٨٦) .

في هذا الفصل سيتم التطرق إلى مفهوم العلم وأهميته وأهدافه ومبادئه ، وأساليب تحصيله عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي .

مفهوم العلم

أولى المربون المسلمون العلم أهمية كبيرة ، فالمتتبع لمؤلفاتهم ومصنفاتهم يلاحظ اهتمامهم الشديد بهذه العلوم ، والملاحظ أيضاً أنهم تحدثوا عن العلم وهم يقصدون به مناهج الدراسة وموادها التي يسعى الطلبة لتحصيلها والإلمام بها ، ومن الملاحظ أن هذه المواد قد تتسع أو قد تضيق حسب اهتمامهم وآرائهم ، وكذلك فإنهم لم يحددوا مواد بعينها لكل مرحلة من مراحل الدراسة التي ينبغي للمتعلم أن يمر بها (الخولي، ١٩٧٨) ، وكان ابن عبد البر واحداً منهم ، فهو لم يحدّد لكل مرحلة مواداً بعينها ، والناظر في مؤلفاته ومصنفاته يستنتج اهتمامه وتركيزه على المواد المتعلقة بالتربية الإسلامية وخاصة القرآن الكريم وعلومه ، والسنة النبوية وعلومها ، وكان هذا الاهتمام مشتركاً بين أغلب أصحاب الفكر التربوي الإسلامي فبعضهم اقتصر عليها وبعضهم جعلها في قمة الهرم – ومنهم ابن عبد البر – فالنظرة الشاملة لمؤلفاته

ومصنفاته تشير بوضوح إلى عدم اقتصاره على العلوم الدينية ، بل كان لـه اهتمام واضح بالعلوم الدنيوية الأخرى والتي تفيد الناس في حياتهم ومنها علوم الطب والفلك والهندسة والمهن وغيرهـــا (الخولي ، ١٩٧٤).

لقد كان ابن عبد البر كغيره من علماء المسلمين ومفكريهم يدرك أهمية العلوم الدنيوية لاستمرار الحياة وحاجة الناس فأولاها اهتماماً شديداً وحث المتعلمين على طلبها وتحصيلها مورداً العديد من الأدلة والآثار التي تؤكد ذلك ومنها قول النبي ﷺ: " **من أدى الفريضة وعلم الناس الخير كان فضله على المجاهد العابد كفضلي على أدناكم رجلاً** "[1] . والحكمة القائلة : " اطلب العلم ولو بالصين " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) . ودائرة الخير التي يستطيع الإنسان أن يرشد إليها غيره أوسع من شؤون العبادة ، فكل علم فيه منفعة وصلاح لشؤون الحياة له أثر كبير وقيمة محمودة، إضافة إلى استحالة أن يذهب الناس إلى الصين لطلب العلوم الدينية فهو يشير صراحة إلى تعلم العلوم الأخرى والتي سماها العلوم الدنيوية (الخولي ، ١٩٧٤) .

والناظر في تقسيمه للعلوم يلاحظ أنه قسم العلوم أيضاً إلى علوم دينية وأخرى دنيوية وهذا يؤكد أنه لم يقتصر على العلوم الشرعية ، بل تعداها إلى علوم الدنيا وخاصة تقسيمه العلوم حسب أهل الديانات ، تلك التي تحدد أن العلم الأعلى هو علم الدين (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) وهناك علوم الدنيا التي تأتي في المرتبة الثانية – كما سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن أقسام العلوم – وقد أورد لتأكيد رأيه في شمول العلم لعلوم الدنيا والدين قول الإمام الحسن بن علي : " العلم أربعة أوجه : ما كان في كتاب الله الناطق وما أشبه ، وما كان في سنة النبي ﷺ المأثورة وما أشبهها ، وما كان فيما اجمع عليه الصحابة وما أشبهه ، وكذلك ما اختلفوا فيه لا يخرج عن جميعه ، فإذا وقع الاختيار فيه على قول فهو علم يقاس عليه وما أشبهه ، وما استحسنه علماء فقهاء المسلمين وما أشبهه وكان لـه نظير ، وقال" لا يخرج العلم عن هذه الوجوه الأربعة" (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

يرى ابن عبد البر ضرورة تحصيل العلوم أياً كان مصدرها وحتى لو كانت من المشركين طالما أن المسلمين لا يطلبون علماً عقائدياً مخالفاً لشريعتهم ودينهم ، بل العلــــوم

---

(١) أخرجه الدارمي / ٣٤٠ ، والطبراني في الكبير ٧٩١١ ، والترمذي ٢٦٨٥ وقال هذا حديث غريب ، وقال الألباني : حديث صحيح " .

النافعة لحياتهم ، يقول الإمام وروينا عن علي بن أبي طالب رحمه ا قال في كلام له : "العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من المشركين ، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

اعتبر الإمام أن العلم في منزلة النبوة والوحي والعلماء المعلمين الذين يوصلون علومهم لتلاميذهم يحملونها من بعدهم هم ورثة الأنبياء وعليهم ما على الأنبياء من وجوب نشر العلم بين الناس كما على الأنبياء نشر الرسالات ، ولهم في ذلك أجر كبير ومنزلتهم أعلى من منزلة العباد والشهداء فا سبحانه تعالى فضّلهم على العباد والشهداء لما يقومون به من عمل عظيم استحقوا عليه مرتبة عالية عند ا (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

يحدد الإمام مفهوم العلم بالتبين والاستيقان ويرى أن التقليد ليس بعلم ، والتقليد هو اتباع الآخرين والقول برأيهم دون النظر والتدبر والتفكر في صحة هذا الرأي ، يقول في ذلك: " حد العلم عند العلماء في هذا المعنى هو كل ما استيقنته وتبينته ، فكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه،وعلى هذا فكل من لم يستيقن شيئاً وقال به تقليداً فلم يعلمه(ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ويفرق أيضاً بين التقليد والاتباع فهو يرى أن التقليد : أن تقول بقول الشخص دون النظر في صحة القول والعمل ، وأما الإتباع فهو أن تتبع القائل على ما رأيته خيراً وما تأكد لك أنه صحيح لا غبار عليه ، يقول في ذلك : " والتقليد عند جماعة العلماء غير الاتباع لأن الاتباع أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرف وجه القول ولا معناه وتأبى من سواه ، أو أن يتبين لك خطأه فتتبعه مهابة خرقه وأنت قد بان لك فساد قوله " (الغصن ، ١٩٩٦) ، والتقليد هو :" قبول قول الغير من غير حجة ... ولا يسمى الأخذ بقول النبي أو الأخذ بالإجماع تحديداً ؛ لأن ذلك الحجة بعينه (المقدسي، ١٩٨٠) .

وابن عبد البر وإن كان شدد في النهي عن التقليد ، وذمه إنه لم يكن من المبالغين في تحريمه فهو يرى أن للعامة الذين لا يستطيعون النظر في الأدلة أن يقلدوا العلماء ، يقول في ذلك : " فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها ، لأنها لا تتبين موقع الحجة ، ولا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك ... ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها

وأنهم المرادون بقول ا تعالى **{ فسئلوا أهل الذكر }** (سورة الأنبياء ، آية ٧) (الغصن، ١٩٩٦) بل تعدى ذلك إلى القول بجواز التقليد لغير العامي في خاصة نفسه ، يقول في ذلك :" فإن اضطر أحد إلى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه ، جاز لـه ما يجوز للعامة من التقليد واستعماله عند إفراط التشابه والتشاكل ، وقيام الأدلة على كل قول يعضده" (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

يرى الإمام في معرض تفريقه بين الرأي والعلم أن الرأي ليس بعلم ، وكأنه يشير إلى إمكانية وقوع صاحبه في الخطأ فكيف يكون رأيه علماً ؟ فالرأي عنده غير العلم وفي ذلك يقول أنس بن مالك : " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما خالف الكتاب والسنة ولم يوافقهما فاتركوه " . وقول مصعب الزبيدي نظماً: "واترك ما علمت لرأي غيري وليس الرأي كالعلم اليقيني " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

يشير الإمام أيضاً في معرض توضيحه لمفهوم العلم أن أضعف العلوم هي علوم النظر ويورد على ذلك قول عطاء : " وأضعف العلم أيضاً علم النظر كأن يقول الرجل : رأيت فلاناً يفعل كذا ولعله قد فعله ساهياً " (ابن عبد البر،١٩٩٦) . ويرى أيضا جواز ترجمة علوم الأمم الأخرى والإفادة منها يقول في ذلك : والعمل عند أهل غير اللسان العربي يجوز ترجمته باللسان العربي علماً ويترجم معرفة ويترجم فهماً " وهو بذلك يشير إلى جواز نقل علوم الأمم الأخرى والإفادة منها مما توصلوا إليه من تطور في شتى مناحي الحياة " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

أهمية العلم

يرى الإمام ابن عبد البر أن للعلم أهمية كبيرة في حياة الأمة ، وأن تعلم العلوم واكتسابها يؤدي إلى تحقيق الخير للفرد والمجتمع فهو ينفع الناس في دنياهم وآخرتهم ، ويؤدي إلى تقوية الروابط الاجتماعية بين الناس ، ومن أهم ما أشار إليه الإمام في أهمية العلم:-

- أن تعلم العلوم واكتسابها يؤدي إلى نفع المسلمين في دنياهم في المجالات المختلفة وعلى كافة الصعد ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ويترك أثرا إيجابيا في مختلف مناحي الحياة (الخولي ، ١٩٧٤) .

- إن اكتساب العلوم والعمل بها يؤدي إلى إرضاء الله سبحانه وتعالى والخشية منه ، فالعلم يؤدي إلى الإيمان ، والإيمان نتيجته الطبيعية خشية الله ، والعمل على إرضائه ، وقد أورد العديد من الآثار التي تؤيد رأيه ، ومنها قوله ﷺ :" **ما من عبد يغدو في طلب العلم مخافة أن يموت جاهلا أو في إحياء سنة مخافة أن تدرس إلا كان كالغازي الرائح في سبيل الله عز وجل ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**"[1] وقوله أيضاً **:" مثل ما بعثني الله عز وجل من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت بقعة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وكانت منهم طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ وذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من علم فعلم وعمل به ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** "[2] (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

- يلعب العلم دوراً كبيراً في حياة الفرد والأمة ، فالفرد المتعلم من يتحمل المسؤولية ، وإليه يمكن الرجوع عند تدارس أوضاع الأمة وبحث مشكلاتها ، وأورد العديد من الأدلة شواهد على ذلك ومنها قوله ﷺ **:" فعن معادن العرب تسألوني ؟ إن خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** "[3] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

- إن للعلماء مكانة مرموقة ودوراً كبيراً في رفعة شأن الأمة ، فهم بنظره مفضلون على جميع الناس حتى الشهداء ، وقد أورد على ذلك قوله ﷺ :" **يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**"[4] **.** والترتيب هنا بنظر الإمام للأفضلية فالعلماء يأتون في المرتبة الثانية بعد الأنبياء (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

- بلوغ المتعلم المنازل العليا في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يصبح المتعلم إماماً في الخير يقتفي الناس أثره ، وفي الآخرة مقدم على الشهداء والعباد ، يقول الإمام وروينا في ذلك " من أخذ العلم لجاماً ، اتخذه الناس إماماً ، ومن عُرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار".

١- أخرجه البخاري (١٠) وأبو داود (٣٦٤٣) والترمذي (٢٦٤٦) وأحمد (٣٢٥/٢) والدارمي(٩٩/١).
٢- أنظر السابق وقد أخرجه أيضا مسلم (٢٦٩٩) وابن ماجة (٢٢٥) .
٣- أخرجه البخاري (١٠) وأبو داود (٣٦٤٣) ، والترمذي (٢٦٤٦) وأحمد (٣٢٥/٢) وابن أبي شيبة(٥٤١/٨)
٤- أخرجه ابن ماجة (٤٣١٣) ، والعقيلي (٣٦٧/٣) ، والآجري في "أخلاق العلماء" برقم(٣٠) .

وقول عبد الملك بن مروان: " تعلموا العلم فإن استغنيتم كان لكم كمالاً ، وإن افتقرتم كان لكم مالاً " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

- أهمية العلم للفرد بعد موته معتبراً أن العلم النافع يبقى بعد موت صاحبه نافعاً للناس من بعده وكذلك فإن هذا العلم سبيلاً لخلود ذكرى صاحبه ووسيلة لكسب الأجر والثواب ما دام علمه قائماً بين الناس من بعده ، وقد استشهد على ذلك بقوله ﷺ: "**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية Û وعلم ينتفع به Û وولد صالحη يدعو له** "(١) (ابن عبد البر، ٢٠٠٠)

وجوب نشر العلم وتبليغه

طالب الإمام بضرورة قيام الناس أفراداً وجماعات بنقل العلم ونشره ، وتعليمه للناس وله من الآراء الكثيرة التي تدل دلالة واضحة على إحاطته الكاملة بأهمية الموضوع وعوائد ذلك على كل من المعلم والمتعلم ، ومن ذلك ما أشار إليه بضرورة عدم انكفاء المتعلم على ذاته واحتفاظه بهذا العلم لنفسه لأن في ذلك حجراً للعلوم على فئة قليلة من المجتمع ، وبالتالي عدم إفادة الناس من هذا العلم مستشهداً على ذلك بقول الرسول ﷺ :" **يا علي لئن يهدي ا بp رجلاً واحداً خير لp مما طلعت عليه الشمس**" (٢) ، وفي هذا إشارة واضحة إلى ضرورة تعميم العلوم ونقلها إلى كافة أفراد المجتمع ، وبالتالي دعوته الصريحة إلى عدم جواز إخفاء العلوم عن الآخرين (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

والاستمرار ومواصلة نشر العلم مبدأ هام من مبادئ التربية في الإسلام يطالب فيه المعلمين والعلماء بمواصلة نشر العلم ؛ لأن العلم لا حدود لـه وهو سبب للرفعة (القضاة، ١٩٩Ĕ) ، وضرورة عدم التوقف عن ذلك انطلاقاً من الفرضية القائلة : بأن المسلم معلم ومتعلم طوال حياته ، وحتى بعد مماته بما يترك من آثار علمية ، والتوجيه الداعي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من هذا المبدأ ؛ لأنه لا يتم إلا بالتعلم (القضاة، ١٩٩Ĕ) وقد تم استنتاج هذا المبدأ من خلال ما تم ملاحظته من سيرته الطويلة التي قضاها بين طلابه ومعلميه، ولتأكيد

---

١. صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد (Ĕ٣) ومسلم (١٦٣١) والترمذي(١٣٧٦) ، والنسائي(٢٥٤/٦) وأحمد(٣٧٢/٢) .
٢. أخرجه البخاري بلفظ "حمر النعم" وأخرجه الحاكم في المستدرك (٦٥٣٧) والطبراني في الكبير(٩٦٢) وغيرهم .

ذلك يستشهد بقول الرسول ﷺ :" **مثل الذي يتعلم العلم ولا يتحدث به كمثل الذي يكنز الذهب ولا ينفق منه**"[(١)] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

وطالب بضرورة نشر العلوم وتعميمها على كافة الناس دون استثناء ، بحيث يكون التعلم حق لجميع الناس بغض النظر عن فئاتهم وطبقاتهم ، وفي ذلك رد على الدعوات القائلة بأن التعلم يجب أن ينحصر في فئة معينة من فئات المجتمع ، وهو مبدأ هام تأخذ به كافة التربيات المتقدمة التي تدعو إلى تعميم التعليم ، ويورد في ذلك ومنها قول الإمام علي بن أبي طالب :" لم يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أخذ العلماء ببذل العلم على الجهال ؛ لأن العلم قبل الجهل " وقول مالك :" بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة كما يسأل الأنبياء - يعني عن تبليغه– " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) ، وهذا المبدأ من مبادئ التربية الإسلامية يقرر مبدأ الكرامة الإنسانية التي تشيع الاحترام المتبادل بين الناس ، وتكرس مبدأ التعاون والمساواة (النحلاوي ،١٩٨٣) .

وأكد على العلماء بضرورة عدم التقاعس في نشر العلم ، وأن عليهم أن يبذلوا طاقتهم في تعليم العلوم في مختلف مراحل حياتهم ، وأن لا يتوقفوا عن نشره ؛ لأنهم يحملون أمانة نشر العلم ، وتبليغه لكل الناس . وفي سيرته الطويلة ما يؤكد ذلك فقد قضى حياته معلماً ومتعلماً ولم يتوقف عن ذلك ، وهو يرى أن العلم مرتبط بوجود العلماء ، وأن العلم يقبض كلما ذهب عالم ، وفي إشارة إلى موت العلماء أورد العديد من الأدلة والآثار التي تؤيد ذلك ، ومنها قوله ﷺ :" **تظهر الفتن ويكثر الهرج قيل : ما الهرج ؟ قال: القتل القتل ، وقبض العلم** " فسمعه عمر بأثره عن النبي عليه الصلاة والسلام فقال **:**" إن قبض العلم ليس شيئاً ينزع من الصدور ولكنه فناء العلماء"[(٢)] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

وقد حذر العلماء والمعلمين من النتائج الخطيرة التي تترتب على عدم قيامهم بنشر علومهم، والتي من أهمها أن يحل الجهلة محل العلماء ، فيصبحوا هم علماء الأمة فتنزلق إلى

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٩٣) ، وقال تفرد به عبد الله بن طعيمة .
(٢) أخرجه البخاري (٨٥) ومسلم (٦٧٣٩) وأحمد (٩١٢٩) ، بألفاظ قريبة وأخرجه باللفظ نفسه أحمد في المسند(١٠٥٢٤) والحارث في بغية الباحث (٦٣) .

مصاف الأمم الجاهلة ، وبالتالي تأخرها وزوالها ، وقد أورد في ذلك قولـه ﷺ :" **إن ا لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه ، ولكنه يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب ما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيضلوا ويضلوا** "[(١)] (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

وطالب الإمام أيضاً بحمل المعرفة والعلم إلى الآخرين لينتفعوا بها مشيراً إلى أن ذلك من خير القربات التي يتقرب بها إلى ا سبحانه ، فنشر العلم إلى الناس والإفادة منه بنظره فريضة ، وعلى كافة العلماء وجوب العمل بها ، كما أن كافة المسلمين مطالبين بذلك ؛ لأن كل مسلم في نظره لا بد وإن تكون له اهتمامات علمية ، وعليه نقلها إلى الآخرين ، وسيأتي وقت يصبح لهذا العلم قيمة أو نفع لبعض الناس أو جميعهم (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

لم يغفل الإمام دور الحاكم في نشر العلم وتعميم العلوم ، فقد طالبهم بإصدار أوامرهم إلى العلماء بنشر علومهم وتعليمها للناس ، وعليهم واجب تقديم كل ما يلزم من أجل ذلك وكأنه يشير بذلك إلى دور الحاكم في نشر العلم وروي في ذلك عن جعفر بن برمان قوله :" كتب إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد :" فمر أهل الفقه والعلم عندك فلينشروا ما علمهم ا في مجالسهم ومساجدهم " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

وطالب العلماء بنشر علومهم قبل قبضها وذهاب العلماء مبيناً النتائج الخطيرة التي تترتب على عدم قيامهم بذلك قبل موتهم ، والآثار السيئة المترتبة على ذلك على كل من الفرد والمجتمع ، ويروي في ذلك ابن عباس – رضي ا عنه – قوله لما مات زيد بن ثابت :" من سره أن ينظر كيف يكون ذهاب العلم ، فهكذا ذهابه" وقول أبي الدرداء : تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب بأصحابه العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس لا خير فيهم إن أغنى الناس رجلا عالما افتقر إلى علمه فنفع من افتقر إليه ، وأن استغنى عن علمه نفع بالعلم الذي وضع ا عز وجل عنده ، فما لي أرى علماءكم يموتون ، وجهالكم لا يتعلمون ولقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر ، ولو أن العالم طلب العلم

---

(١) صحيح أخرجه البخاري(١٠٠) ومسلم(٢٦٧١) .

لازداد علماً ما نقص العلم شيئاً ، ولو أن الجاهل طلب علماً قائماً ، فما لي لا أراكم شباعاً عن الطعام جياعاً عن العلم " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

ورأى الإمام أن العلم مفضل على العبادة مؤكداً على المنزلة الرفيعة لطالب العلم لما للعلم من أهمية تفوق العبادة ، وقد استشهد على ذلك بقول الرسول ﷺ :" **قليل العلم خير من كثير العبادة ۩ وكفى بالمرء علماً إذا عبد ا ۩ وكفى بالمرء جهلا إذا عجب برأيه ۩ إنما الناس رجلان : عالم وجاهل فلا تمار العالم ولا تحاور الجاهل "[(١)] .** وفي ذلك ما يكفي من الإشارة إلى أهمية العلم وتقديمه على العبادة ، وتوجيه الفرد بعدم ممالأة العالم الجاهل ؛ لأن في ذلك ضياع للعلم (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

أشار الإمام أيضاً على ضرورة الإلحاθ في طلب العلم وحمد السؤال في طلبه ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ضرورة البحث والتنقيب والاستمرار في طلب العلم ، وقد استشهد على ذلك بقول الرسول ﷺ : " **شفاء العي السؤال** "[(٢)] وقول عائشة : " رحم ا نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء عن طلب العلم " وفي رواية أخرى " لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمور دينهن"، وقول عبد ا بن مسعود " زيادة العلم الابتغاء ، ودرك العلم السؤال فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت" (ابن عبد البر،٢٠٠٠) ، ويؤكد على ضرورة مواصلة الفرد المسلم التعلم خلال فترات الحياة المختلفة، وليس الاقتصار على فترة واحدة كما يظن الكثير من الناس أن للتعلم فترة محددة وبعدها يتوقف الفرد على ذلك ، كما أن هذا العلم يجب أن يشمل كافة ما يهم الفرد المسلم في حياته بغض النظر عن لونه وجنسه " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

هذه التوجيهات التي أشار إليها الإمام مصدر قوة الأمة ومنعتها وعزتها ، وسبب استمرارها ووجودها لا يهمها من خالفها من الأمم ، وكأنه يشير إلى أن الأخذ بذلك يؤدي إلى بقاءها مرهوبة الجانب ، ويستشهد على ذلك بقوله ﷺ :" **من يرد ا به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم وا يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر ا** "[(٣)] (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

---

(١) يشهد للقسم الأوسط منه (كفى بالمرء ... رأيه " حديث مسروق عن الدارمي (٣١Ĕ/٣ĔĔ)
(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٦) وابن ماجه (٥٧٢) والدارمي (٧٥٢) وأحمد (٣٠٥٧) والحاكم المستدرك(٦٣٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦ĔĔ٢/٩٤Ĕ/٧١ ومسلم (١٠٣٧) والترمذي (٢٦٤٥) وابن ماجة (٢٢) ومالك ٢٥٩٩.

وجوب طلب العلم وتحصيله

أشار الإمام ابن عبد البر إلى أهمية طلب العلم معتبراً أن تحصيل العلم فرض من الفرائض ومنزلته تأتي بعد منزلة النبوة والوحي من حيث أهميته ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وعليهم تقع مسؤولية نشر العلم كما على الأنبياء مسؤولية نشر الرسالة ، وقد استشهد على ذلك بقول الرسول ﷺ :" **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**" [1] ، وهذا يشير إلى أن طلب العلم واجب على الناس وهو بمنزلة الفرض، وهناك مسؤولية كبيرة في عدم القيام بذلك تماماً كمسؤولية الفرد عن عدم إقامة الفرائض الأخرى من عبادات وغيرها ، والقيام به يرتب للفرد خيرا كثيرا ومنها تدافع كافة المخلوقات في الأرض والسماء للاستغفار له والرضى على ما يقوم به. يستشهد الإمام على ذلك بقول الرسول ﷺ :"**طلب العلم فريضة على كل مسلم وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان بالبحر**"[2](ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

ويرى أن هناك من العلوم ما يلزم جميع الناس تعلمها ، وعليهم أن يقوموا بذلك ، يقول في ذلك :" .. وما يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة "(ابن عبد البر،١٩٩٦) . وبذلك فإن على كافة المسلمين تعلم جانب من العلوم للزومها ، ولحاجة الناس إليها، وخاصة ما يتعلق منها بمعرفة الفرائض وأحكامها وسننها فالناس بحاجة يومية بها ، وقد رغب الإمام بتعلم مختلف أصناف العلوم معتبراً أن طريق الجنة هي طريق العلم ، فمن رغب بأن يكون ممن يرضى الله عنهم فعليه سلوك طريق العلم ، وقد استشهد على ذلك بقوله : " **ما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيه علما إلا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**"[3] (ابن عبد البر،١٩٩٦).

كما رغب الإمام في طلب العلم وتحصيله معتبراً أن الخير كل الخير في أولئك الذين يسلكون مسالكه ، وخاصة تلك العلوم المتعلقة بتربية الإنسان تربية خلقية وتلك العلوم التي للناس

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (١١٠٧/٣) ، وابن الجوزي في " الواهيات" برقم (٦٥) .
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧٧٤/٢) ، وابن الجوزي في " الواهيات" برقم (٦٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وابن ماجه (٢٥) .

بها حاجة لاستمرار حياتهم وكأنه يشير إلى ضرورة البحث والنظر في كافة العلوم من أجل خير الفرد وخير الأمة ، فهو وسيلة رقيها وتقدمها (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) . كما اعتبر الإمام أن طلب العلم صفة ملازمة للإنسان في جميع مراحل حياته، والاستمرار في ذلك واجب عليه مشيراً إلى أن العالم والمتعلم في الأجر سواء (ابن عبد البر،٢٠٠٠).

أهداف التعليم عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي

أطلق علماء الفكر التربوي الإسلامي على أهداف التعليم – كما نسميها في وقتنا الحاضر – أهداف العلم . وقد كان للإمام اهتمام كبير في أهداف التعليم كونه ينطلق من الفكر الإسلامي الذي عني عناية كاملة بهذه الأهداف فالفلسفة التربوية الإسلامية فلسفة هادفة واعية وضع ا سبحانه وتعالى أسسها لجميع البشر ، والمتعمق في نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة يرى بوضوθ أن ا سبحانه خلق الإنسان لهدف معين ، وأوجده على الأرض ليكون خليفة يحقق طاعة ا ويهتدي به ، وسخر لـه ما في الكون من سماوات وأراض لخدمته وطلب إليه النظر والتأمل في هذا الكون ليستدل بما فيه على ا وأرسل رسله للناس لهدايتهم إلى طريق الحق وبالتالي عبادة ا ، ومن هنا فإن أهداف هذه التربية المنطلقة من الفكر الإسلامي لها غاية نهائية ، وهي تحقيق العبودية سبحانه وتعالى " (النحلاوي ، ١٩ĚĚ) .

والمتتبع لوجهات نظر أغلب المفكرين المسلمين يلاحظ اختلاف وجهات نظرهم في تحديد هذه الأهداف ، ومصادر اشتقاقها ، ومعايير تحديدها ، ولكنهم يلتقون جميعا عند هدفها وغايتها النهائية ، وفي هذه العجالة سيحاول الباحث الوقوف على الأهداف التعليمية عند الإمام ابن عبد البر من خلال ما أشار إليه في مؤلفاته ، أو ما تم ملاحظته من سيرته ، فالناظر في هذه المؤلفات والمتعمق في سيرته يلاحظ أن للتعلم طلبا وتحصيلا أهدافا كثيرة ومتنوعة يجب العمل على تحقيقها من قبل الناس، وقد اجتهد الباحث في تقسيم هذه الأهداف إلى مجالات كبرى: الأهداف الدينية والعقلية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

أولا : الأهداف الدينية

الأهداف الدينية واضحة وبارزة في فكر الإمام ، فقد حرص على تحقيق الأهداف من خلال التربية التي تلقاها أو التي قام بتعليمها للناس مؤكدا على أولويتها ، ولا غرابة في هذه فقد سبقت الإشارة إلى نشأته العلمية ، وتربيته الدينية ، بل أن المتتبع لمؤلفاته وسيرة شيوخه

ومعلميه يلحظ توجهه العام نحو تربية إسلامية أصيلة مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية وما وصله من الأثر الصحيح ، وما نشأ عليه من التربية الحقة المستمدة من الفكر الإسلامي ، وأول الأهداف الدينية التي عمل عليها **هو نشر الإسلام ، وتزويد المتعلمين بالثقافة الأصيلة المنطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية** ، فقد عمل الإمام على ذلك وتمثله واقعا وسلوكا ويشير تقسيمه للعلم إلى هذا الهدف بوضوح موردأ في ذلك قول عبد الله بن المبارك :" إن أول العمل النية ثم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم النشر " (ابن عبد البر ١٩٩٦) . وقد اعتمد الإمام في عرضه لهذا الهدف على أصالة المنهج مستمدا ذلك من مصادره الأصيلة وهي القرآن الكريم الذي أشار بوضوح إلى ذلك في توجيهه للرسول ﷺ : **{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }** [سورة المائدة ،آية ٦٧] . والسنة النبوية التي جعلت من نشر الإسلام فرض على كل مسلم ومسلمة ، وقد أورد في ذلك العديد من الأحاديث النبوية التي تشير إلى ذلك ومنها قوله ﷺ:" **تعلموا العلم فإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله في أهله قربة**"[(١)] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

ولقد عمل الإمام طوال حياته على تحقيق هذا الهدف من خلال منهجه في التعليم ، فقد قضى حياته معلما للقرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية وعلومها في حلقات درسه التي كان يقيمها في مساجد الأندلس إدراكا منه للآثار الهامة المترتبة على ذلك ، وكذلك فإن المتتبع لمؤلفاته يلاحظ اهتمامه بذلك فقد أورد فصولا كاملة في العديد من مؤلفاته ، مستشهداً في سياقها بالعديد من الأدلة على ذلك ومنها قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب :" **لئن يهدي الله على يديك رجلا** ... وقد سبقت الإشارة إليه" **(**ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

ويمكن للباحث الوقوف على جملة من الآثار التربوية المترتبة على تحقيق هذا الهدف ومنها :

١. رفعة الأمة وقوتها فهذه العقيدة هي عقيدة ربانية صحيحة ونشرها يترتب عليه خير كثير ويقود الأمة إلى حضارة متكاملة متوازنة بعيدة عن الزيف والتخبط .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٤) والطبراني (٢٢٠) والبهيقي (١١٥/١)

٢. توازن المجتمع وظهوره بمظهر لائق تسود فيه الفضائل وتختفي فيه الرذائل وبالتالي يعيش أفراده حياة مستقرة بعيدة كل البعد عن المشكلات النفسية والاجتماعية وغيرها .

٣. بالنسبة للفرد فإن هذا الهدف يحقق له القيام بالرسالة التي أوجبها ا عليه ويحقق الهدف من وجوده ، وهو خلافة الأرض ليقوم على إعمارها والعمل بها ، ويشمل ذلك كافة المجالات الثقافية والاجتماعية والعمرانية وغيرها .

ومن الأهداف الدينية **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** فقد واجه المربون المسلمون جملة من القضايا والمشكلات وخاصة في مجال العقيدة والسلوك والفكر ، والأخلاق ، نجمت عن نمط الحياة التي كان يعيشها الناس وخاصة حياة الترف واللهو الموروثة عن الحضارات السابقة(أمين، ١٩٦٥) ، وقد نشأ الإمام في بيئة مترفة وغنية ، لذلك رأى كما غيره من العلماء المسلمين ضرورة العمل على تغيير هذا الواقع لتصويب مسار المجتمع وتخليص الأفراد من العديد من السلوكات التي فرضها الواقع الاجتماعي، والموروثات الثقافية الناجمة عن احتكاك المسلمين بغيرهم ، وحركة الترجمة والتأليف ونقل العلوم من الأمم الأخرى ٧ لذلك عمل الإمام على تحقيق هذا الهدف من خلال اعتماده على التوجيه القرآني الذي طالب الناس جميعا بذلك ، وخاصة فئة العلماء والمعلمين بقولـه تعالى : **{ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون }** [سورة آل عمران،آية ١٠٤] ، ومن خلال قوله تعالى:**{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر}** [سورة آل عمران ، آية ١١٠] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

وهذا الهدف يشير إلى جملة من الآثار التربوية ومنها :

١. قوة الجماعة وتماسكها وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية البناء الاجتماعي السليم المتماسك الذي يؤدي إلى قوة الأمة ويبعد عنها الفرقة والتشرذم .

٢. تظافر المسلمين والدعوة إلى الخير سبيل لإيجاد مجتمع فاضل تسوده الفضيلة وتختفي فيه الرذيلة و، ويتحقق التكامل الاجتماعي فيمنع الشر ويسود الخير .

٣. عدم جواز أن يقف المؤمن على الحياد فعليه أن يكون عنصراً خيراً ، وعاملاً إيجابياً من خلال انخراطه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن هذه الأهداف أيضاً **تقوى الله سبحانه وتعالى والسعي لإرضائه** :فالتقوى تمثل المحور العام للتربية الإسلامية والتي بواسطتها ينال المسلم الدرجات العليا من الله سبحانه وتعالى، فكلما أوغل القلب في هذا الطريق تكشفت أمامه الآفاق الواسعة والجيدة (قطب،١٩٧١) والتقوى التي أشار إليها الإمام هي :" وصية الله سبحانه وتعالى للناس " ومنها قوله تعالى:**{ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها }** [سورة الشمس،الآيات ٧-١٠] ، ولا تكاد تخلو أقواله من ذكر التقوى والحث عليها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ لأنه يعد التقوى صفة ملازمة للإنسان وخاصة لأولياء الأمور تحميهم من إتيان المحارم ، وهي فوق ذلك دافعهم للعمل في الدنيا والآخرة (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ومنها أيضا **خشية الله والخضوع له في كل ما يطلب من العلوم** فقد اعتبر الإمام أن العلم يجب أن يؤدي إلى خشية الله والسعي لإرضائه ، وقد استشهد بالعديد من الأدلة التي تشير إلى ذلك ومنها قوله تعالى: **{ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون }** [سورة التوبة ،آية ١٢٢] ، وقول الإمام الحسن بن علي :" كنا نطلب العلم لغير الله ، فجرنا إلى الآخرة " ، وقوله أيضاً :" ولقد طلب هذا العلم أقوام، وما أرادوا به الله وما عنده فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

وتربية القيم والعواطف الدينية أحد أبرز الأهداف الدينية في فكر الإمام ، ومنها قيم الإيمان والخشية من الله وهذه الأهداف على رأس الأهداف في التربية الإسلامية ، حيث أن أشد الناس خوفا وخشية من الله هم العلماء ، وقد أورد دليلاً على ذلك قوله تعالى : **{ إنما يخشى الله من عباده العلماء }** [سورة فاطر ،آية ٢٨] فالخشية من الله وتقواه والإيمان به هي المحور العام للقيم الدينية ، وعلى المعلمين والعلماء العمل على ذلك ؛ لأن هدف التربية في نظره إيجاد الإنسان المؤمن الذي يتق الله في السر والعلن في القول والعمل (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

إن تحقيق الخشية من الله وتقواه وتربية الفرد تربية إيمانية لها العديد من الأبعاد التربوية منها :

١. إيجاد الصلة بين الفرد وبين الله تدفع قلب الإنسان إلى الرجوع إلى الله في كل أمر وهو قاعدة رئيسة للتربية الإسلامية .
٢. هداية الفرد إلى طريق الحق والصواب ، فهو دائم التفكر بالله ، يسعى في كل أوقاته إلى إرضاء الله .
٣. يحقق الالتزام السلوكي والفكري والاعتقادي والعاطفي المبني على الصلة الدائمة والقوية وفق أوامر الله ، وشريعته والالتزام بالهدي النبوي .

وتنمية الفرد وتعليم العامة الآداب الشرعية أحد الأهداف الدينية التي حرص الإمام على تحقيقها ، لذلك رأى ضرورة إعداد الإنسان إعداداً ملائما من خلال تعليم أخلاق الإسلام وآدابه، وفقه ، وبمعنى آخر تعليم الأفراد الأمور المتعلقة بدينهم ، وحثهم على ضرورة الالتزام بها مؤكدا على ضرورة قيام العلماء بذلك والالتزام به نهجا وسلوكا ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : **{ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}** [سورة البقرة ،آية ٤٤] (ابن عبد البر، ١٩٩٦) . والمتتبع لسيرة الإمام والناظر في مؤلفاته يلاحظ توجهه نحو تحقيق هذه الأهداف من خلال غرس الأخلاق الفاضلة والآداب العامة فهذا الهدف في نظره هو أهم أهداف التربية المنطلقة في الفكر الإسلامي وهو من أفضل التصورات المشتركة وأقدرها على لم شعث الأفراد وربط علومهم وعواطفهم برباط قوي ومتين (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

وتنشئة الإنسان العابد الذي يسعى لنيل مرضاة الله من أهداف التربية عند الإمام ابن عبد البر، فالعبادة هي الغاية النهائية والهدف الرئيس لخلق الإنسان ، هذه العبادة في نظره لا تكون إلا بالعلم حيث أن العلم سبيل الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى مستشهداً بقوله تعالى: **{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }** [سورة الذاريات ،آية ٥٦] (ابن عبد البر،١٩٩٦).

ثانيا :الأهداف العقلية

الأهداف العقلية أحد أهم أهداف تحصيل العلوم في نظره ، حيث أن هدف التربية في الإسلام جعل التفكير محوراً لكل شيء مشيرا إلى أن العديد من الآيات الكريمة وخاصة في مجال التوجيه والتشريع اختتمت بمطالبة الفرد إعمال العقل والتفكر والتدبر ، وكذلك إشارته إلى أن تحصيل العلم يجب أن يكون لذات العلم لما في ذلك من متعة عقلية ولذة روحية ، وهذه الأهداف في نظره تتصل بالمعرفة ، وتعمل على تنمية ذكاء الإنسان الذي يؤدي إلى تنمية قدرته على التأمل والنظر في آيات ا ، وفي الآفاق وفي الأنفس ليصل الإنسان إلى الإيمان الكامل با ، وليتمكن من تسخير قوى الكون المختلفة لمساعدته على القيام بأعباء الخلافة (الخولي، ١٩٧Ĕ) .

إن تربية الأفراد على استخدام العقل ورفض كل ما لا يقبله هي أول الأهداف العقلية فبالعقل ميّز ا سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر المخلوقات حيث اعتبر الإنسان العقل أداة التفكير والفهم وهو معيار الحكم على الأمور والكثير من القضايا في إطار القيم الإنسانية التي هي الضمان الوحيد لضبط منطقه وحركته وكل ما يصدر عنه من تعبير لفظي يقول ابن الجوزي في ذلك :" ألا ترى أنه لو اجتمع خلق من الثقات فأخبروا أن الجمل قد دخل سم الخياط، لما نفعنا ثقتهم ولا أثرت في خبرهم ؛ لأنهم أخبروا بمستحيل ، فلا حديث رأيته يخالف المنقول أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه حديث موضوع فلا تتكلف اعتباره " (جاسم، ١٩ĔĔ)، وهذا يشير إلى ضرورة إعمال العقل وعدم قبول كل ما لا يقبله العقل ولتأكيد رأيه أورد قول بعض الحكماء :" لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب " والحكمة القائلة " التجربة علم ، والأدب عون ، وتركه مضرة بالعقل " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

وإعطاء العقل الحرية الكاملة في التفكير في كافة الأمور والقضايا أحد هذه الأهداف ما عدا تلك التي لا يستطيع التفكير بها ، والتي هي من الأمور الغيبية (أبو سليمان ،١٩٩٢) ؛ لأنها ليست مجاله ولو خاضها لبدد فيها طاقاته دون جدوى ، معتبرا أن التفكير والنظر في ملكوت ا أمر ضروري ، وقد استشهد على ذلك بقولـه تعالى : **{ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب }** [سورة آل عمران ،آية ١٩٠] وقوله : **{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق }** [سورة فصلت ، آية ٥٣] (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) . ومن الأمور التي أشار إليها والتي لا يجوز التفكير بها العديد من القضايا سيأتي تفصيلها عند الحديث عن أساليب تحصيل المعرفة ، من الأمثلة عليها عدم

جواز التفكير بالقدر يقول في ذلك قول جعفر بن محمد :" والناظر في القدر كالناظر في الشمس كلما ازداد نظراً ازداد بعداً " ، ويقول الإمام رواية عن أحد من أهل المدينة :" أن ا تبارك وتعالى علم علماً علمه العباد وعلم علماً لم يعلمه العباد ، فمن طلب العلم الذي لم يعلمه العباد لم يزدد منه إلا بعداً " (الغصن، ١٩٩٦) .

ومن الأهداف العقلية في نظره والتي دعا طلبته لتحقيقها **ضرورة استخدام العقل إلى أقصى درجة ممكنة** مشيراً أن أولئك الذين لا يستخدمون عقولهم ويعملونها في النظر والتأمل واستخلاص البراهين هم قاصرون واستشهد على ذلك بقوله تعالى : **{ قل انظروا ماذا في السموات والأرض }** [سورة يونس ، آية١٠١] وقوله تعالى: **{ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا }** [سورة الإسراء ،آية ٣٦] (الغصن، ١٩٩٦) ، وهذا يشير بوضوح أشار إليه من وجود فوارق في القدرات العقلية ولكنه يطالب باستخدام العقل إلى أقصى درجة ممكنة .

ورفض الأهواء والبدع والأفكار الخيالية هي من أهم ما أشار إليه في هذا المجال يقول في ذلك : " فما كان من ذلك في الدين خلافاً للسنة التي مضى عليها العمل – فتلك بدعة لا خير فيها وواجب ذمها ، والنهي عنها والأمر باجتنابها ، وهجران مبتدعها إذا تبين له سوء مذهبه وما كان من بدعة لا تخالف اصل الشريعة والسنة ، فتلك نعمة البدعة لما قال عمر(١) لأن أصل ما فعله سنة .."(ابن عبد البر،١٩٩٦) ، وعدم قبوله للتقليد يندرج في هذا المجال ، فقد اعتبر الإمام أن التقليد ليس من العلم وهو ليس إلا انقياداً للجهلاء الذي لا دليل لهم ولا حجة لرأيهميقول في ذلك : " قد ذم ا تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال : **{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ا }** [سورة التوبة،آية ٣١] وروى عن حذيفة قوله : " لم يعبدوهم من دون ا ، ولكن أحلوا لهم وحرّموا عليهم فاتبعوهم " وقول عدي بن حاتم : " أتيت رسول ا ﷺ وفي عنقي وثن " ، فقال لي : " **يا عدي ابن حاتم الق هذا الوثن من عنقك** " وجعل يقرأ : **{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ا }** فقلت :

---

(١) أثر عمر وارد في صلاة التراويح قال : " نعمت البدعة هذه " رواه الإمام مالك في كتاب الصلاة في رمضان ، باب ما جاء في قيام رمضان (٩٢٩١) ورواه البخاري بلفظ " نعم البدعة هذه في كتاب التراويح فضل من قام رمضان (١ / ٥٢) .

يا رسول الله إنا لم نتخذهم أرباباً، فقال: بلى أليس يحلون لكم ما حرّم الله عليكم فتحلون ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه ؟ " قلت : بلى ، قال : " تلك عبادتهم ".[1] (الغصن،١٩٩٦).

والتريث في إصدار الأحكام أحد أهم الأهداف العقلية عنده فهو يدعو إلى إعمال العقل قبل إصدار الحكم وهذا ما أشار إليه القرآن ، إلى ضرورة التأني والنظر قبل إصدار الأحكام، وقد أورد الإمام ابن عبد البر دليلاً على ذلك قوله تعالى **: { يا أيها الذين آمنـوا إن جاءكم فاسـقٌ بنبأٍ فتبينوا أن تصيبـوا قوماً بجهـالة فتصبحـوا على ما فعلتـم نادميـ ـن }** [سورة الحجرات،آية ٦] (ابن عبد البر ، ١٩٨٦) واعتماد العقل أساساً لقبول الخبر في حال عدم وجود النص فهو يرفض كل ما لا يقبله العقل ويرده من أصله يورد على ذلك ما قاله ابن الجوزي (ت ، ٥٩٧ هـ) والذي أشرنا إليه سابقاً .

ومن الأهداف العقلية أيضاً قيمة العلم فهو في نظره مقدم على العبادة والشهادة ،مقدم على المال ، وهو بنظره الحاكم والضابط لكل شيء يقع تحت إمكانية الحس أو في مقدور العقل إدراكه وعلى هذا الأساس فقد حث المتعلمين على مجالسة العلماء وحضور مجالسهم ومناقشتهم ومجادلتهم فيما يجوز المجادلة فيه وفي ذلك وسيلة لنقل العلوم والأفكار إلى الأجيال اللاحقة يقول الإمام فيما يرويه عن لقمان في وصيته لابنه : " يا بني ما بلغت من حكمتك ؟ قال :لا أتكلف مالا ينبغي . قال : يا بني إنه بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

والتفكير في مخلوقات الله من الأمور التي أشار إليها وطالب بها المعلمين والمتعلمين فمن خلال التفكير والتأمل يستطيع الإنسان الوصول إلى اليقين على قدرة الله ودقة صنعه وهو السبيل للوصول إلى الإيمان ، وقد آمن عن طريق ذلك الكثير من الأنبياء ومنهم سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ويورد الإمام على ذلك قوله تعالى : **{ إنَّ فـي خلـقِ السمـ ـواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ الذين يذكرون**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) والطبراني في الكبير"ج١٧ برقم ٢١٨ – ٢١٩ ، والطبري في تفسيره (١٠ / ٨٤) والبيهقي (١ / ١١٦) .

ا ، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار } [آل عمران ، ١٩٠ ، ١٩١]
(ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٧)

ثالثا :الأهداف الثقافية

لم يغفل الإمام التراث الثقافي إدراكاً منه لأهمية هذا التراث وضرورته من أجل استمرار بقاء الأمة ، فالمجتمع لا يمكن له البقاء والاستمرار بصورة مثلى ما لم يقم بنقل تراثه الثقافي من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة لدراسته وأخذ ما يلزمهم منه ، كما أكد الإمام على ضرورة تنقية التراث الثقافي قبل نقله إلى الأجيال اللاحقة ، وفي ذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب لابنه الحسن : " أي بني إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر جليله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت في مقتبل العمر، ومقتبل الدهر ، ذو نيـ ـة سليمة ونفس صـ ـافية " (ابن أبي طالب، ١٩Ĕ٧)

ويرى الإمام ابن عبد البر أن أول **ما يجب تعليمه للناشئة القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما** ، وقد جاءت دعوته صريحة إلى ذلك حيث يرى أن على المتعلم أن يبادر إلى تعلم القرآن والسنة النبوية ، وكل ما يتعلق بهما من أحكام لاتباعها يقول في ذلك : " الهدى كل الهدى في اتباع كتاب ا سنة رسول ا " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ومعرفة ا تعالى بأسمائه وصفاته وكل ما يتعلق بذلك هو واجب تعلمه كجزء أساسي من تعلم العلوم الشرعية ومعرفة ا والإيمان به من الأمور التي يجب أن يبدأ المعلمون بتعليمها للناشئة ويظهر ذلك واضحاً في قوله : " واتفق أهل الإسلام على أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام : أولها معرفة ا خاصة الإيمان والإسلام وذلك معرفة التوحيد والإخلاص ، ولا يوصل على علم ذلك إلا بالنبي فهو المودي عن ا والمبين لمراده ومما في القرآن من الأوامر والنواهي بالاعتبار في خلق ا بدلائل صنعة ا في بريته على توحيده ، وأزليته سبحانه والقرار والتصديق بكل ما في القرآن وبملائكته وكتبه ورسله " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠)

وتعليم الناشئة والتمسك بسنة النبي عليه السلام من الأهداف الثقافية التي أكد عليها الإمام معتبراً أن كل قول مخالف للسنة مردود ، في ذلك يقول : " ليس أحد من خلق ا ، إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي عليه السلام فإنه لا يترك من قوله إلا ما تركه ونسخه قولاً وعملاً، والحجة فيما قال الرسول ﷺ وليس في قـ ـول غيره سنـ ـة"(ابن عبد البر، ٢٠٠٠).

والتمسك بالتراث الثقافي لنقله إلى الآخرين واجب على الأمة فعليها أن تحافظ على هذا التراث و يؤكد الإمام على ضرورة التمسك والمحافظة على القرآن الكريم والسنة النبوية ثم باقي العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك لقوله ﷺ : " **من يرد ا به خيراً يفقهه في الدين** "[1] وقول القرطبي عن معاوية بن أبي سفيان وهو يخطب في الناس : " يا أيها الناس إنه لا مانع لمن أعطى ا ، ولا معطي لما منع ا ، ولا ينفع الجد منه الجد ومن يرد ا به خيراً يفقهه في الدين "[2] وأضاف سمعت هذه الكلمات عن رسول ا ﷺ(ابن عبد البر، ٢٠٠٠).

وتنقية التراث الثقافي قبل تقديمه للمتعلمين أحد الأهداف الثقافية، مشيراً بذلك إلى كل الآراء التي جاء بها المتكلمة والتي أطلق عليها " أهل البدع " (الغصن،١٩٩٦) . ويقصد بذلك الشيعة والخوارج وغيرهم ، ورفضه لتأويل النصوص التي ظهرت في عهدهم . والتي حاولوا تأويلها خدمة لأهدافهم وآرائهم السياسية والفقهية وغيرها ، وقد جاء موقفه موقف الرافض لكل دعوات البدع والأهواء التي خالفت النصوص ، وقد تبنى في ذلك ما نقله الخطيب البغدادي بسنده عن الرسول ﷺ : " **سيأتيكم عني أحاديث مختلفة ، فما جاءكم موافقاً لكتاب ا وسنتي فهو مني ، وما جاءكم مخالفاً لكتاب ا وسنتي فليس مني** "[3] (الغصن ، ١٩٩٦) .

ومن أهدافه الثقافية أيضاً **ضرورة اعتماد الأوضاع الاجتماعية وحقائق التاريخ** معايير لقبول التراث الثقافي ، رأى أنه إن تعارض هذا التراث مع الأوضاع الاجتماعية وحقائق التاريخ ينبغي رفضه مورداً إنكاره إدعاء أهل الكتاب أن النبي قد وضع عنهم الجزية عام خيبر مع أن الثابت أن الجزية لم تكن مفروضة عام خيبر ، وكذلك ما نسب إلى أنس ابن مالك أنه دخل الحمام على رسول ا ﷺ مع أن الحمامات لم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ (ابن عبد البر ، ١٩٨١) .

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٨١)
(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٩٨) ومالك (٢ / ٥٦١) والطبراني في الكبير قم (٧٨٢ - ٧٨٧).
(٣) يشهد لمعناه حديث العرباض عن سارية عن النبي ﷺ قال : (.. ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كبيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدية ... ، أخرجه أحمد في المسند (١٦٨١٥)

رابعا :الأهداف الاجتماعية

الأهداف الاجتماعية موضع اهتمام كبير عند الإمام ابن عبد البر ، ظهر ذلك واضحاً من خلال التربية التي حرص على تقديمها للناشئة أثناء عمله معلماً ، أو من خلال ما أشار إليه في مؤلفاته ومصنفاته فقد سعى الإمام إلى إيجاد مجتمع متماسك على أساس من العدل والمساواة والاستقرار، مجتمع يتآلف أفراده على أساس المحبة و الوئام والوحدة ويرتكز على الحرية والعدل والتسامح ، ومن الأهداف الأساسية التي دعا إليها في هذه المجال وعمل على تحقيقها .

ضرورة تربية الناشئة وطلاب العلم على تحقيق المساواة ، فقد حرص الإمام على تحقيق هذا المبدأ منطلقاً بذلك من فكره الديني وثقافته الأصلية التي اعتمدت مبدأ المساواة بين الناس كافة ، فالأفراد في نظر الإسلام متساوون لا فضل لأحد منهم على آخر إلا بالتقوى ، وقد عمل على ذلك من خلال مسيرته معلماً فرفض التفريق بين الأفراد على أساس الغنى والفقر أو المستوى الاجتماعي ، وقد رفض قيام المعلمين بالتفريق بين الطلاب على أي أساس باستثناء أن المفاضلة بينهم على أساس التقوى وهذا الفكر استمده من قوله تعالى:**{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** [سورة الحجرات،آية ١٣] (ابن عبد البر ،١٩٩٦)، ومفهوم المساواة يتحقق في نظره من خلال تطبيق مفهوم العدل بين الناس ، فالناس كلهم متساوون في حقهم في تحصيل المعرفة وطلب العلم ولذلك رفض فكرة منع العلم عن طالبه مهما كانت الأسباب ومنها منعه عمن لا يستطيعون دفع الأجر، واعتبر ذلك من باب كتمان العلم وهو أمر حرمه الله تعالى على الناس (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) والمساواة أيضاً في حق كافة الناس في طلب العلم رجالاً ونساء فقد أشارت سيرته أن حلقات الدرس عنده كانت تجمع النساء إضافة إلى الرجال (ابن بشكوال،١٩٩٤) .

ومن الأهداف الاجتماعية إصلاح الفرد وإصلاح المجتمع فقد ساهم الإمام كما غيره من علماء عصره في قيام حركة تربوية عنوانها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عكفت على تقويم سلوك الأفراد وتخليصهم من الكثير من المشكلات السلوكية والأخلاقية والتي جاءت نتيجة لحركة التطور التي شهدها المجتمع الأندلسي نتيجة لاختلاطهم بغيرهم من الأمم الأخرى ونتيجة للتطورات الاقتصادية وعلى رأسها حياة البذخ التي كان يعيشها أغلب الأندلسيين بسبب التطورات في المجال الاقتصادي في عصره انعكس ذلك على جوانب الحـياة المختلفة (القطري، ١٩٨٥). وكنتيجة لذلك نشطت الحركة التربوية فانتشرت حلقات الدرس والتأديب في

مختلف مساجد قرطبة خاصة والأندلس عامة ، وكان للإمام إسهام بارز في هذا المجال مستمداً ذلك من إيمانه القاطع بضرورة العمل وفق أوامر ا تعالى ومنها قولـه :**{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[سورة آل عمـران،آية ١٠٤](ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

ومن الأهداف الاجتماعية تنمية الشخصية في مجال الترابط الاجتماعي فقد أكد على ضرورة تربية الناشئة على تمثل القيم الاجتماعية السائدة ومنها التخلق بآداب المجالس ، وحمد اللسان وفضل البيان ورفضه لكل أنواع الكبر والخيلاء والمباهاة وذم الآخرين (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

ومن الأهداف الاجتماعية ضرورة تربية الناشئة على التعاون ونبذ الخلاف وذمه والعفو والتجاوز عن أخطاء الآخرين وكظم الغيظ ويرى أن ذلك سبباً لتوحيد المجتمع وتقويته ويستشهد على ذلك بالعديد من الأدلة ومنها قوله ﷺ : " **ما زاد ا عبداً بعفو إلا عزاً** " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

ومن الأهداف في المجال الاجتماعي دعوته لتربية الناشئة وطلاب العلم على التخلق بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرذائل ، ويرى أن مصدرا الأخلاق كتاب ا وسنة رسوله وقد جاءت دعوته إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة ، كما أكد علي ذلك رسول ا ﷺ حين دعا إلى مكارم الأخلاق مشيراً إلى أن هدف الرسالة التي جاء بها هو تربية الناس ، وفي ذلك يقول : " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** "(١) (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

ومن الأهداف الاجتماعية ضرورة تربية الناشئة على التزود بالمعارف والعلوم لأن التعلم في نظره وسيلة لتقويم المجتمع ، وإبقاء بنيانه قوياً متماسكاً ، فبالعلم تقوى الأمة وبالجهل تتفكك عراها وتصبح فريسة سهلة لغيرها من الأمم ، كما أشار الإمام في غير موضع من كتبه ومؤلفاته إلى ضرورة ذلك واعتبره فرضاً وواجباً على كافة الناس (ابن عبد البر ، ١٩٩٦)

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٢) والترمذي (١٩٢٤) وابن حبان (١ / ٣٤٤) والحاكم .

خامسا :الأهداف السياسية

لم يكن الإمام ابن عبد البر المعلم والمحدث والفقيه يهتم كثيراً بالسياسة أو يشتغل بها ، فقد كرّس معظم حياته على خدمة العلم ونشره وتبليغه ، ولكن التطورات السياسية والظروف التي عاشتها الأندلس في عصره جعلت منه مفكراً سياسياً، لذلك عمل على تربية الناشئة تربية سياسية من أجل إكسابهم القدرة على التعامل مع التطورات السياسية والأحداث الكبرى والتطورات التاريخية الحاسمة ، كما شهد عصره سقوط دولة الخلافة في الأندلس وتناثر البلاد إلى ممالك صغيرة ثم ظهور دولة المرابطين في بلاد المغرب وعبورهم إلى الأندلس للدفاع عنها (عيسى ، ١٩Ĕ٩) والناظر في سيرته والمتتبع لمؤلفاته يستطيع الوقوف على الأهداف التالية في المجال السياسي :

يرزnj الإمام ضرورة تربية الأفراد على إطاعة الخليفة ، فهو يرى أن الخلافة أمر لا بد منه ولو كانت جائرة (ابن عبد البر،١٩Ĕ١) فالخليفة الجائر في نظره أولى من الخروج عليه ويستشهد على ذلك بقول أحمد بن حنبل : " حديث سفينة صحيح وإليه أذهب في الخلفاء "(١) ويرى الإمام أن الخلافة ضرورة بها ينتظم الأمر العام ويستتب الأمن والاستقرار وفيها اقتداء بالخلفاء الراشدين واتباع لسيرة السلف الصالح وامتثال لأمر رسول ا (الغصن ، ١٩٩٦) .

يرزnj الإمام عدم جواز تربية الناشئة والمتعلمين على الخروج على الحاكم مهما بلغ من الفساد ، وعلى المعلمين تربية الناشئة وطلاب العلم على إطاعة الحاكم المسلم مشيراً إلى جملة من الآثار السيئة التي تترتب على عدم القيام بذلك من أهمها الفوضى الناجمة التي تؤدي إلى تفكك المجتمع ،يقول في ذلك : " الخليفة الجائر الظالم طاعته واجبة وهي أولى من الخروج عليه ، لما في الخروج على طاعته من استبدال الأمن بالخوف ، وإراقة الدماء ، وشن الغارات والفساد وذلك أعظم من الصبر على جوره وفسقه "(ابن عبد البر ، ١٩Ĕ١).

ويرزnj ضرورة تربية الأفراد على الاقتداء بالصحابة الذين هم في نظره خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ويرى أنهم جميعاً عدول نقلوا إلينا سنة رسـ ـول ا ﷺ لذا وجب على المعلمين تربية الناشئة على محبتهم وتعريفهم بسيرهم المشرقة والمحطات الهامة في

---

(١) حديث سفينة قوله عن رسول ا ﷺ : " الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " ثم قال : أمسك خلافة أبي بكر سنتان وعمر عشر، وعثمان اثنتا عشرة وعليّ سنة "

حياتهم، يستشهد على ذلك بقول ا سبحانه وتعالى : **{ لقد رضي ا عن المؤمنين إذ يبايعونp تحت الشجرة}** [الفتح ،آية ١Ĕ] (ابن عبد البر، ١٣٢Ĕهـ). ويرفض الإمام كل ما قيل في الخلفاء الراشدين من أهل البدع والضلالة وخاصة ما ذهبت إليه الشيعة ، فهم في نظره أفضل الناس بعد رسول ا عليه السلام ، وهم جميعاً قدوة للمسلمين لا يجوز القول فيهم إلا بما قاله فيهم رسول ا ﷺ (الغصن،١٩٩٦) .

يشترط الإمام فيمن يتولى أمر المسلمين عدة شروط ومنها : البلوǥ والإسلام والحرية والعلم والاجتهاد والعدل . (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٢) كما يشترط في الخليفة : الفضل والعدل والإحسان والدين (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ١) وعلى المعلمين تربية الناشئة على ضرورة مبايعة صاحب الرأي والمعرفة والفهم ممن يكون لديه الاستعداد للدفاع عن الرعية وأن يحرص على أمر الرعية ولا يستأثر بخيراتها وأموالها ويكون من السابقين إلى الخير فيما يرجع من أمور المسلمين وأن يتجنب الظلم والاعتداء وأن يبتعد عن الجهل والكبر وأن يكون قادراً على التفكر في عواقب الأمور قبل اتخاذ القرارات في مختلف الأمور التي تهم الرعية (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ١) .

كما يرزn أن نشر الإسلام والعمل على تبليغه الناس أحد أهم الأهداف السياسية في نظره، على الحاكم المسلم إرسال الجيوŞ للدفاع عن البلاد ونشر الإسلام ، مطالبا المعلمين تربية الناشئة على إطاعة الحاكم وفق ذلك وعليهم الخروج معه عندما يدعو إلى ذلك ، كما يجب تربيتهم على التضحية في سبيل ا ، يقول في ذلك : " الجهاد فرض أيضاً وعلى الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة ، مرة يخرج معهم بنفسه ، أو يُخرج معهم من يثق بهم للدعوة إلى الإسلام وترغيبهم به ، وكف أذاهم وإظهار دين ا ، وعليه أن يقاتلهم حتى يدخلوا الإسلام أو يعطوا الجزية ، فإن أعطوها قبلها منهم ، وإن أبوا قاتلهم (ابن عبد البر ، ١٩٩٩).

ومن الأهداف السياسية المتعلقة بدور الحاكم ضرورة العمل على توفير الأمن فهو يرى أن على الحاكم وجوب نشر الأمن والاستقرار في ربوع البلاد ، إذا أنه المسؤول عن كل ما يقع للمسلمين من تهديد لسلامتهم فهو المسؤول عن أمنهم السياسي والغذائي وعليه أيضاً واجب محاربة المرتدين . وعلى المعلمين تربية الناشئة على ذلك فهو المسؤول عن تطبيق أحكام الدين

في كافة المجالات وعليه واجب جمع الزكوات وتوزيعها وتولي القضاء ومساءلة الفاسدين (ابن عبد البر ، ١٩٩٩) .

ومن الأهداف السياسية تربية الناشئة على العدل والفضيلة يقول في ذلك: "يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه" (ابن عبد البر، ١٩Ĕ١) كما يرى ضرورة تربية الأفراد على عدم جواز الإقامة في أرض الكفر ، يقول في ذلك : "المسلم لا يجوز له أن يقيم في دار الكفر إذا كان قادراً على الخروج منها ، أما إذا كان غير قادر فلا بأس عليه " (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ١) .

ومن الأهداف السياسية ضرورة تربية الناشئة على طريقة اختيار الحاكم والتي هي بنظرة " البيعة " والبيعة هي : " الإعلام بحدود الإسلام وشرائعه وآدابه ، وتكون على القتال وعلى أن يمنعوا الخليفة مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم ونساءهم " (ابن عبد البر ، ١٩ĔĔ) وأن هذه البيعة يجب أن تكون على غرار بيعة الصحابة لرسول ا ﷺ أي أن تكون على السمع والطاعة (ابن عبد البر،١٩ĔĔ) . أجاز الإمام مخالطة الحكام والسلاطين وأكل طعامهم وأخذ الأموال منهم ، وهو بذلك يرد على القائلين بأن مخالطة الحكام ؛ لأن مخالطة الحكام من قبل العلماء يضعف موقف العالم، ويجعله ألعوبة في يد الحاكم ، وقد رد على منتقديه شعراً :

قل لمن يأكل أكلي لطعام الأمراء

أنت من جهلك هذا محل السفهاء (ابن عبد البر ، ١٩٩٦)

ويبدو أن الإمام يرى في ذلك خيراً للأمة وللحاكم على حد سواء؛ فمن خلال ذلك يمكن تقديم النصح لهم وتصويب أخطائهم وتنبيههم إلى ما يصدر عنهم من هفوات ، يقول في ذلك : " لقد كان ابن ثابت – كان من الراسخين في العلم – يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد " (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٧) .

أقسام العلوم عند ابن عبد البر الأندلسي

أشار ابن عبد البر إلى عدة تصنيفات للعلوم ، ولكنه قبل أن يعرض لأقسام العلوم عند المسلمين وغيرهم ، يحدد أصل علوم الدين فيرجعها إلى أصلين : الكتاب والسنة ، وما عداهما كالقياس والإجماع يعتبران مصادر فرعية تعتمدان على المصدرين الرئيسين ، يرى ابن عبد البر أن العلوم تنقسم إلى قسمين: " ضروري[١]، ومكتسب "[٢] (ابن عبد البر ، ١٩٩٦):

أولا : العلوم الضرورية والعلوم المكتسبة

هي العلوم التي لا يمكن للعالم الاستغناء عنها ، يقول في ذلك " الضروري هو ما لا يمكن للعالم أن يشكك فبه نفسه ، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة ، ويقع لـه العلم بذلك قبل الفكرة والنظرة ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل ، كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً وساكناً أو قائماً وقاعداً أو مريضاً وصحيحاً في حالة واحدة ، ويقول : " ومن العلوم الضرورية وجه آخر بسبب من جهة الحواس الخمس ، كذوق الشيء يعلم به المرارة من الحلاوة ضرورة إذا سلمت الجارحة من آفة ، وكرؤية الشيء يعلم به الألوان والأجسام وكذلك السمع يدرك به الأصوات ". ويقول أيضاً: " ومن الضروري أيضاً علم الناس أيضاً أن في الدنيا مكة والمدينة والهند ومصر والصين وبلداناً قد عرفوها وأمماً قد خلت ، (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ، نستطيع أن نستنتج من ذلك أن العلوم الضرورية في نظره هي :

١. المسلمات العامة التي لا تحتاج إلى دراسة منظمة من أجل تحصيلها والوقوف على أدلتها ، وهذه المسلمات هي من العلم الضروري الذي ينبغي معرفته وحفظه لكل من العالم والمتعلم.

٢. البديهيات والتي منها استحالة اجتماع الأضداد فلا يمكن أن يكون الشيء ساكناً ومتحركاً في آن واحد وقائماً وقاعداً في نفس الوقت ، وكذلك ما تقدمه الحواس كذوق الشيء يعلم به المرارة والحلاوة في حالة كانت الحواس سليمة .

٣. المسلمات المتواترات : وهي ما تواتر للناس وثبت صحته كعلم الناس أن في الدنيا مكة والهند والصين (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

أما بالنسبة للعلوم المكتسبة فهي بنظره ما كان طريقها النظر والاستدلال ومنها :

١. **العلوم الخفية** : وهي تلك العلوم التي لا يعلمها كل الناس ويحتاج الوصول عليها البحث والتنقيب والاستقصاء .

٢. **العلوم الجلية** : وهي العلوم الواضحة القريبة المفهومة لأغلب الناس ، يقول ابن عبد البر : " فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى ، وما بعد منها كان أخفى " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ويقسم المعلومات إلى قسمين : شاهد وغائب ، فالشاهد ما علم بالضرورة والغائب ما علم بدلالة الشاهد " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ثانيا : أقسام العلوم حسب أهل الديانات

يرى ابن عبد البر أن العلوم حسب أهل الدينات ثلاثة : " علم أسفل ، علم أوسط ، علم أعلى " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) . وهو بذلك يشير إلى أقسام العلوم كما قسمها أهل الديانات التي كانت سائدة في عصره معتبراً أن هذا التقسيم ينطلق من الفهم والقاعدة القائلة بأن العلوم الدينية هي رأس العلوم ، وما عداها من العلوم يأتي في مرتبة أقل من حيث الأهمية وهي على النحو التالي :-

١. العلم الأسفل

يرى أن العلم الأسفل هو كل العلوم المتعلقة بالمهن ، والتي يتعلمها الفرد من خلال تدريب الجوارθ واستمرارية التدريب حتى يصل المتعلم إلى درجة الإتقان ، وفي ذلك يقول : " فأما العلم الأسفل عندهم – يقصد أهل الدينات – هو تدريب الجوارθ في الأعمال والطاعات كالفروسية والسباحة والخياطة ، وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

٢. العلم الأوسط

العلم الذي تكمن معرفته بمعرفة نظيره ، ويستدل عليها بجنسه ، ونوعه والتي منها علوم الطب والهندسة ، ويرى أيضاً : " أن علم الطب يهدف إلى معرفة نبات الأرض وشجرها ومياهها ومعادنها وطعومها وروائحها " وقد سبقت الإشارة إليه (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

Ď. العلم الأعلى

أما العلم الأعلى في نظره فهو علم الدين ، ومعرفة القواعد والأحكام والآراء الفقهية والدينية ومعرفة الحلال والحرام ، والواجب والجائز والمباح والمكروه والمندوب وغيرها ويؤكد أصحاب الديانات حسب رأيه : أن علوم الدين هي رأس العلـوم وأهمـها ، يقول في ذلك : " علم الدين هو الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزل ا في كتبه ، وعلى ألسنة أنبيائه نصاً ومعنى ، ونحن على يقين مما جاء به نبينا محمد ﷺ عن ربه عز وجل وسنة لأمته من حكمته، فالذي جاء به هو القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان شفاء ورحمة للمؤمنين ، أتاه ا الحكمة والنبوة ، وكان ذلك يتلى في بيوته " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ، ويمكن استنباط ما يلي من خلال تقسيمه للعلوم حسب أهل الدينات :

- اعتبار العلوم التي جاءت في ديانة اليهود وغيرهم من أهل الأديان ليست يقينية ، على اعتبار أن ا سبحانه وتعالى قد أخبرنا في كتابه عنهم أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون :هذا من عند ا ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ويقولون : هو من عند ا ، وما هو من عند ا ، ويقولون على ا الكذب وهم يعلمون فكيف يؤمن من ادعى على ا ذلك وجحد واستكبر؟ قال ا تعالى:{ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم } [سورة العنكبوت ، آية ٥١].

- يكتفي ابن عبد البر بالعلوم الدينية التي جاء بها القرآن الكريم والتي جاءت بها السنة النبوية يقول في ذلك : " وقد اكتفينا والحمد بما أنزل ا على نبينا محمد ﷺ - ومن القرآن، وما سنه لنا النبي عليه السلام " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- تعلم اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم أمر واجب لمعرفة علوم القرآن وعلوم السنة وآراء الفقهاء وغيرها ، يقول في ذلك :" من الواجب على من لا يعرف اللسان العربي الذي نزل به القرآن أن يأخذ من علم ذلك ما يكتفي به ، ولا يستغنى عنه حتى يعرف تصاريف القول وفحواه وظاهره ومعناه ، وذلك قريب على من أحب علمه وتعلمه ، وهو عون له على علم الدين الذي هو أرفع العلوم وأعلاها " (ابن عبد البر ،٢٠٠٠) .

- اعتبر تعلم العلوم الدينية طاعة سبحانه وتعالى ، وبها يعبد وعليها يشكر ، ويقول في ذلك:(... به يطاع ا ويشكر ويحمد ممن علم من القرآن ما به الحاجة إليه ، وعرف من

السنة ما يعول عليه ، ووقف من مذهب الفقهاء على ما نزعوا ، وانتزعوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم حصل على علم الديانة وكان على أمة نبيه مؤتمناً " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- اعتبر أيضاً تعلم العلوم الدينية واجب على كل مسلم ومسلمة ويقول في ذلك: " قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه ... والذي يلزم الجميع فرضه مالا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو : الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن ا واحد لا شريك له ...) (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠)

- ضرورة سؤال أهل العلم عن الأمور المتعلقة بعلم الدين كما ورد في قول الرسول عليه السلام " شفاء العي السؤال "[١] وقول عائشة " رحم ا نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمور دينهنّ" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

- أشار الإمام أن العلوم الدينية التي ينبغي تعلمها يجب أن توصل الناشئة إلى معرفة دقيقة حول الإيمان والإسلام وأحكامه وشرائعه ومعرفة السنن وغيرها ، يقول في ذلك " واتفق أهل الإسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاث أقسام : معرفة خاصة الإيمان وذلك معرفة التوحيد والإخلاص ، ولا يكون ذلك إلا بالنبي ﷺ فهو المؤدي عن ا المبين لمراده ، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق ا بالدلائل على آثار صنعته في بريته... والثاني : معرفة مخرج خير الدين وشرائعه وذلك معرفة النبي ﷺ الذي شرع الدين على لسانه ويده ... والثالث: معرفة السنن واجبها وأدبها، وعلم الأحكام في ذلك مدخل خير الخاصة العدول معرفته ، ومعرفة الفريضة من النافلة ومخارج الحقوق والتداعي ، ومعرفة الإجماع من الشذوذ . قالوا " ولا يوصل إلى الفقه إلا بمعرفة ذلك، وبا التوفيق" (ابن عبد البر،٢٠٠٠).

---

(١) أخرجه البخاري (٤١١) وأحمد (٤١٥٧) ومسلم (٧١٩٥) وغيرهم .

ثالثا :أقسام العلوم عند الفلاسفة

يقسم ابن عبد البر العلوم عند الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام تشبه تقسيم العلوم عن أهل الديانات ولكنها تختلف بمضمونها وهي كما يلي :

١. العلم الأعلى

ينحصر عند أهل الأديان بعلوم الدين ، ولكنها عند الفلاسفة علم القياس في العلوم العلوية التي ترتفع عن الطبيعة والفلك ، يقول في ذلك : " الكلام في حدوث العالم وزمانه والتشبيه ونفيه أمور لا يدرك شيء منها بالمشاهدة والحواس، وقد أغنت عن الكلام فيها كتب ا الناطقة بالحق المنزلة بالصدق ، وما صح عن الأنبياء صلوات ا عليهم " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

٢. العلم الأوسط

يشير ابن عبد البر إلى أن العلم الأوسط عندهم يقسم إلى أربعة أقسام وهي ما كانت عندهم رؤوس العلوم : علم الحساب والتنجيم والطب وعلم الموسيقى .

Ď. العلم الأسفل

وأما العلم الأسفل عند الفلاسفة فهو نفسه العلم الأسفل عن أهل الأديان .

من خلال التقسيم السابق للعلوم يمكن استنتاج ما يلي حسب رأي أبن عبد البر :

- يرفض علم الموسيقى و يعتبره ضرب من اللهو ، يقول : " وأما علم الموسيقى واللهو فمطروθ ومنبوذ عند جميع أهل الأديـان على شرائـط العلـم والإيمـان" (ابن عبـد البر ، ١٩٩٦) .

- يرى أن علم الحساب لا يمكن الاستغناء عنه ، لأنه يلزم الناس في كافة مناحي حياتهم يقول : " هو علم لا يستغنى عنه لفرائض المواريث ، والوصايا ، وموت بعد موت وأوقات الصلوات والحج ، وأحوال الزكوات ، وما يتصرف فيه من البياعات ، وعدد السنين والدهور ومرور الأعوام والشهور ، وساعات الليل والنهار ، ومنازل القمر ومطلع الكواكب التي قدرها ا تعالى للأنواء سقوطها وسير الدراري ، ومطالع البروج وسني الشمس والقمر " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- يرى أن الإغراق في علم الحساب يوصل صاحبه إلى علم التنجيم المذموم بنظره فيقول " ثم أن الإغراق في علم الحسابات ربما آل بصاحبه إلى علم القضاء بالتنجيم وهو علم مذموم ولا يتناولـه و لا يقطع فيه إلا الخراصـون الذيـن هـم في غمـرة ساهون . " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- ينكر علم التنجيم ويعتبره ضربا من ضروب معرفة الغيب ، وهو أمر مقتصر على ا وبعض أنبيائه الذي خصهم بما لا يجوز إدراكه يقول : " ومن أهل العلم من ينكر شيئاً مما وصفنا أنه لا يعلم أحد بالنجامة شيئاً من الغيب ، ولا علّمه أحد قط علماً صحيحاً إلا أن يكون نبياً خصه اله بما لا يجوز إدراكه "(ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

- ينكر معرفة الغيب لبشر ويرى أن مدعيه هم فقط الجهلة والمتخرصون ، يقول في ذلك:"ولا يدعي معرفة الغيب بها اليوم على القطع إلا كل جاهل ومنقوص مغتر متخرص " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

- يرى أن المنجمين مثلهم مثل أهل الجاهلية الذين كانوا يؤمنون بالفياقة[١] والزجر[٢] يقول : " والمتخرصون بالنجامة كالمتخرصين بالفياقة والزجر وخطوط الكف والنظر في الكتب وفي مواضع قرض الفأر ، وفي الخيلان والعلاج بالفكر وملك الجن وما شاكل ذلك مما تقبله العقول ، ولا يقوم عليه برهان ، ولا يصح من ذلك كله شيء ٌ لأن ما يدركون منه يخطئون في مثله مع فساد أصله ، وفي إدراكهم لشيء ، وذهان مثله أضعافاً ما يدلك على فساد ما زعموه ، ولا صح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء ، صلوات ا عليهم " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

- يرى جواز تعلم شيء من علوم التنجيم فهو لا يرفضها جملة وتفصيلا وأورد في ذلك قول عمر بن الخطاب :" تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البحر والبر ثم أمسكوا " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) كما يرى أن علم الموسيقى علم مذموم ومنبوذ – كما أشرنا سابقا- .

---

(١) الفياقة على ضربين : فياقة البشر وفياقة الأثر ، فأما قيافة البشر فهي الاستدلال بصفات أعضاء الإنسان وتختص بقوم يقال لهم "بنو مدلج" لعرض على أحدهم مولوداً في عشرين نفراً فليحقه بأحدهم .وأما فياقة الأثر فهي الاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف ، اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل ، أنظر : المستطرف من كل فن مستظرف ، تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (ت/٨٥٠هـ) .

رابعا : أقسام العلوم حسب الأحكام التكليفية

قسم ابن عبد البر العلوم حسب العلوم التكليفية إلى خمسة أقسام : فرض العين ، فرض الكفاية المستحب ، المكروه ، الحرام .

١. فرض العين

اعتبر أن هناك جانباً من العلوم يلزم الناس جميعاً تعلمها ، وهو فرض متعين على الجميع معتبراً أن هذه العلوم لا يمكن الاستغناء عنها ، يقول في ذلك :" والذي يلزم الجميع فرضة ، من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو : الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن ا واحد لا شريك له ، ولا شبهة له ولا مثل لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ... وأن البعث للمجازاة بعد الموت حق ... وأن القرآن كلام ا ، وما فيه حق يلزم الإيمان بجميعه واستعمال محكمه ... وأن صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ، وما لا يتم إلا به ... " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

٢. فرض الكفاية

اعتبر أن هناك جانباً من العلوم هي فرض على الكفاية ومعناه أن قيام البعض به يسقط فرضه عن الباقين ، ومن مثله حفظ القرآن الكريم كله ، والفرائض المفترضة الواقعة دائماً والمناسك الواجبة ومعرفة الحلال والحرام ، ونحو ذلك ، يقول :" ... ثم أن سائر العلم وطلبه والتفقه فيه ، وتعليم الناس إياه وفتواهم في مصالح دينهم ودنياهم هو فرض على الكفاية ، يلزم الجميع فرضه فإذا قام به قائم سقط عن الباقين بموضعه ولا خلاف بين العلماء في ذلك (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ، وقد ناقش ابن عبد البر العديد من القضايا المتعلقة بالفرض ومنها :

- طلب شيء من العلوم فرض على كل مسلم معتبراً أن ما يلزم المتعلم في حياته واجب عليه تعلمه وما لا يلزمه ليس بواجب مستشهدا بقول إسحق بن راهوية :" طلب العلم واجب ولم يصح في الخبر إلا معناه : أن يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إن كان له مال ، وكذلك الحج وغيره ، قال :" وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج إليه ، ما كان سنة فضيلة لم يخرج في طلبه حتى يستأذن والديه" ، وكذلك ما أورده عن ابن وهب أنه سئل مالكاً عن طلب العلم أهو فريضة على الناس ؟ قال : لا وا ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه "(ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

- يترتب على من يدخل في دين الإسلام تعلم الأمور المتعلقة بالواجبات والحرمات .

- ضرورة سؤال العلم النافع والابتعاد عن سؤال العلم غير النافع مشيراً إلى ضرورة استمرار المتعلم سؤال العلماء عن العلوم النافعة ، والابتعاد عن العلوم الضارة مستشهداً بقول الرسول ﷺ :" **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع ، وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ، ومن الجوع فإنه بئس الضجيج**" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

- ضرورة حث الوالدين أبناءهم على مجالسة العلماء مورداً قول لقمان الحكيم لابنه :" يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء" ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

Ď. المكروه

اعتبر ابن عبد البر الدخول في الجدال والمراء من الأمور المكروهة ، ومنها المجادلة في الله سبحانه وفي صفاته وأسمائه ، وقد استشهد بالعديد من الأدلة ومنها قوله ﷺ :" **المراء في القرآن كفر** " [(١)] وكذلك قول عمر بن عبد العزيز :" من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ď. المذموم والمحرم

اعتبر ابن عبد البر علم الموسيقى ، وعلم التنجيم من العلوم المذمومة وبالتالي فهي محرمة كون الأول منبوذ عند جميع أهل الأديان ، وأما علم التنجيم فهو علم محرم كون المنجم يدعي معرفة الغيب ، يقول ففي ذلك :" ولا يدعي معرفة الغيب بها على القطع إلا كل جاهل ومنقوص مغتر متخرص – أشرنا إليه سابقا - إذ في مراجعة أقدارهم أنه لا يمكن تحديثها وفي أكثر من عمر الدنيا ما يكذبهم في كل ما يدعون معرفتهم بها" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (ج٤/رقم ١٤٦٤) وأبي داوود في سننه (ج/رقم٤٦٠٣) وأحمد بن حنبل في المسند (ج/رقم٧Ě٣٥-٧Ě٧٤، ١٠١٤Ě ، ١٠٢٠٥، ١٠٤١٩، ١٠٥٤٦) والحاكم في المستدرك (ج/ ٢ĚĚ٣-٢ĚĚ٢) والطبراني في المعجم الكبير (ج٤٩١٦/٥) والطبراني في مسند الشاميين (ج١٠٣٥/٢) وأبي يعلي في سنده (ج٥Ě٩٧/١٠) .

٥. المستحب

اعتبر ابن عبد البر أن هناك جانباً من العلوم يستحب تعلمها مثل علوم الفقه ، والحديث، والشعر ، والسير والمغازي ، ولغات الأمم الأخرى وتاريخها ، ولا يتسع المجال لتعدادها هنا فكل علم يوّسع الفهم ويزيد المعرفة مستحب (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

خامسا : أقسام العلوم عند علماء عصره

قسم ابن عبد البر العلوم حسب علماء عصره وعلى رأسهم أبي إسحق الحربي إلى ثلاثة: علم دنيوي ، وعلم أخروي ، وعلم لا للدين ولا للدنيا

١. علوم الدنيا :

اعتبر ابن عبد البر أن كافة ما يلزم المسلم تعلمه لاستمرار حياته وما يلزمه لأمورها هي علوم للدنيا ، فبها تستمر حياتهم وتسير شؤونهم ، ومنها علوم الطب والهندسة والصيدلة وغيرها .

٢. علوم الآخرة:

اعتبر أن العلوم الدينية وعلى رأسها تعلم القرآن ومعرفة السنة وأحكام الفقه والحديث وغيرها هي علوم الآخرة .

Ď. العلوم التي لا للدنيا ولا لǑخرة : هناك من العلوم ما هو مستحب تعلمها كالشعر واللغات وغيرها (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

سادسا : أقسام العلوم من حيث جواز الكتابة وعدمها

رأى ابن عبد البر أن هناك من العلوم ما يكره كتابتها وتدوينها في الصحف ولعله بذلك يشير إلى عدم جواز كتابة الحديث وكراهية ذلك في بداية العهد خوفاً من اختلاطه بالقرآن ويستشهد بقول الرسول ﷺ:" **لا تكتبوا عني شيئاً سوزǌ القرǐن ومن كتب شيئاً سوزǌ القرǐن فليمحه** "[1] (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٧٤٥٩) والدارمي(٤٥٠) وأحمد (١١٣٦٢) والحاكم في المتدرك (٤٣٧) والبيهقي في الكبرى(Ě٠٠Ě) .

ورأى أن هناك من العلوم ما يجب تدوينها ومنها الحديث والعلوم الأخرى مورداً قول النبي الذي يرويه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :" **قلت يا رسول ا : أأكتب عنp كل ما أسمع منp Ý قال : نعم . قلت : في الرضا والغضب Ý قال : نعم Û فانني لا أقول في ذلp إلا حقاً** "[1] **(ابن عبد البرÛ ٢٠٠٠) .**

وقد ترتب على تقسيم العلوم عند ابن عبد البر الاستنتاجات التالية :

- تأثره بالفلسفة اليونانية فتقسيم العلوم على أساس رأسي إلى أعلى وأوسط وأسفل هو منطق يوناني وبالتحديد هو رأي أفلاطون الذي يرى " أن للمدينة الفاضلة ثلا ث وظائف : الإدارة والدفاع والإنتاج مقابل قوى النفس الثلاث : الناطقة والغضبية والشهوانية ، وهذه الوظائف متباينة فلا يمكن أن تتركب من أفراد متساوين متشابهين ، وإنما يجب أن تتركب من طبقات متفاوتة لكل منها وظيفة كفاية خاصة لهذه الوظائف ، وأن يؤلف مجموعها وحدة تشبه وحدة النفس في قواها وإلا توزعت الجهود ... " وفات الناس الغرض من الاجتماع وهذه الطبقات الثلاث هي الحكام والجند والشعب " (كرم ، ١٩Ĕ٣) . ويلاحظ أن ما فعله ابن عبد البر هو وضع العلوم الدينية – وهي العلوم التي يتم الحكم في المجتمع الإسلامي وفقاً لها - على القمة بدلا من العلوم الفلسفية وهي ثقافة الحكام عند أفلاطون .

- ترتب على النظرة الرأسية للعلوم أنه نظر بتواضع إلى المواد والمبادئ المتصلة بالصناعات اليدوية والحرف التي تتدرب عليها الجوارΘ. فأحلها المنزلة السفلى من سلم المهن والعلوم وفي هذا مخالفة واضحة لروΘ الإسلام التي لا تفضل عملا على غيره لذاته ، بل أن التفضيل هو بمقدار البعد عن الحرام والكراهية وغيرها ، وقد أشار القرآن الكريم في معرض حديثه عن قصص الأنبياء وحياتهم أن منهم من كان حداداً أو نجاراً أو راعياً ولا تفاضل بين الأعمال ، كما أن السنة النبوية بينت أن خير الأعمال هي الأعمال اليدوية ومنها

---

(١) صحيح : أخرجه الحاكم في المتدرك (٣٥Ĕ) والطحاوي في شرΘ معامي الآثار(٣١٩/٤) وأحمد في كتاب العلل (٣٢٣) .

قوله ﷺ :" **ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يديه ، وإن نبي ا داود كان يأكل من عمل يده ، ولأن يحطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه ويمنعه**" [١]

- يبدو أنه لا يرفض علوم التنجيم جملة وتفصيلا ، بل يقبل منه ما يدخل الآن في دائرة علم الفلك ، ولكنه يرفض التنجيم بمعنى التنبؤ بالغيب وبأحداث المستقبل ، وهذا ما جاء به الإسلام ، وفي ذلك رد على كل الدعوات الباطلة التي ترى إمكانية معرفة الغيب من قبل بعض المشعوذين ، وفي هذا السياق نستطيع القول بأن ابن عبد البر رفض كل العلوم المتعلقة بالشعوذة والسحر والسيماء وغيرها .

- يلاحظ من خلال تقسيمه للعلوم النهضة العلمية التي كانت عليها الأندلس في عصره والمجالات التي وصل إليها الأندلسيون في مختلف العلوم والفنون والحرف اليدوية ، وإن لم يوافق على بعضها كعلم التنجيم . كما يلاحظ من خلال تقسيمه للعلوم التداخل الكبير بين هذه العلوم والتي تشير بوضوح إلى عدم وجود حدود تخصصية - كما هو الحال اليوم – فقد لوحظ أن هناك تداخلا بين علوم الجغرافية والفلك والتنجيم ، كذلك بين علوم الطب والصيدلة وشمول علم الطب عنده لعلم النبات والحيوان والذي يطلق عليه وفي وقتنا الحاضر علم الأحياء .

- لوحظ أنه قد نفر من بعض العلوم كونها مرفوضة حسب رأيه ، كعلم الموسيقى والعلوم المرتبطة بعلم التنجيم كالفياقة والزجر وخطوط الكف وغيرها لأن العقول لا تقبلها ، ويلاحظ أن الإمام لم يجزم في إثر تحريم الموسيقى فمرة يراها مذمومة ومرة يراها محرمة .

- يمكن القول أن ما دفع ابن عبد البر إلى هذه النظرة للعلوم المهنية هو الوضع العام الذي كانت عليه الأندلس في عصره والتأثر الذي تأثرت به الثقافة الإسلامية من الفلسفة الإغريقية التي نقلت إلى العربية ترجمة فقد كان اليونان ينظرون إلى أصحاب المهن نظرة دونية . كما يمكن استنتاج اهتمامه الشديد بالأهداف الخاصة لكل مادة دراسية فالعلوم الدينية في نظره تهدف إلى إرضاء ا ودخول الجنة ، والفلك يهدف إلى تنظيم حياة الناس بمعرفة السنوات الشمسية والقمرية والشهور والأيام وغيرها .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤) وابن حيان(٦١١٤) .

أساليب تحصيل العلوم في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي

الناظر في مؤلفات الإمام والمتتبع لسيرته يلاحظ العديد من الطرائق والأساليب التي يستطيع المتعلم التعلم وتحصيل العلوم بها ، سواء كان ذلك من خلال توظيفه لهذه الأساليب أثناء عمله معلماً ، أو تلك التي أشار إليها في مؤلفاته العديدة والتي حاول من خلالها إرشاد المعلمين بعده لاستخدامها ، وهنا رأيت أن أقسم هذه الطرائق إلى قسمين :

١. الطرائق والأساليب الخاصة بتعلم علوم الدين من فقه وحديث ، و التي أطلق عليها في عصره "طرق التحمل أو صيغ الأداء والتبليغ أو الرواية". وهي : المناقشة أو السماع القراءة أو العرض ، الإجازة ، المناولة ، المكاتبة ، المراسلة ، ثم الإعلام أو الوصية وأخيرا الوجادة والتبليغ .

٢. الطرائق والأساليب العامة لكل العلوم وهي شبيهة بتلك التي يستخدمها المعلمون في وقتنا الحاضر ومنها : طرθ السؤال ، طرθ المسالة على المتعلم ، التلقين أو التكرار ، الحفظ والاستظهار ، وأسلوب المحاضرة ، وأسلوب الحوار والمناظرة ، التعلم بالعمل ، الرحلة في طلب العلم .

أولا : طرق التحمل والأداء والتبليƶ

١. السماع :

تقوم هذه الطريقة عنده على سماع المتحمل أو الراوي من لفظ الشيƣ ، وهي أن يسمع الراوي المحدث يحدث بالحديث أو الكتاب بلفظه سواء حدثه من محفوظة أم من كتابه ، وسواء أملى عليه أو لم يمل عليه ، ولفظ السماع هو حدثني وأخبرني أو سمعت أو قال لي أو أنبأني أو حدثنا وأخبرنا ، وسمعنا منه أو قال لنا أو أنبأنا ، فهذه الألفاظ عنده كلها تفيد التحديث أو السماع، ورƹم أنه لم يصرθ بتساوي هذه الألفاظ إلا أن الملاحظ أنه كان يعبّر عنها في مستوى واحد، وكأنها عنده ألفاظ مترادفة كلها تفيد نفس المعنى (ابن عبد البر،٢٠٠٠) ، ومن الأمثلة التي أوردها الإمام ، قال: حدثنا أحمد بن عمر قال : حدثنا عقبة بن علقمة قال : حدثنا الأوزاعي، قال : كان مكحول يتوضأ مما مست النار ، حتى لقي عطاء بن رباθ فأخبره عن جابر بن عبد ا أن أبا بكر أكل ذراعاً ثم صلى ولم يتوضأ مما مست النار ، فقال : لئن يقع أبو بكر من السماء إلى الأرض أحب عليه من أن يخالف رسول ا (ابن عبد البر، ١٩٩٦) ويرى

ابن عبد البر أن السماع أحد أساليب التعلم الهامة والمتتبع لسيرته يلاحظ أنه تلقى أغلب علومه من سماعه عن شيوخه وكذلك علّم تلاميذه . وقد أورد الإمام العديد من الأدلة التي يستشهد فيها على أهمية هذا الأسلوب ومنها قول الرسول ﷺ:" **نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه ثم بلغه غيره ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم : إخلاص العمل ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتهم تحط من ورائهم**"[1] وقوله:"**تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم**"[2] **(ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .**

٢. القراءة :

تقوم هذه الطريقة عنده على العرض على الشيخ – أي أن يقرأ التلميذ على الشيخ من حفظه أو من كتاب ينظر فيه - كما هو الحال في وقتنا الحاضر يقرأ الطالب مما يحفظ أمام معلمه أو من كتاب بين يديه ، وقد فرق العلماء بين العرض والقراءة ، فقالوا : إن قرأ التلميذ من حفظه على المعلم سميت القراءة عرضاً، وإن قرأ من كتاب سميت القراءة (الطحان ، ١٩٨٥) ولكن ابن عبد البر لا يفرق بين القراءة والعرض فهو يعبر بلفظ القراءة عن العرض ، ولفظ العرض عن القراءة ، وكان يقرأ بنفسه على الشيخ فيقول " قراءة مني عليه" [3].وإن كان الشيخ هو الذي يقرأ من أصل كتابه أو من حفظه وهو يستمع فيقول"قراءة منه عليّ أو علينا"[4] ومن الأمثلة التي أوردها " قرأت على أبي محمد عبد الله بن محمد بن أسد أن بكر بن العلاء القاضي حدثهم قال: حدثنا أحمد بن موسى الشامي حدثنا القعنبي قال : قرأت على مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – أن رسول الله ﷺ قال :" **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وأنها مثل الرجل المسلم**" ، حدثوني ما هي ؟ قال عبد الله " فوقع الناس في شجر البردى ، ووقع في نفسي النخلة حدثت عمر بن الخطاب بالذي وقع في نفسي، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون كذا وكذا (ابن عبد البر ،٢٠٠٠). المتتبع للنصوص يرى انتشار هذه الطريقة بالإضافة إلى غيرها من الطرائق ، ومن الذين تصدوا للقيم بهذه الطريقة ابن السقاء الذي " تصدر للإقراء والإسماع والتعليم" (ابن الأبار، ١٩٦٣) .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٦) وأحمد (١٨٣/٥) والدارمي (٧٥/١) وابن حبان (٦٧)

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٣٦٥٩) وأحمد (٣٢١/١) وابن حبان(٦٢- موارد) والحاكم في المتدرك (٩٥/١)

(٣، ٤) توجد هذه العبارات في أغلب كتبه ومؤلفاته .

٣. الإجازة :

تقوم هذه الطريقة على إجازة العالم رواية شيء عنه ، ويعرفها بعضهم بأنها: " إذن الشيخ للطالب الرواية عنه" (صالح : ١٩٨٥) ، وصورتها أن يقول له :" أجزت أن تروي عني كذا وكذا " (الطحان، ١٩٨٥) ، وقد حدد ابن عبد البر العديد من الشروط لجوازها يقول في ذلك : (... وفيما ذكرنا في هذا الباب دليل على جوازها إذا كان الشيء الذي أجيز معينا ومعلوماً ومحفوظاً ومضبوطاً ، وكان الذي تناوله عالماً بطرق هذا الشأن وإن لم يكن على ما وصفت لم يؤمن الذي يحدث الذي أجيز له عن الشيخ مما ليس في حديثه أو ينقص من إسناده الرجل أو الرجلين "(ابن عبد البر،٢٠٠٠) ومن الشروط التي حددها ابن عبد البر لجواز الإجازة :

١. الإجازة جائزة للحاذق والماهر بالصناعة الحديثة ، أي من أهل العلم بالحديث وعلومه كذلك الماهر في علم معين ، كحديث معين أو كتاب معين ، أما إذا كانت الإجازة في مبهم ومجهول فغير جائزة .
٢. أن يكون الحديث أو العلم المجاز لا إشكال فيه ولا التباس ، وفيه يقول " والصحيح أنها لا تجوز إلا لماهر بالصناعة ، وفي شيء معين " .
٣. أن يكون المجيز والمجاز من أهل العلم .
٤. أن يكون الشيء المجاز معيناً ، محفوظاً ، مضبوطاً ، أما إذا كان عاماً وشائعاً وغير مضبوط فغير جائز (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

٤. المناولة :

وصورتها إعطاء الشيخ أو العالم للطالب شيئاً من مروياته ويقول له " إن هذا من حديثي أو من مروياتي ونحو ذلك " . والمناولة عند ابن عبد البر هي نفسها الإجازة حيث قال بعد أن روى كلام ضمره بن عبد الله بن عمرو " هذا معناه أنه كان يعرف الكتاب بعينه ويعرف ثقة صاحبه ، ويعرف أنه حديثه " وهذه هي المناولة وفي معناها الإجازة (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) . يلاحظ أن ابن عبد البر يجيز الرواية بالمناولة ، ولكنه يشترط شروطاً هي نفسها شروط الإجازة السابقة ، وهي أن يكون الكتاب أو الحديث- المعطى فيه الإذن بالرواية أو المناولة – معروفاً ومعيناً وأن يكون صاحبه ثقة عدلا وأن يعرف يقيناً إن هذا الشيء المناول هو له (ابن عبد البر،٢٠٠٠) . وقد أورد ابن عبد البر قول عبيد الله بن عمر" إني كنت أرى الزهري

يأتيه الرجل بالكتاب لم يقرأه عليه ، ولم يقرأ عليه ، فيقال له :" أأرويه عنك ؟ قال نعم" ، يفهم منه أنه يرى جواز الرواية بالمناولة تحملا وأداءً،ولكن بشروط الإجازة (ابن عبد البر،١٩Ĕ٧) .

والمتتبع لسيرة ابن عبد البر العلمية يلاحظ أنه ناول عدة مروياته من مروياته ومن الكتب التي ناولها لطلابه " كتاب الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى" ، فقد ناول هذا الكتاب لتلميذه الحافظ أبي حسين الغساني المعروف بالجباني الذي روى عن ابن عبد البرمناولته للعديد من الكتب ، حيث يقول:" حدثني أبو عمر بن عبد البر أخذته عنه مناولة " (ابن خير،١٩٩٣) .

٥. الوجادة :

وصورتها أن يروي الراوي الحديث أو غيره من كتاب مخطوط ، يعرف صاحبه ويعرف خطه بالضبط دون لبس أو غموض ، وتعتبر هذه الطريقة من طرق التحمل عند ابن عبد البر ومن الأمثلة على ذلك وجدت في كتاب أبي بخطه – رحمه الله – حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا محمد بن وضاح قال : حدثنا أحمد بن سلمة ، قال : حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو بن علقمة ... إلخ " وجدت بخط أبي – يرحمه الله – " (ابن عبد البر ، ١٩ĔĔ) . وأيضاً : وجدت في سماع أبي بخطه – أن محمد بن أحمد بن قاسم بن هلال حدثهم قال : قال : حدثنا سعيد بن عثمان الالمنافي قال: حدثنا نصر ابن مرزوق قال: حدثنا أسد بن موسى : قال : قال : حدثنا سفيان عيينة عن عمرو بن دينار سمع عمرة بن أوس حدثه رجل من ثقيف ، سمعت منادي رسول الله في سفر في ليلة مطر يقول : حي على الصلاة حي على الفلاح ، صلوا في رحالكم " (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) .

٦. البلاغات :

وصورتها أن يقول المحدث أو الراوي بلغني كذا وكذا ، وهي مشتقة من البلاغ بمعنى التوصيل ، وتوجد روايات في هذه الطريقة لدى ابن عبد البر إلا أنها قليلة .

ثانياً : طرائق التدريس والأساليب التربوية في تحصيل العلوم

١. طرح السؤال :

أحد الأساليب التي استخدمها ابن عبد البر في تعليم طلبته ، حاله حال علماء عصره وكذلك تأكيده على أهمية السؤال في تحصيل العلوم حيث خصص باباً في كتابه " جامع بيان العلم وفضله " ، سماه " حمد السؤال والإلحاح في طلب العلم " عرض فيه العديد من الأدلة والآثار التي تؤكد على أهمية السؤال في تحصيل العلم ، ومنها قول عبد ا بن مسعود " زيادة العلم الابتغاء ، ودركه السؤال ، فتعلم ما جهلت ، واعمل بما علمت" ، وقول ابن شهاب " العلم خزانة ومفتاحها المسألة " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) . ويحدد ابن عبد البر بعض الأمور المتعلقة بهذه الطريقة :

- ضرورة أن يكون السؤال سؤال العلم النافع ، مستشهداً بقول الرسول ﷺ :" **اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملا متقبلا**"[١] .
- أن يكون السؤال محدداً وحسن الصياغة وقد استشهد بالقول المأثور " حسن المسالة نصف العلم" .
- أن يكون السؤال حول ما يهم المسلم في حياته ، وأن لا يمنعه الحياء من السؤال ، وقد أورد قول عمر بن عبد العزيز " ما شيء إلا وقد علمت منه ، إلا أشياء كنت استحي أن أسأل عنها ، فكبرت وفي جهالتها .
- أن يتحرى المعلم ما يقصده السائل بسؤاله قبل الإجابة (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

٢. طرح المسألة على المتعلم :

أحد الأساليب المستخدمة في وقتنا الحاضر ، وصورتها أن يطرح العالم أو المعلم المسألة على المتعلم ، ويقوم المتعلم بإعمال فكره لإعطاء الإجابة ، أو هي :" انتظار الإجابة من المعلم" ، وهذه الطريقة متعلقة غالباً بأمور هامة يريد العالم تعليمها للناس، وليس لديهم معرفة بها من قبل ، وقد أورد ابن عبد البر عدداً من الأدلة مستشهداً بأهمية هذه الطريقة ومنها قول النبي لمعاذ بن جبل :" **هل تدري يا معاذ ما حق ا على الناس ؟ قلت : ا ورسوله أعلم**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٥٦) .

قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً Û أتدري يا معاذ ما حق الناس على ا إن فعلوا ذلp Ý قلت : ا ورسوله أعلم Û قال : إن حق الناس على ا عز وجل أن لا يعذبهم قلت : يا رسول ا ألا أبشر الناس Ý قال : دعهم يعملون"[1] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

Ď.التلقين والتكرار :

إحدى الطرق السائدة في عصر ابن عبد البر ، وصورتها تكرار لفظ الشيء المتعلم فقد كان الصبيان يقومون بتقليد معلميهم ، والحفظ عنهم ، وكان التلميذ يتدرج في الحفظ عن طريق التلقين والتكرار إلى تعلم الكتابة وتعلم الفرائض(Tritton,1957) . وكان التلاميذ أيضا يقومون بحفظ سور القرآن الكريم عن طريق التلقين والتكرار (Dodge,1962)، وتشير سيرة ابن عبد البر إلى أنه حفظ جانباً من القرآن ، وبعضاً من أحاديث الرسول ﷺ بهذه الطريقة ، وتقوم هذه الطريقة بقيام المتعلم أو الشيq بالقراءة ويقوم الطلاب بالإعادة والتكرار ، ويقوم هو بتصحيح أخطائهم ، أو يقوم المتعلم بترديد شيء من كتاب وتكراره حتى يحفظه ثم يقوم بعرضه أمام شيخه أو معلمه ، أو كان الطالب يكتب آية من القرآن على لوحة فإذا حفظها مسحها ثم هكذا مع آية أخرى (Dodge,1962) .

ď. الحفظ والاستظهار :

أحد الأساليب المعروفة في عصر الإمام ، وربما تمكن أهميتها في أنها كانت مستخدمة قبل الإسلام ، فقد كان العرب في الجاهلية يحفظون الأشعار والأنساب ، وقد أشارت كافة المصادر إلى اعتماد العرب على ذاكرتهم أكثر من اعتمادهم على الكتابة (الأبراشي ،١٩Ĕ٦) وكان حفظ الأشعار والأنساب عنصراً هاما يقول ابن قتيبة الدينوري : " أول العلم الصمت والثاني : الاستماع ، والثالث : الحفظ ، والرابع : العقل ، والخامس:النشر (عبد العال، ١٩٧Ĕ).

تتطلب هذه الطريقة ذاكرة قوية ، وتشير سيرة ابن عبد البر التعليمية والعلمية أنه استخدمها في معظم مراحل حياته متعلماً ومعلماً ، فكان يحفظ القرآن والحديث وأشعار العرب وأنسابهم . وكانت حلقاته الدراسية تعنى بتحفيظ طلبته القرآن الكريم وأشعار العرب وغيرها بل أن المصادر التاريخية تشير إلى أن طريقة الحفظ والاستظهار ، رافقت المجتمع المسلم في

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد في الزهد(ص، ٤٤١) وأبو نعيم في الحلية (٢١٧/Ĕ) ، والخطيب في جامعه (٣٢٧)

الأندلس في القرن الرابع والخامس الهجري ، حيث كان الغرض الأساسي من تعليم الصبيان في الكتاب حفظ أجزاء من القرآن الكريم (عبود ، ١٩٨٠) .

٤. المحاضرة :

إحدى الطرق الهامة التي استخدمها العلماء منذ البداية ولا زالت حتى يومنا هذا ، تقوم على الإلقاء والتكرار أحيانا ، حتى يتمكن الطلبة من الكتابة والحفظ ، وكان الطلبة يدونون ما يفهمونه ، وتميّز هذا الأسلوب بإتاحة الفرصة للمتعلمين بالمناقشة والحوار والاستفسار عن الغامض ، وكان العالم يتيح للطلبة فرصة الإجابة عن أسئلة يطرحها عليهم ليختبر فهمهم ويجيب بنفسه على ما تعسر عليهم (شلبي، ١٩٨٧) ، و تنقسم هذه الطريقة إلى قسمين :

- **الإملاء :**_سواء ما كان يمليه العالم على المتعلم من حفظه أو من كتاب بين يديه ، وهذه الطريقة من الطرق الشائعة في عصر ابن عبد البر حتى سميت هذه الطريقة بالأمالي مثل: أمالي المركض ، وأمالي القالي ، وقد روي أن الجبائي المعتزلي أملى مائة ألف وخمسين مسألة (أمين،١٩٦٥) ، وكان الطالب يكتب أول الدرس مجلس إملاء شيخنا فلان في جامع كذا ـ يوم كذا (أمين،١٩٦٥).

- القراءة على الشيخ أو العرض وسبق ذكره .

٥. الحوار والمناظرة :

المناظرة تعني النظر بالبصيرة من الجانبين إظهاراً للصواب ، ويوجد في معناها التناظر الذي هو التقابل بين الشخصين في المجلس الواحد أو بين الأدلة والحجج (حسن، ١٩٩٩)

والحوار والمناظرة هي إحدى الطرق التي استخدمها علماء المسلمين على مر العصور وتعود جذورها للفيلسوف اليوناني " سقراط" وقد حدد لها علماء المسلمين عدداً من الأسس . والمناظرة غالباً ما تكون بين العلماء أنفسهم ، وأحياناً بين المعلمين والطلبة ، وقد استخدمها القرآن الكريم في أكثر من موضع ولها أثرها الهام في شحذ الهمم ، وتقوية الحجة والتمرس

على سرعة التعبير وتعويد النفس الثقة والقدرة على الارتجال (الشلبي، ١٩Ě٧) ، وقد حدد ابن عبد البر عدداً من الشروط للمناظرة :

أ. أن تكون المناظرة في حق وأن يبتعد المناظر عن المجادلة في الباطل .
ب. أن تكون حجة المناظر عن بينة ودليل وعدم جواز المناظرة دون حجة .
ج. أن يكون الحوار والمناظرة بين الشخصين برحابة صدر ، وأن لا يضيق صدرهما أو يتبرم أي منها .
د. اعتبر ابن عبد البر المناظرة والحوار ضرورية ، وخاصة عند وقوع أمر هام واختلاف بين الناس ، وقد أورد ما فعله المسلمون في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ، وما فعلوه بعد مبايعة أبي بكر وفي حرب الردة ، وكذلك مناظرة علي - رضي ا عنه – الخوارج حتى انصرفوا (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

Ē. المراسلة :

إحدى الطرق السائدة في عصر ابن عبد البر ، كان المتعلم يرسل المسألة إلى أستاذه أو شيخه ويتلقى منه إجابة مكتوبة ، وقد اشتهر ابن عبد البر كما غيره من علماء المسلمين بذلك فكانت تأتيهم المسائل والاستفسارات فيجيب عنها ، ويبعث أجوبته للسائلين ، من الأمثلة المشهورة في عهده ما كتبه المزربان بن محمد إلى أبي سعيد السيرافي يسأله عن مائة وعشرين مسألة أكثرها من القرآن ، وما في ذلك من الروايات عن رسول ا ﷺ في القرآن، وثلاثين مسألة في مسائل الأصول عن طريق المتكلين (عبد العال ، ١٩٧Ě) .

ē. الرحلة في طلب العلوم :

اشتهرت في القرن الرابع الهجري ، كان العلماء يخرجون في طلب العلم قاصدين بغداد ودمشق ، وكان علماء الشرق يخرجون قاصدين الأندلس وغيرها ، يسعون لتحصيل العلوم (ابن عبد البر ، ١٩Ě١) .

وفي سيرة ابن عبد البر ما يشير إلى ذلك ، فقد تنقل في عد من المدن الأندلسية وخاصة بعد ثورة قرطبة واضطراره لتركها نتيجة للأحداث التي وقعت – كما أشرنا- فقد قصد مختلف المدن الأندلسية ودرس العلم في مساجدها ، كما التقى بعدد كبير من العلماء القادمين من الشرق

اعتبر ابن عبد البر الرحلة في طلب العلم من الأساليب الهامة في تحصيل العلوم عند المتعلم حيث يمكنه ذلك من الاطلاع على ما لدى الغير من علوم ، وقد أفرد ابن عبد البر باباً سماه "الرحلة في طلب العلم " في كتابه " جامع بيان العلم وفضله " ، أورد فيه العديد من الشواهد ومنها حديث صفوان بن عسال في فضل العلم حيث قال : قلت يا رسول : إني جئت أطلب العلم، قال :" **مرحباً بطالب العلم Û إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها Û فيركب بعضها بعضاً حتى تعلو إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب Û فما جئت تطلب Ý قال: قلت يا رسول لا لأزال أسافر بين مكة والمدينة فأفتني في المسح وذكر الحديث**"(ابن عبد البر،٢٠٠٠)
أشار ابن عبد البر إلى الأمور التالية :

أ. اعتبر الخروج في سبيل تحصيل العلوم يحقق رضى ا سبحانه وتعالى .
ب. إحدى الطرق الهامة في توثيق العلم وخاصة علم الحديث .
ج. تبادل العلوم فقد كان علماء الأندلس يفدون الشرق ويعودون ومعهم ما استجد من العلوم.

Ě- التعلم بالعمل :

اعتبر ابن عبد البر التعلم بالعمل أحد أهم الطرق في تحصيل العلوم ، مشيراً إلى أنه لا يجوز للمتعلم أن يتعلم العلم ولا يعمل به ، وقد أفرد لذلك باباً في كتابه " جامع بيان العلم وفضله " سماه " التعلم بالعمل " وآخر سماه باب " وجوب العمل بالعلم " ، وقد حدد ابن عبد البر عدداً من الأمور المتعلقة بهذه الطريقة :

أ. عد عدم موافقة العمل للعلم كبيرة من الكبائر مورداً العديد من الأدلة على ذلك ومنها قول أبي الدرداء :" ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .
ب. اعتبر أن رضى ا عن العالم لا تكون إلا إذا وافق عمله علمه .
ج. اعتبر أن استدامة العلم عند المتعلم لا تكون إلا إذا عمل به، وقد أورد تأكيداً لرأيه الحكمة القائلة : كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به ، وكنا نستعين في طلبه بالعبد " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

ســن التعليم

لم يحدد ابن عبد البر سناً معينة للتعلم ولكن سيرته أشارت إلى أنه قد أرسل إلى المؤدبين في سن مبكرة ، فقد ذكرت الروايات التاريخية أن والده كان يصحبه معه إلى حلقات الدرس والعلم ، وكان يرسله إلى دور المؤدبين لملازمتهم وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره وقد أفرد أيضاً في مؤلفه " جامع بيان العلم وفضله " فصلاً سماه " باب فضل التعلم في الصغر والحض عليه " ، قد أورد فيه العديد من الآراء مدعمة بعدد من الشواهد التي تؤيد رأيه بضرورة التعلم في الصغر ومنها :

- التعلم في الصغر ضرورة هامة لأن العلم الذي يتلقاه الناشئ صغيراً يبقى معه حتى الكبر وهذا ما يطلق عليه في وقتنا الحاضر – ديمومة التعلم – مشيراً إلى أن التعلم في الصغر هو بمثابة النقش على الحجر ، وقد أورد العديد من الأدلة والآثار لتأكيد رأيه ومنها القول المأثور:"ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاس أو روق "(ابن عبد البر،٢٠٠٠).
- يرى الإمام أن عقول الطلاب ليست فارغة وليست صفحة بيضاء ، فهي تكتسب المعارف والعلوم من البيئة وخاصة أثر الوالدين على المتعلم، وسيرته تؤكد ذلك ، وهذا ما أكدت عليه التربية الحديثة فعقول الطلاب "ليست صفائح بيضاء فارغة لاستقبال التدريس ، بل حتى الأطفال الصغار جداً لديهم أفكاراً تؤثر على تعلمهم وبالتالي يعتمد تعليمهم على ما يمتلكونه من معلومات داخل أدمغتهم (Driver,1985) .
- اعتبر ابن عبد البر التعلم في الصغر أساس التكليف في المستقبل ، ويعني بذلك أن الفرد الذي لا يتعلم صغيراً لا يمكن أن يصبح عالماً عندما يكبر مورداً قول الأعمش " قال لي إبراهيم وأنا شاب في فريضة: احفظ هذه فلعلك أن تسأل عنها" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .
- أكد على دور الوالدين في تعليم أبنائهم صغاراً وتأديبهم مستشهداً بقول عروة بن الزبير : "إن أزهد الناس في عالم أهله ، فهلمّوا إليّ فتعلموا مني ، فإنكم موشكون أن تكونوا كبار القوم إني كنت صغيراً لا ينظر إلى ، فلما أدركت من السن ما أدركت ، جعل الناس يسألونني ، وما أشد على امرئ من أن يسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .
- يرى وجوب إعطاء المتعلمين الحرية الكاملة في النقاش مهما صغر سنهم ، بحيث يتاح لهم فرصة التعبير عن أفكارهم ، ويروي في ذلك عن علي بن أبي طالب قوله :" إلا رجل يسأل فينتفع جلساءه " وفي ذلك دعوة صريحة للمعلمين بإتاحة الفرصة للتساؤل عما يجول في

خواطرهم (ابن عبد البر، ١٩٩٦) ، وقوله أيضاً :" سل عما ينفعك أو يعنيك " وقول أحد الحكماء العلماء :" مالكم لا تسألوننا؟ أأفلستم؟ " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

- ضرورة قيام المعلم باختيار من يصلح للتعليم فهو يرى أنه لا يجلس إلا من كان قادراً على التعلم راغباً فيه ، أما جهد المعلمين مع من لا يستطيعونه أو يرغبون فيه فهو جهد ضائع ويستشهد على ذلك بقوله ﷺ :" **آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله** " (ابن عبد البر ،١٩٩٦) ، وما نقله عن سيدنا عيسى عليه السلام :" لا تمنع الحكمة أهلها فتأثم ولا تضعها عند غير أهلها فتجهل ، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) . تجدر الإشارة هنا أن التربية المعاصرة قد اهتمت بسن المتعلم فجانيه مثلا يشدد على ضرورة وجود حالة استعداد عام لدى المتعلم يكون فيها مستعدا استعدادا عضويا للنجاح في المهمات التي يتوقع مصادقتها في المدرسة ، ويتحدد هذا الاستعداد بسن السادسة للقبول في المدرسة العربية (قطامي، ١٩٨٩) .

جو العملية التعليمية والتعلمية التي دعا إليها ابن عبد البر

تميز ابن عبد البر على علماء عصره بمناقشته الجو العام للعملية التعليمية الذي كان سائداً ونقده للممارسات التي كان يقوم بها العلماء والمعلمين في عصره من العلماء والمعلمين داعياً إلى جوّ متسم بالتحرر والعقلانية والحركة العلمية ، فقد أشار ابن عبد البر في هذا السياق إلى الأمور التالية :

١. طالب بأن يكون الجوّ العام متحرراً ، وأن يكون جواً علمياً يتسم بالموضوعية والوعي ، فقد طالب علماء عصره بالفهم وسعة التحصيل ، واستخدام العقل ، وأعاب عليهم الجمود والسطحية (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

٢. رد ابن عبد البر الجمود والسطحية والخلافات بين العلماء إلى حرصهم على الدنيا ، مشيراً إلى نوع من الإرهاب الفكري الذي كان يمارسه علماء عصره ، فإن خالفهم فقيه برأيه اعتبروه خارجاً عن الجماعة ، خارجاً على السلطان المطاع ، وكانوا يقومون بمحاربته معتبرين أن ما جاء به آراء باطلة ، ومحذرين الناس من الأخذ برأيه كي يقنعوا الناس بصواب رأيهم وأنهم على حق (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

٣. أعاب على طائفة المحدثين جمعهم للحديث دون تمحيص وروايتهم له دون تدبر وتفكر ، أو معرفة أو فهم ، ودون تمييز بين الغث والسمين ، فقد كان كل همهم الاستكثار دون تدبر أو اعتبار ، وفي ذلك يقول :" رضيت بالدؤوب في جمع ما لا تفهم ، وقنعت من الجهل في حمل ما لم تعلم ، فجمع علماؤها الغث والسمين في كتاب واحد وربما في ورقة واحدة ويدينون بالشيء وضده ، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم ، فقد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار ، فألسنتهم تروي العلم وقلوبهم قد خلت من الفهم ، غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب والحديث المنكر ونجده قد جهل بما لا يكاد يسمع أحد جهله من علم صلاته وحجة صيامه (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ، ويستنتج من قوله أنه قد أعاب عليهم اهتمامهم بالكم دون تعقل أو تدبر ، واهتمامهم بتدوين الغريب من الحديث ، وجهلهم بفقه السنة ، وكشف أيضاً عن افتقارهم القدرة على النقد والموازنة والحكم والتحليل .

٤. وأعاب على طائفة الفقهاء في عصره جهلهم بالسنة وحفظها ، ومعرفة معانيها ، وعدم عنايتهم بكتاب ا بمعرفة أسباب النزول وعلم التأويل ، وأحكام الإسلام وعدم معرفتهم بالحلال والحرام وقلة معرفتهم بآثار الصحابة والصالحين ، بل اهتموا بحفظ ما قد تم تدوينه من آراء السلف دون مناقشة أو تدبر (ابن عبد البر، ١٩٩٦) . كما أعاب على فقهاء عصره تجمدهم عند آراء السلف وقياسهم على هذه الآراء دون معرفة بالظروف التي ارتبطت بها اجتهادات الأئمة السابقين (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

٥. كما فرق بين جهل المحدثين والفقهاء معتبراً أن جهل المحدثين يبقى في دائرتهم العلمية، وأما الفقهاء فالخطأ منهم يصبح خارج دائرتهم ؛ لأنهم يشتغلون بالوظائف العامة كالإمامة والقضاء بعكس المحدثين كونهم بعيدين عن الوظائف العامة (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

٦. يحدد ابن عبد البر أهم المبادئ الخلقية والعقلية التي يجب أن يتصف بها المتخصصون في الفقه والحديث ، والتي من أهمها التمسك بالخلق الكريم ، بحيث يكون العالم قدوة طيبة في سلوكه متعاونا مع غيره ، في سبيل ا والجماعة ، عاملا بعلمه ، لديه الاستعداد اللغوي والعقلي للعلم الذي يطلب التخصص فيه ، ولديه القدرة على مناقشة الآراء دون تعصب في تحري الحقيقة ، وتوفير حرية البحث للآخرين ، والتزود بالنقد والاستعبار في كل ما يبحثون والتعمق في دراسة المذاهب الفكرية (ابن عبد البر،١٩٤١) .

٧. أكد على ضرورة اهتمام المعلمين والعلماء بالقرآن الكريم والسنة النبوية كونهما المصدرين الأساسيين للعلوم الدينية والدنيوية والمعيار للأحكام ، وهما أصل الرأي ومرجعه ، فمن جهل الأصل لا يصل إلى الفرع داعياً إلى ضرورة أن يكونا على رأس العلوم (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

٨. يوصي المجتهد بضرورة حفظ السنة ، وأحكام القرآن والنظر في أقوال العلماء ، فهي عون على اجتهاده ، وكذلك النظر في الأقوال والآراء والبعد عن التقليد والانقياد بلا نظر (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

٩. أشار إلى دور الصغار في مختلف مناحي الحياة ، وإلى أهمية ما قد يضطلعون به من مهام وأدوار مورداً قول شهاب:" لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم ، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي عقولهم " (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

المبادئ اللازم توافرها في المنهج الدراسي عند ابن عبد البر الأندلسي

لم يحدد الإمام ابن عبد البر مواداً بعينها – كما أشرنا سابقاً – ولكنه حدد عدداً من المبادئ والسمات التي يجب أن تتوفر في المنهج الدراسي وهي :

١. وجوب تحديد المنهج وتقسيمه إلى أقسام مناسبة حتى يسهل دراسته على مهل ، واستيعابه ويروي تأكيداً على ذلك قول ابن شهاب ليونس بن يزيد :" لا تكابر العلم فإن للعلم أودية ، فأيهما أخذت قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي ، ولا تأخذ العلم جملة واحدة ، فإن من رام أخذه جملة ذهب عن جملة ، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

٢. تنوع المادة التعليمية بحيث تكون متنوعة وأن لا تقتصر على علم واحد ، بل يجب أن تضم علوماً متعددة سواء كانت تلك العلوم دينية أو دنيوية ، بحيث تشمل كافة ما يحتاجه الفرد في حياته الدنيا وما يلزمه للإعداد لحياته الآخرة ، مورداً ما قاله الزهري دليلا على رأيه :" هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من أحاديثكم ، فإن الأذن مجاجة والنفس حمضة " ، وهذا يدل دلالة

واضحة على ضرورة تنوع المادة التعليمية ، وليبس الاقتصار على علم بعينه ÿ حتى لا يقع المتعلم في الملل (ابن عبد البر ،٢٠٠٠) .

٣. أن تكون المادة التعليمية المتضمنة في المنهج الدراسي مفيدة ومحببة عند المتعلمين ، حتى لا يصاب المتعلم أيضاً بالملل ، وقد استشهد دليلا على رأيه بقول علي بن أبي طالب :" اجمعوا هذه القلوب ، واطلبوا لها طرائق الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان " (ابن عبد البر،١٩Ē١).

٤. أن تكون المادة من العلوم النافعة والابتعاد عن العلم الضار مورداً قول الرسول عليه السلام تأكيداً بصحة رأيه :" **اللهم إني أعوذ بp من علم لا ينفع Û وقلب لا يخضع Û ونفس لا تشبع ومن الجوع فإنه بئس الضجيج**" وقول علي بن أبي طالب :" إنما زهد الناس في طلب العلم ما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم " ، والحكمة القائلة :" العالم النبيل الذي يكتب أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب ويحدث بأحسن ما يحفظ" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

٥. أن يتضمن المنهج الدراسي تعلم اللغة العربية لأنها وسيلة تحصيل العلوم وخاصة علوم القرآن والسنة النبوية ، يقول في ذلك :" القرآن أصل العلم فمن حفظه قبل بلوغه ، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان له عونا كبيرا على مراده منه " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

٦. أن يتضمن المنهج الدراسي تعلم العلوم المعينة على فهم القرآن وغيره من العلوم الشرعية وخاصة معرفة الناسخ والمنسوخ وسنن النبي ÿ لأنها تساعد على فهم أحكام الإسلام ، وهنا يشير بقوله :" ثم عليه أن ينظر ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه ، وأن يقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك ، وهو أمر قريب على من قربه الله عز وجل عليه" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

الأجر على التعليم

من الأمور التي أشار إليها الإمام والمتصلة بنشر العلم ما سماه " أخذ الأجر على التعليم والإنفاق عليه " ، فقد وضع لذلك مجموعة من المحددات تبين من خلالها وجود قواسم مشتركة بين أغلب مفكري التربية المسلمين ، طالب الإمام المعلمين بعدم الربط بين تقديم العلم للناس وبين أخذ الأجر عليه ، معتبراً ذلك من باب كتمان العلم الذي يوجب غضب الله سبحانه

وتعالى،فالعلم في نظره هبة من الله عليه أن لا يبخل في منحه للناس وعليه واجب نشره (الخولي، ١٩٧٤) .

وفي مقابل ذلك أجاز الإمام أخذ الأجر على التعليم بطريق غير مباشر فهو لم يصرح بذلك ولكنه أجازه بصورة ضمنيه للمعلمين وخاصة لأولئك المتفرغين للتعليم لسد الحاجة مؤكداً عليهم ضرورة التعفف عند عدم الحاجة ، فأخذ الأجر في نظره يقتصر على أولئك الذين لا يمارسون عملا غير التعليم وهو أمر لازم لمعيشتهم مورداً قول أبي الدرداء : "من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته " (الغصن،١٩٩٦) ، وفي معرض إشارته إلى ذلك أوجب على المعلمين التعفف عن أخذ الأجر فهو يرى أن العلماء والمعلمين في مستوى لا يسمح لهم بقبول الأجر على ذلك فهم معدون بمستوى لا يسمح لهم بذلك لاعتباره أن أخذ الأجر على التعليم يؤدي إلى فقدان العالم بعض منزلته ، يقول في ذلك :" لا يكون الرجل عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر من دونه في العلم ، ولا يحسد من فوقه في العلم ، ولا يأخذ على علمه ثمناً " (الخولي، ١٩٧٤)

ويحرم الإمام حبس العلم عمّن لا يملك القدرة على دفع الأجر ، وفي هذا إشارة إلى الممارسات التي شاهدها في عصره فقد رأى أن الأغنياء فقط هم من يستطيعون مواصلة علومهم فالفرص المتاحة لهم في مواصلة التعلم كونهم من الطبقة الغنية على عكس أبناء الفقراء الذين اقتصر تعلمهم على حلقات الدرس في المساجد ومضطرون للتوقف عنه من أجل البحث عن عمل يؤمن لهم الرزق ، وسبل العيش وكأنه يشير هنا إلى ضرورة تساوي كافة الناس وضرورة أن تتاح لهم جميعا الفرص لمواصلة التعلم وتحصيل العلوم بغض النظر عن مستواهم الاقتصادي أو قدراتهم المالية (ابن عبد البر،٢٠٠٠) ، وهذا ما يطلق عليه في الوقت الحاضر "تكافؤ الفرص التعليمية".

كما اعتبر الإمام أخذ الأجر على التعليم عند الحاجة مباح ولكنه مذموم عند عدم الحاجة يقول في ذلك :" المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجه ، والمأخوذ من غير حله" ، وقد استشهد على ذلك بقول عمر بن الخطاب :" ما فتح الله عز وجل الدنيا والدرهم أو الذهب والفضة إلا سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم " ، وقول أبي سفيان الثوري: "العالم العالم

طبيب الأمة والمال دواؤها ، فإذا كان الطبيب يجر المال إلى نفسه فكيف يعالج غيره" (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

وأخذ المال بطريقة غير مشروعة من الأمور التي حرّمها ا تعالى ، يقول في ذلك: "... فوجه ذلك كله عند أهل العلم في المال المكتسب من الوجوه التي حرّمها ا ولم يبحها وفي كل ما لم يطع ا جامعة في كسبه ، وعصى ربه من أجله وبسببه " ، وفي ذلك ما يشير إلى تحريم المال الذي يجمع بطريقة غير مشروعة ، وسلك في ذلك من الطرق ما يعصي به ا سبحانه وتعالى من أجل جمعه (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

وطالب الإمام المعلمين والمتعلمين بتأدية حق ا في المال المكتسب بأن يكون للفقراء حق في المال الذي يحصلون عليه ويكتسبونه من عملهم وما يأخذوا عليه أجراً لعملهم ، واعتبر الإمام ذلك المال مالا مذموماً ما لم يؤد فيه حق ا ، يقول في ذلك :" ... ومن لم يؤد حق ا وفرائضه فيه ومنه فذلك هو المال المذموم والكسب المشؤوم "(ابن عبد البر، ١٩٩٦).

والمال الذي يأخذه المعلمون جائز في نظره في حال قيامهم بعمل يرضي ا سبحانه وتعالى ، فقد اشترط الإمام أن يؤدي المعلمين بطريقة يكون رقيبهم هو ا سبحانه وتعالى وعليهم أن يبذلوا جهودهم وكامل استطاعتهم في نقل علومهم لطلبتهم بما يرضي ا سبحانه وتعالى ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : **{ لا تخونوا ا والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون }** [سورة الأنفال ،آية ٢٧] (ابن عبد البر،٢٠٠٠) ، وقد أشار الإمام إلى أن المال الذي يحصل عليه المعلم مالا محموداً ، وأن المال الذي يأخذه دون أن يكون قد بذل جهده وكامل استطاعته فذلك المال المذموم ، يقول في ذلك :" ...وإما إذا كان المال مكتسباً من وجه ما أباθ ا وتأدت فيه حقوقه وتقرب فيه إليه بالإنفاق في سبيله ومرضاته فذلك المال محمود ممدوθ كاسبه ومنفقه لا خلاف بين العلماء في ذلك ، ولا يخالف في ذلك إلا من جهل أمر ا ويستشهد على ذلك بقوله تعالى :**{ الذين ينفقون أموالهم في سبيل ا ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذىً }**[سورة البقرة ،آية ٢٦٢] ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

طريقة ابن عبد البر في إعداد الفقهاء والمحدثين

حدد ابن عبد البر عدداً من السمات ووضع عدداً من المبادئ العامة التي يجب أن يتصف بها من أراد أن يكون فقيهاً أو محدثاً ، منها ما يتعلق بالمواد الدراسية التي يجب أن يدرسها أو السمات والخصائص التي يجب أن يتصف بها :

١. أن يحفظ القرآن الكريم ، لكنه لا يشترط حفظه كله إلا لمن أراد أن يكون عالماً فإن حفظ القرآن واجب لا فرض ، ويجب أن يكون عالماً بالقرآن ملماً بأحكامه ، عارفاً ناسخه ومنسوخه ، وأقوال العلماء واختلاف نظرتهم في أحكامه .
٢. العلم بالسنن المأثورة الثابتة عن الرسول ﷺ ، ويشترط أيضاً معرفة اللغة العربية ومواقع كلام العرب ، وفنون لغتهم من مجاز واستعادة وتشبيه وتمثيل وغير ذلك ، ويلي ذلك العلم بالصحابة المؤدبين عن رسول ا ﷺ ، ومعرفة تاريخهم وفضائلهم وأحوال الناقلين عنهم من التابعين (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .
٣. معرفة أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الفقه - بعد دراسة الحديث – ومعرفة كافة التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ، ويشترط أيضاً أن يكون متعمقاً راسخاً يدرس كافة الاتجاهات الفقهية المختلفة ، ونستطيع من خلال مؤلفاته والنظر في أقواله أنه كان يهدف إلى إعداد محدث واع متحرر ، بتفكيره لا يقلد الآخرين ، بل يكون حراً في آرائه بعيد النظر قادراً على تغلب آراء الآخرين (ابن عبد البر،١٩٩٩) .
٤. أن يكون للفقهاء والمحدثين الحرية في اختيار العلوم التي تتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم وخاصة في علوم اللغة (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .
٥. أشار صراحة إلى فقه الإمام مالك وفكره في علم الحديث ليكون منطلقاً أساسياً له عند من يريد أن يكون فقيهاً أو عالماً محدثاً (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

السمات التي يجب أن يتصف بها الفقيه

أما بالنسبة للسمات التي ينبغي أن يتصف بها الفقيه فقد حددها كما يلي :

أ. أن يكون ناقداً واعياً لما يرويه فلا يحدث بكل ما يسمع أو يروي كل ما يسمع وعن أي أحد.

ب. أن يتحرى الأمانة والدقة العلمية فإذا سئل عما لا يدريه قال : لا أدري.

ج. أن يتحرى الصدق في كل ما يرويه أو يحدث به .

د. أن يكون الفقيه عاملا بعلمه حتى يحترمه الناس .

هـ. أن يكون قادراً على تدبر الآراء التي يسمعها .

و. أن يكون الفقيه إماماً في القرآن قبل أن يكون إماماً في الفقه (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

الفصل الرابع

الآداب والعلاقات والمبادئ التربوية

في فكر الإمام

ابن عبد البر الأندلسي

الآداب والعلاقات والمبادئ التربوية في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي

تناول الإمام ابن عبد البر في مسيرته العلمية والتعليمية وفي ثنايا كتبه ومصنفاته مكانة كل من المعلم والمتعلم بين الناس ومنزلتهما عند الله سبحانه وتعالى . كما أشـار إلـى مجمـل الآداب والعلاقات التربوية التي يجب أن يتحلى بها كل من لـه علاقة بالعملية التعليمية ، كمـا وضع العديد من المبادئ التي ينبغي أن تسير عليها عملية التعليم ، ويتناول الباحـث فـي هـذا الفصل العناصر التالية بشيء من التفصيل .

أولاً : مكانة المعلم و المتعلم عند الله ومنزلتهما بين الناس .

ثانياً : الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم .

ثالثاً : العلاقات التربوية بين أطراف العملية التعلمية .

رابعاً : مبادئ عملية التعليم والتعلم .

أولا: مكانة المعلم والمتعلم عند الله ومنزلتهما بين الناس

يرى الإمام أن للعلماء والمتعلمين مكانة هامة بين الناس ومنزلة عالية عند الله فهم مـن أراد الله بهم خيراً في الدنيا والآخرة لأنهم سلكوا طريق العلم ، فاختيارهم العلم طريقاً لهم هـو بداية الخير في الدنيا والآخرة ، فالدعوة إلى التعلم وسلوك طريقه هي امتثال لأمر الله سـبحانه وتعالى ، وقد استدل على ذلك بقول الرسول ﷺ : " **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في جوف البحر ، وإن فضل العالم على العابد كفضـل القمـر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينـاراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**"[1] [ابن عبد البر، ٢٠٠٠] .

وهذا يشير بشكل واضح إلى أن طريق العلم هي طريق الخير للفرد في الدنيا والآخرة ، ويترتب على ذلك ضرورة حث الناشئة على سلوك طريق العلم لأنه يوفر في نظـره فرصـة للفرد في اختيار طريقه ويجعله واثقاً أن هذا الطريق هو طريق الخير والصواب

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، وابن ماجه (٢٢٣) ، والدارمي (١ / ٩٨) وابن حبان (٨٨)

والعلماء في نظره وأولئك الذين اختاروا العلم طريقاً لهم مقدمون على العباد والشهداء ، وليس أدل على ذلك من استنفار كافة أهل الأرض والسماء للدعاء لهم والاستغفار لأجلهم ، وإن عملهم بالعلم واختيارهم إياه طريقاً لهم جعلهم في مقدمة الناس فقد فضلهم الله على كثير من الناس بما فيهم أولئك الذين انقطعوا للعبادة أو الذين خرجوا في سبيل الله فنالوا الشهادة ، ويورد دليلاً على ذلك قول الرسول ﷺ : " **قليل العلم خيرٌ من كثير العبادة ، وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله ، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه ، والناس رجلان : عالم وجاهل فلا تمار العالم ولا تحاور الجاهل** " [١] والخير هنا يعني التفضيل (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) . وبذلك يمكن الوقوف على مجموعة من الآثار التربوية من أهمها وجود الحوافز والدوافع و الرغبة لدى الناشئة باختيار طريق العلم الذي يوفر بنظره استقرار وجدان المتعلم واطمئنانه إلى الطريق الذي سلكه سواءً كان متعلماً أو معلماً.

والعلماء والمتعلمون في نظره مكرّمون برضى الله سبحانه وتعالى ورضى رسوله ﷺ ، وهذا غاية ما يتمناه المسلم وفي ذلك إشارة واضحة إلى المنزلة العظيمة التي يتبوأها المعلم والمتعلم ، ويورد دليلاً على ذلك قول الرسول ﷺ : " **نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه وبلّغه ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم : إخلاص العمل ، ومناصحة ولي الأمر ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتهم تحط من ورائهم** " [٢] وقول الرسول ﷺ أيضاً : " **من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له**" [٣] (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

والعلماء المعلمون يحظون بمكانة عظيمة بين الناس ، وإليهم يرجع الناس في الأمور المتعلقة بحياتهم يقدمون لهم النصح والمشورة فهم برأيه مراجع الأمة والأمناء على مصالحها وقد استدل على ذلك بالعديد من الأقوال المأثورة ومنها : " العالم أمين الأمة على الأرض " و " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ، ويعرف لعالمنا " يعني حقه ، وكذلك الحكمة

---

(١) أخرجه أحمد (٤ / ٩٢، ٩٣ ، ٩٦) والدارمي (١ / ٧٤) وأبو نعيم في الحلية (١٤٦/٥، ١٤٧) والطبراني في الكبير (٤٦) .
(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٣١٣) : والعقيلي (٣ / ٣٦٧) وأخرجه الآجري في أخلاق العلماء (٣٠) .
(٣) أخرجه أحمد (٥ /١٨٣) وابو داود (٣٦٦٠) ،و الترمذي (٢٦٥٦)، والدارمي (١ /٧٥) والطبراني (٤٨٩٠ - ٤٨٩١) .

القائلة : " من اتخذ العمل لجاماً ، اتخذه الناس إماماً ، ومن عـرف بالحكمـة لاحقتـه العيـون بالوقار" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

والعلماء المعلمون هم حكماء الأمة وعقلاؤها ، وهم المرجع الذي إليـه يعـود النـاس لمعرفة رأيهم في ما قد يواجههم من مشكلات وما يعترضهم من صعوبات ، والأمة في نظـره تلك التي يكثر علماؤها وحكماؤها تستطيع الوصول إلى أنجع الحلول لهذه المشـكلات، وهـو يشير بذلك إلى سداد رأيهم وحكمتهم ويروي في ذلك قول أحد العلماء : " من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحبهم " . يقول في ذلك : " روينا أن العلم أشرف الأحساب ، والمروءة أرفع الأنساب .... " وقول آخر : " العلماء مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا " . وقـول أبـي الأسـود الدؤلي : " الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

والعلماء المعلمون في نظره أحد أهم أسباب رفعة الأمة وتقدمها ، فهم من يتولون أمـر البحث في مختلف العلوم ، وهم من يوفرون للأمة أسباب التقدم لأن الأمة لا تتقدم بغير طريـق العلم ، وعليه فقد اعتبر الإمام العلماء والمعلمين منارات ا على الأرض ، وهم كـالنجوم فـي السماء ويورد دليلاً على ذلك قول أحد الحكماء : " العلماء في الأرض كالنجوم في السـماء " . و" العلماء أعلام الإسلام ، والعالم كالسراج من قربه اقتبس منه ، ولـولا العلـم لكـان النـاس كالبهائم " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

والعلماء المعلمون هم خيرة الأمة ولهم مكانة خاصة عند الناس جميعاً، فهم نور يُستضاء به من الجهل والتأخر ليصبحوا أحد أهم أسباب رفعتها وتحصينها من كل أسباب الجهل والتخلف وهم أحد أهم عناصر بقائها قوية مهابة (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ثانياً : آداب المعلم والمتعلم

الناظر في سيرة الإمام والمتتبع لمؤلفاته يلاحظ اهتمامه الشديد بالمعلمين والمتعلمين إدراكاً منه للدور الذي يقومون به وللنتائج والآثار المترتبة على عملهم ، لذلك حدد الإمام مجموعة من الآداب والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم والمتعلم ، وسيتم عرضها تحت العناوين التالية :

١ – آداب المعلم في نفسه وما ينبغي أن يتحلى به من صفات .

٢ – آداب المعلم وصفاته مع تلاميذه وطلاب العلم .

Ď – آداب المعلم في علمه والشروط الواجب توافرها في المعلمين لجواز الأخذ عنهم .

ď – آداب المتعلم في نفسه وما ينبغي أن يتحلى به من صفات .

٥ – آداب المتعلم في دروسه .

đ – آداب المتعلم مع معلميه وشيوخه .

Ē – آداب المتعلم وأخلاقياته في مجال تحصيل العلوم واكتساب المعرفة .

١) آداب المعلم وصفاته في نفسه وما ينبغي أن يتحلى به من صفات

- **الإيمان با سبحانه** : الإيمان با في نظره أول الخصائص والصفات التي ينبغي للمعلمين التحلي بها ، فهو يرى أنه الفيصل الحاسم الذي يتوقف عليه قبول عمل المسلم معلماً كان أو غير ذلك ، وبدونه لا ينفعه عمله في آخرته ، وبه تستشعر النفس بالأمن والاستقرار في الحياة الدنيا، وتقتضي ضرورة الإيمان في نظره اعتبار الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان لتلقي العقيدة، يقول في ذلك : " والأخذ في الكتاب والسنة واجب على كل مسلم ، ولا خيار فيه لأحد". وقد استمد رأيه من قوله تعالى : **{ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى ا ۵ أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ۵ ومن يعص ا ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً }** [سورة الأعراف، الآية ٣] ويضيف إلى ذلك ضرورة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء وكذلك الإيمان بالأنبياء والرسل وكافة ما أنزل عليهم من تعاليم وكتب وغيرهما (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **تقوnj ا والإخلاص في القول والعمل :** اعتبر الإمام تقوى ا سبحانه وتعالى ودوام مراقبته في السر والعلن وما يرتبط بهما من طهارة القلب وصفاء الضمير ، وإخلاص الطاعة من الصفات التي ينبغي للمعلمين التحلي بها ، لما لهذه الصفات والأخلاق من اثر هام في حياة المسلم وعمله فهو ينشط للبذل ويخف للتضحية ، ويتابع مسيرته نحو الكمال الذي أراده ا سبحانه وتعالى ، وبذلك يتوجه إلى عمله منطلقاً من اعتقاد صادق أن عمله هذا هو عبادة سيأخذ جزاءها يوم الحساب وبذلك يتحقق له الخير في الدنيا والآخرة وينطلق في ذلك من

قوله تعالى : **{ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكـم عن سبيلـــه }** [سـورة الأنعام ، الآيـة ١٥٣] (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- الصدق في القول والعمل **: وهي أيضاً من الصفات التي ينبغي توافرها في المعلمين، فقد اعتبر العلم والعمل اللذان لا يقترنان بنية خالصة نحو ا سبحانه وتعالى إنما يكونان وبالاً على صاحبهما يوم القيامة ، منطلقاً في ذلك من قوله تعالى** :{ ولا تخونوا ا والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} **[سورة الأنفال ، الآية ٢٧]، وقد أورد الإمام على ذلك قول الرسول ﷺ :"من تعلم علماً يبتغي به وجه ا لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها(١). وقوله: " من طلب العلم لغير ا أو أراد به غير ا فليتبوأ مقعده من النار . " (٢)(ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .**
- **الخوف والخشية من ا ولزوم طاعته** : حث الإمام المعلمين على ضرورة الخوف والخشية من ا ولزوم طاعته إيماناً منه بأن ذلك رأس الأمر وعدة المعلمين والمتعلمين وضرورة تمثل ذلك الخوف والخشية في جميع حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم ، فهم المؤتمنون على ما أودع ا عندهم من علم وعليهم واجب المحافظة على ذلك في جميع الأحوال ، يقول في ذلك : " وأزين الحلى على العالم التقوى" . **(**ابن عبد البر ، ١٩٩٦) . وفي هذا تأكيد على أن العمل يجب أن يرافقه مخافة ا وخشيته ، وذلك مدعاة للاطمئنان على الإخلاص فيه والتأكد من سلامة النتائج .

- **التزام التواضع والتحلي بالسكينة والوقار:** طالب الإمام المعلمين بضرورة التحلي بالسكينة والوقار والابتعاد عن الكبر والخيلاء ، ويورد في معرض التأكيد على ذلك قول الرسول ﷺ : " **تعلموا العلم تعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلم فلا يقوم جهلكم بعلمكم"** (٣) (ابن عبد البر ، ٢٠٠) ويترتب على ذلك العديد من الآثار التربوية ومنها ما يجعل المعلم صابراً على بطء فهم المتعلمين أو بعضهم ، أو صابراً على ما قد يصدر عنهم من أفكار تافهة، والسكينة والوقار

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) وأحمد (٢ / ٣٣Ĕ) وابن حبان (٧Ĕ) .
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٥) وابن ماجه (٢٥Ĕ) .
(٣) صح ذلك القول لعمر بن الخطاب رضي ا عنه ، وقد ورد ذلك في ذهن وكيع (٤٧٥) .

في نظره أمر لا بد منه من أجل تهيئة جوّ علمي في المجالس العلمية وحلقات الدرس يتناسب مع الدور الذي يقوم به المعلم ، وفي معرض تأكيده على ذلك يورد قول الرسول : **"ما نقصت صدقة من مال وما زاد ا عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد إلا رفعه "**[(1)]

ويورد كذلك قول علي ابـن أبي طالـب كرم ا وجهـه : " تعلموا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم و تواضعوا لمن تتعلمون منه وتعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء فيذهب باطلكم حقكم " (العمايرة ، ٢٠٠٠) ، وقول أبي الدرداء : علامة الجهل ثلاثة : العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه ، وأن ينهى عن شيء ويأتيه "[(٢)]. وهذا الحلم والتواضع يوفر للطلبة فرصة كافية للتساؤل عما يجهلون دون حرج وأن يفضوا إلى معلمهم بمشكلاتهم ويصرحوا لـه بما يجول بخواطرهم فيمتنع بذلك الالتباس عنهم وسوء الفهم (الغصن ، ١٩٩٦) ، والبعد عن التقليد في نظره يقتضي أن يكون المعلم صاحب شخصية علمية حرة، فلا يتوقف المعلم عند آراء من سبقه بل عليه أن يناقش آراءهم وأن يُعمل فكره عند مناقشتها. وقد كان الإمام ابن عبد البر قدوة في ذلك فهو وبالرغم من أن منهجه هو منهج أهل السنة والجماعة إلا أنه خالفهم في العديد من الآراء والقضايا لا يتسع المجال لذكرها ولكن تجدر الإشارة إلى واحدة منها وهي مخالفتهم في قضية رؤية ا يوم القيامة " ، حيث اعتبر أن رؤية ا يوم القيامة صريحة وهي متحققة لكل المؤمنين فهم سيرون ربهم عياناً وقد استمد رأيه من قوله تعالى: **{ وجوه يومئذ ناضرة ☼إلى ربها ناظرة }** [سورة القيامة،الآيتان٢٢- ٢٣] (الغصن ، ١٩٩٦) .

- **القدرة على التواصل مع الآخرين وحسن الاستماع :** اشترط أن يكون لدى المعلمين القدرة على التواصل مع الآخرين وخاصة مع أولئك الذين هم أعلم منهم ، فالقـدرة علـى التواصل شرط لازم لا بد منه لما يترتب عليه من آثار هامة ومنها الاسـتزادة مـن العلـم ومحو الجهل عن النفس ، واستبدال الموقف من بعض القضايا مما كـان يعتقـد بصـحتها والتواصل مع الآخرين يقتضي من المعلمين معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومنها : طلاقـة الوجه ، والمعاملة الحسنة ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى عن الآخرين ، واحتماله منهم،

١- أخرجه مسلم (٢٥ĔĚ) .
٢- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٢٦) ، وابن أبي ماجه (٤٢١٤) وغيرهم .

والإيثار وترك العجب والرفق بالمتعلمين ، ومن التواصل أيضاً القدرة على قول الحقيقة . ويورد في معرض تأكيده على ذلك قول الرسول ﷺ : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** "[١]. يقول ابن عبد البر : " وروينا عن ابن المبارك قوله : " إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ومن باب الاستماع أيضاً أن تكون لديهم القدرة على تحليل أفكار الآخرين والصبر والتأني في الاستماع لهم ، يقول في ذلك : " وفي الاستماع سلامة وزيادة في العلم والمستمع شريك المتعلم ..." ويورد أيضاً قولاً لمعاذ بن جبل يذم فيه من كان في هذه الطبقات من العلماء الذين لا يستمعون لغيرهم ويعدهم بأن النار هي مثواهم ، وقول يزيد بن حبيب " إن المتكلم ينتظر الفتنة وإن المنصت ينتظر الرحمة " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠)

- **المحافظة على الفرائض والمندوبات الشرعية :** اشترط الإمام على المعلمين ضرورة المحافظة على التزام منهج الله بمحافظته على العبادات والمندوبات الشرعية في القول والعمل فعليه ملازمة تلاوة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان والإكثار من الصلاة ونوافل العبادات ويستدل على ذلك بما كان يفعله الإمام مالك من أنه كان إذا ذكر الله تغير لونه ويرى أن لذلك آثاراً هامة (ابن عبد البر،١٩٩٤) ، فتلاوة القرآن تدرب النفس على التفكر والتدبر في معانيه وأوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده ، والعبادات ونوافلها تعوّد الإنسان الالتزام والصبر والتحمل وتمثل الأخلاق الفاضلة في علمه وسلوكه . والمحافظة على الفرائض والمندوبات تطهر النفس من الأخلاق الرديئة وتعمّر القلب بالأخلاق الفاضلة والتي منها : البعد عن الغل والحسد ، والبغي ، والغضب والكبر والخبث والبخل والطمع والفخر والخيلاء والتنافس في الدنيا والمداهنة وحب المديح والغيبة والنميمة والكذب وفحش القول وغيرهما " (ابن جماعة، ١٩٩٤) .

- **ملازمة الجد والحرص على مواصلة الاستزادة من العلوم** : طالب المعلمين بعدم التوقف عن تحصيل العلم وملازمة الجد والاجتهاد ، والاستفادة من الوقت وعدم إضاعته في غير ما هو نافع ، وإن عليهم المثابرة في طلب العلم والاستمرار في ذلك ، مشيراً أن

---

[١] - صحيح أخرجه عبد الرزاق (١ / ٧٠)

ذلك واجب طول العمر وكل الوقت إلا بقدر الضرورة مـن مسـتلزمات الحيـاة كالأكـل والشرب، والنوم وغير ذلك . وقد أورد في معرض التدليل على ذلك قول يحيى بن كثير "لا يستطاع العلم براحة الجسم " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .ولكن ينبغي عدم تحميل النفس ما لا تطيق كي لا تصل إلى حد السأم والملل (ابن جماعة، ١٩٩٤) .

- **التنزه عن هدف كسب المال وجني المكاسب الدنيوية :** طالب المعلمين بنشر العلم، وحرّم منعه عن الناس في حال عدم قدرتهم على دفع الأجر ، وفي المقابل أجاز أخذ الأجر لمن تفرغ منهم للتعليم معتبراً ذلك وسيلة من وسائل استمرار حياتهم لتأمين مطالبها . ولكنه يطالب المعلمين بالتنزه عن المكاسب الدنيوية منطلقاً من قوله تعالى : {**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه لـه** } [سورة الحديد ، آية ١١] يقول الإمام ابن عبد البر : " التقلل من الدنيا والاقتصاد فيها والرضا بالكفاف منها ، والاقتصار على ما يكفي ويغني عن الناس أفضل من الاستكثار منها والرغبة فيها ، وأقرب إلى السلامة " ويورد دليلا على ذلك ما قاله الرسول ﷺ : " **قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسون، إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**"[١] (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

٢) آداب المعلم وصفاته مع تلاميذه وطلاب العلم

كما هو الحال بالنسبة لآداب المعلم وصفاته في نفسه أشار الإمام إلى عدة من الصـفات والشروط ينبغي توافرها في المعلم فيما يخص طريقة تدريسه وصفاته مع تلاميـذه ، وطـلاب العلم الذين يتلقون العلم عنه إدراكا منه لضرورة تحلي المعلم بعدد من الصفات والكفايات ليكون قادرا على التعامل مع طلابه الذين يتلقون علومهم عنده .

ومن أهم ما أشار إليه الإمام في هذا الجانب :

- **العدل والمساواة بين التلاميذ وطلاب العلم** : طالب ابن عبد البر المعلم أن يكون عادلا بين تلاميذه ، وأن يشعرهم أنهم عنده سواسية بغض النظر عن أحوالهم الاجتماعية ، لا فرق بين الغني والفقير ، وعليه أن يتعامل معهم بالتسـ ـ ـاوي (ابن عبد البر، ٢٠٠٠)

١. صحيح أخرجه البخاري (٥١٩٦) ومسلم (٢٧٢٦) .

والمساواة التي أشار إليها أيضا هي المساواة في المعاملة فلا يفرق بينهم أيضا على أساس القرابة أو النسب ، أو غيره ، وكذلك مساواتهم فيما يقدم لهم من نصح ومشورة وتأديب وفي ذلك يتحقق العدل (ابن عبد البر، ١٩ĚĚ) .

- **اختيار السهل من الطرق في تدريس طلبته** : أشار ابن عبد البر إلى ضرورة قيام المعلمين باختيار السهل من الطرق والابتعاد ما أمكنه عن الطرق التي تسد العلم عن عقولهم ، ويشترط في طريقته أن تكون مقبولة عندهم يتوافر فيها التشويق والإمتاع والتنويع ، وفي ذلك إبعاد للملل عن نفوسهم ، وإقبال على التعلم ، وأن تكون طريقة التدريس ملائمة لمستوى الطلاب كما ينبغي أن تكون ملائمة لما يريد المعلم إيصاله إلى طلبته من علوم (الخولي ، ١٩٧Ě) .

- **مراعاة مستويات الطلبة** : طالب ابن عبد البر المعلم بأن يراعي مستويات طلابه فينوع في أساليبه مستخدما التكرار ليفهموا ، وأن يراعي قدراتهم العقلية حتى لا يضطربوا ، وأن ينبههم دائما إلى أهمية تدوين ما يسمعون من أجل حفظه Ý لأن مخاطبة حاستين في نظره أقوى من مخاطبة حاسة واحدة لديهم (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) وعليه أن يراعي ما بينهم من فروق في القدرات والاستعدادات فإن المتعلم القاصر ينبغي أن يأخذ من العلم ما يحتمله فهمه كأن يكون مستوى العلوم على قدر فهم المتعلم ، فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجلي ولا إلى الخفي من الظاهر ، ويرى أن على المعلم أن يقتصر على ما يناسب قدراتهم وعقولهم (الغزالي، ١٩٩٦) .

- **البشاشة والبعد عن الغلظة** : طالب المعلم بأن يكون بشوشا مع طلابه غير مضجر بما يقولون لما في ذلك من تأليف لقلوبهم ، ويروي في ذلك عن أبي هارون العبيدي ، وشهر بن حوشب قالا: " كنا إذا أتينا إلى سعيد الخدري يقول : مرحبا بوصية رسول ا ﷺ أمرنا رسول ا أن نوسع لكم في المجالس وأن نفهمكم الحديث ، وفي هذا إشارة إلى تمتين علاقة المعلم بالمتعلم ، فتزول بذلك الحواجز بين المعلمين والمتعلمين ، وتتألف قلوبهم فيقبل المتعلم على حلقات الدرس ومجالس العلماء "(ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

- **انتقاء من يصلηح للتعليم** : طالب المعلمين بأن تكون لديهم القدرة على انتقاء من يصلح للتعليم، وهم بنظره من تكون لديهم الرغبة في العلم ولديهم القدرة على تحصيل العلوم معتبرا أن جهد المعلم مع من هم دون ذلك جهد ضائع ، وهم كمن يحاول أن يعلق الدرر على أعناق الخنازير فهو لا يستطيع أن يجعل من الخنزير حيوانا جميلا ، أو يجعله يخرج عن دائرته وطبيعته ، ولن يستطيع ذلك مهما فعل وبذل من جهد ،وفي ذلك ينقل عن شعبة قوله : رآني الأعشى وأنا أحدث قوماً فقال : "ويحك يا شعبة تعلق الدرر على أعناق الخنازير " ، ويروي أيضا عن نبينا عيسى قوله:" لا تمنع الحكمة أهلها فتأثم ، ولا تضعها في غير أهلها فتجهل ، وكن رفيقا يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع "(الخولي ، ١٩٧Ĕ) .

تجدر الإشارة إلى أن هذا الرأي لا يتفق تماماً مع النظرة الحديثة للتعليم و التعلم و التي تقر بوجود تفاوت بين الأفراد في القدرات العقلية ، مما يعني اختلافهم في القدرة على تحصيل العلوم و إن استبعاد هذه الفئة التي أشار إليها الإمام يعني حرمانهم من ممارسة حقهم في التعلم ، كما أن جهد المعلم مع هذه الفئة ليس جهداً ضائعاً كما أشار ، و إن ذلك يتعارض مع مبدأ المساواة الذي يعطي كل الناس فرصاً متكافئةً ، و يبدو أنه انطلق في رأيه نتيجةً للظروف التي كان يعيشها المتعلمون في عصره ، و هي مغايرة تماماً لواقعنا المعاصر .

- **عدم جواز ادعاء معرفة ما لا يعرف:** فإذا سئل عما لا يعرفه قال : لا أعلم ، فلا يجوز له تعليمهم ما لم يكن متأكدا من صحته ، ولا يكون ذلك في نظره إلا بالإكثار من طلب العلم والاستمرار في طلبه ما دام يمارس عمله معلما ، ويشير أيضا إلى ضرورة قيام المعلمين بالاستمرار في طلب العلم ومعرفة كل ما يستجد من أمر في مجال العلم ، ويروي في ذلك قول مالك بن دينار : " من طلب العلم لنفسه فقليل العلم يكفيه ، ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة " ، وقول امرأة للشعبي :" أيها العالم افتني ، قال : " العالم من خاف ا عز وجل " (العمايرة، ٢٠٠٠) .

- **الرفق بالمتعلمين والشفقة عليهم** : ينبغي أن يصبر عليهم فلا يضجر منهم وأن يكون رفيقا بهم فلا يضربهم ، وفي هذا تأكيد على ضرورة الابتعاد عن القسوة مع المتعلمين وأن يستخدم الأساليب التي تحبب العلم لنفوسهم ، وتبعد عنهم النفور منه ، كما أكد على ضرورة أن يكون المعلم بعيدا عن الفظاظة الممقوتة ، وأن لا يكون عبوسا دائما ، وأن

يجري المتعلم مجرى أولاده مشيرا إلى قول رسول الله ﷺ :" **إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) فالمعلم في نظره عوض عن الوالد ، وهذا الرأي أيضا أشار إليه الإمام الغزالي معتبرا أن المعلم للمتعلم بمثابة الوالد للولد (الغزالي، ١٩٩٦) .

- **تنمية شخصيات المتعلمين واستقلالهم الفكري :** طالب المعلمين بالعمل على تنمية شخصيات المتعلمين ، وأن عليهم واجب تدريبهم على النقد وخاصة النقد الذاتي ، ومراجعة النفس ونقد أفكار الآخرين نقدا موضوعيا ؛ فعليهم أن لا ينقادوا وراء كل ما ينقل إليهم من علوم وآراء وأفكار دون مناقشة وتمحيص ، وخاصة تلك التي ينقلونها عن معلميهم ، و عليهم مناقشة تلك الأفكار وتمحيصها ، وأن على المعلمين واجب تدريبهم على إعمال فكرهم تجاه الأفكار والآراء ، وعليهم إتاحة الفرص لهم للتساؤل والمناقشة والحوار لما في ذلك من أثر كبير في مدارسة العلم ومراجعته ، ويروي في ذلك القول المشهور :" ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق ، وإذا جهلت فاسأل فيبدو لك استفهامك أجمل بك وخير من السكوت العي " (العمايرة،٢٠٠٠) .

- **تدريب المتعلمين على المناظرة والحوار :** طالب المعلمين بتدريب طلبتهم على المناظرة والحوار وتعويدهم إبداء الرأي مشيرا إلى أهمية ذلك في صقل شخصياتهم وتنمية أفكارهم، وقد حذرهم أيضا من الاقتصار على أسلوب التلقين لأن ذلك مدعاة لنسيان العلم ؛ فإن التلقين وحده لا يكفي وله من الآثار ما يجعل المتعلم خاملا ووعاء لأخذ المعرفة دون مناقشة ، وقد استمد الإمام منهجه في ذلك من القرآن الكريم الذي استخدم هذا الأسلوب غير مرة وفي أكثر من موضع ، ومنها قوله تعالى : **{ قل فلله الحجة البالغة }** [سورة الأنعام، الآية١٤٩] وقوله : **{يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها }** وقولـه :**{ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشـرق فأت بها من المغرب فبهـت الذي كفـــــــر}** [سورة البقرة، الآية ٢٥٨] (ابن عبد البر،٢٠٠٠).

- **الكشف عن حاجات المتعلمين واختبار مستوياتهم :** على المعلمين واجب معرفة أحوال المتعلمين ومستوياتهم وحاجاتهم ، والكشف عن جوانب القصور والنقص في علومهم ومعارفهم ويكون ذلك بمساءلتهم ، وتوجيه المسائل لهم وإعطائهم فرصة التساؤل عن جوانب الجهل والنقص لديهم ، ويورد على ذلك العديد من الأدلة وآراء العلماء ، ومنها قول الخليل بن أحمد :" إن لم تعلم الناس ثوابا ، فعلمهم لتدرس بتعلمك علمهم ، ولا تحرج من تقريع السؤال فإنه ينبهك إلى علم ما لم تعلم " (الخولي ، ١٩٧Ě) ، وحرية النقاţ يجب أن تكون مكفولة لهم ، وأن توفر لهم الفرصة الكافية لعرض ما يجول بخواطرهم ، ويروي في ذلك قول علي بن أبي طالب رضي ا عنه :" ألا رجل يسال فينفع جلساءه " وقول أحد العلماء :" ما لكم لا تسألوننا ؟ أأفلستم؟ " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

Ď) آداب المعلم في علمه والشروط الواجب توافرها في المعلمين لجواز الأخذ عنهم

أشار الإمام ابن عبد البر إلى العديد من الآداب والصفات التي ينبغي للمعلم التحلي بهـا في علمه وعمله ، يمكن إجمالها فيما يلي :

- **الإلحاŃ في طلب العلم :** طالب ابن عبد البر المعلمين بضرورة الإلحاΘ في طلـب العلـم والاستمرار فيه ، وفي هذا إشارة واضحة إلى تأكيده على مبدأ الاستمرار في طلـب العلـم يورد على ذلك قول نعيم بن حماد قال : قيل لابن المبارك إلى متى تطلب العلم ؟ قال : حتى الممات إن شاء ا " ، وقول ابن أبي ϵسان :" لا تزال عالما ما كنت متعلما فإذا اسـتغنيت كنت جاهلا "، ومن باب الإلحاΘ في طلب العلم رفضه أن يكون الحياء سـببا فـي ادعـاء معرفة ما يعرف مشيرا إلى قول علي ابن أبي طالب :" خمس احفظوهن لو ركبـتم الإبـل لانضيتموها من قبل أن تعيبهن : لا يخاف عبد إلا ذنبه ، ولا يرجو إلا ربه ، ولا يسـتحي جاهل أن يسأل ولا يستحي عالم إن لم يعلم أن يقول : ا أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس لـه ، ولا إيمـان لمـن لا صـبر لـــه " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

وقد اعتبر ابن عبد البر أن نشر العلم من باب طاعة ا وسوف يكون لناشره ومبلغـه حسن المال في الآخرة والأجر والثواب لمن يقومون بذلك، وقد استشهد على ذلك بقول النبي ﷺ: " **ألا أخبركم عن أجود الأجواد "Ý قالوا : نعم يا رسول ا Û قال : " ا أجود الأجواد وأنـا**

أجود ولـــد آدم ، وأجودهم من بعدي رجل عام علما فنشر علمه يبعث يوم القيامـة أمـة وحده ، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل"[1] ، وقول النبي ﷺ أيضا :" **من علم علمـا فله أجر ذلك ما عمل به عامل ، لا ينقص أجر العامل شيء**"[2]

- **الابتعاد عن المباهاة بالعلم :** طالب المعلم بضرورة الابتعاد عن المباهاة في العلم أو اتخاذه وسيلة للتكبر والخيلاء لأن في ذلك مدعاة لكراهية الأخذ عنه وابتعاد الطلبة عـن مجالسـته ونفورهم من مجلسه ، ويستشهد على ذلك بقول النبي ﷺ : " **إن الله عز وجل أوحى إلـي أن تواضعوا ، ولا يبغ بعضكم على بعض** " [3].وقوله أيضاً : " **لا تتعلموا العلم لتباهوا بـه العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتمتازوا به في المجالس ، ومن فعل ذلـك فالنـار النار** " [4] .يقول ابن عبد البر : هذا الوعيد لمن يرد بعلمه شيئاً غير الخير عن هذا، فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .
- **الأصالة والبعد عن التقليد :** رفض الإمام أن يكون المعلم مقلداً لغيـره ورأى ضـرورة أن يكون أصيلاً في منهجه ، وفي سيرته ومؤلفاته ما يؤكد التزامه بذلك ، فالأصالة في المنهج الذي استخدمه في عمله تدل على التزامه التام بذلك فكان القرآن والسنة النبوية هما مصدرا التعلم عنده، كما أن مؤلفاته ومصنفاته تشير إلى ذلك بوضوح فكـان دائـم العـودة إلـى النصوص الأصلية ، ولم يكتف بذلك بل كان يناقش الأدلة مناقشة علمية دقيقة .

كما أشار الإمام أيضا إلى عدد من الشروط الواجب توافرها في المعلمين لجواز الأخـذ عنهم وسوف نعرض كما يلي :

- **الإمامة في العلم** : أكد الإمام على ضرورة أن يكون العالم إماماً في العلم حتى يجوز التلقي عنه والأخذ منه ، والإمامة التي أشار إليها ابن عبد البر هي مرتبة علمية يصل إليها العالم بعد أن يصل إلى مستوى معين في تحصيل العلوم والإحاطة بجوانب علمه بكل دقة ويصل إلى أدق التفاصيل في تخصصه ويحيط بكل الجوانب المتعلقة به ، ويروي في ذلك قول ابن الماجثيون : " كانوا يقولون : لا يكون إماماً في الفقه ما لم يكن إماماً في القرآن والآثار ،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده(٧٩٠) وابن حبان في المجروحين (٣٠١/٢) .
(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٤٠) وهو حديث حسن بشواهده .
(٣) صحيح أخرجه البخاري في " الأدب المفرد "(٤٢٦) وابن ماجه (٤ ، ٤٢) وغيرهما .
(٤) صحيح أخرجه ابن ماجة (٢٥٤) وابن حيان (٩٠) والحاكم المستدرك (١/ ٨٦) .

ولا يكون إماماً في الآثار من لم يكن إماماً في الفقه "،وقول يحيى بن سلام :"لا ينبغي ممن لا يعرف الاختلاف أن يفتي ، ولا يجوز لمن يعلم الأقاويل أن يقول : هذا أحب إلي " (ابن عبد البر، ١٩Ĕ٦) ، ويروي قول سليمان الأشعث السجستاني : " و رحم ا مالكاً كان إماماً ورحم ا الشافعي كان إماماً ، ورحم ا أبا حنيفة كان إماماً " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- **الثقة والعناية بالعلم** : اشترط ابن عبد البر توافر الثقة والعناية بالعلم فيمن يتصدون لمهنة التعليم معتبراً أن الثقة والعناية بالعلم هي شروط أساسية ينبغي توافرها في المعلمين حتى يمكن الأخذ والتلقي عنهم ورأى ضرورة أن يكونوا أئمة في العلم ، يقول معلقاً على حال زمانه وأحوال بعض علماء عصره : " ... إن من صحت عدالته وثبتت في العلم أمانته وبانت ثقته وبالعلم عنايته لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عالمة " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **الوعي والحذق والمهارة** : أشار إلى ضرورة أن يكون المعلم واعياً حاذقاً ماهراً في صناعته بحيث لا يقع في الخطأ إلا نادراً لأن تكرار الوقوع في الخطأ يعدّ في نظره جهلاً ويورد قول بعض العلماء : " لا يسلم العالم من الخطأ فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- **الصدق والصلاN وكثرة الحفظ** : أكد على عدم جواز الأخذ عمن عرف بالكذب واشتهر بقلة الورع ولزوم الهوى وعدم معرفتهم بما يحدثون وأورد دليلاً على ذلك قول مالك ابن أنس: " لا يعرف العلم عن أربعة : سفيه معلن السفه ، وصاحب هوى يدعو الناس إليه ورجل معروف بالكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يكذب على رسول ا ، ورجل لـه فضل وصلاθ لا يعرف ما يحدث به " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **الخوف والخشية والورع وأن لا يكون من أصحاب الكبائر** : يرى أن من الصفات والآداب التي ينبغي توافرها في المعلم حتى يؤخذ عنه الخوف والخشية والورع وأن لا يكون من أصحاب الكبائر الذي ثبت ارتكابهم لها ويروي في ذلك قول سحبان بن حيان التميمي: "العلماء ثلاثة : عالم با وبأمر ا ، وعالم با وليس بعالم في أمر ا ، وعالم بأمر ا وليس عالما با ، فأما العالم با وبأمره فذاك الخائف العالم بسنته وحدوده وفرائضه وأما العالم با وليس بعالم بأمر ا فذاك الخائف من ا وليس بعالم في سنته ولا بحدوده

ولا فرائضه ، وأما العالم بأمر ا وليس بعالم با فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه وليس بخائف منه " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **أن لا يكون مبتدعاً** : أشار الإمام على أن البدعة سبب من الأسباب التي تحول بين العالم وبين الأخذ عنه ، وهي من الأسباب التي منعت قبول الرواية في الحديث ، فقد رأى بعض العلماء عدم جواز الأخذ عن أهل الأهواء والبدع وأصحاب المذاهب المارقة كالخوارج والمعتزلة وغيرهم ، بل ذهب العلماء إلى عدم جواز الرواية عنهم مطلقاً لأن بدعتهم فسق غير متأول على أقل تقدير، فرد روايتهم باعتبار أن فسقهم يسقط عدالتهم " وفرق ابن عبد البر بين نوعين من البدعة: " صغيرة وكبيرة " ويدلل على ذلك بقول شريح :" إن السنة سبقت قياسكم ، فاتبعوا ولا تبتدعوا،فإنكم لن تضلوا ما أخذتم بالأثر"(ابن عبد البر ، ١٩٩٦).

- **الضبط وقلة الغفلة وعدم التخليط والتغيير** : والضبط الذي اشترطه الإمام في المعلمين لجواز الأخذ عنهم هو مراجعة الحفظ وفهمه فهماً دقيقاً . وفي ذلك إشارة واضحة إلى المنهج النقدي المعاصر الذي يشترط في الباحث أن يكون فطناً حتى يقف دون عناء على التفاصيل الهامة أو الظروف الأساسية التي تؤثر تأثيراً فعالاً في الظاهرة التي يلاحظها أو يجمع المعلومات عنها،تمهيداً لدراستها"، والتخليط يمنع الأخذ عنه والمخلط في نظره هو ذلك الشخص الذي اختل حفظه في آخر عمره ويجوز الأخذ عنه في حالة واحدة فقط وهو ثبوت ما قاله قبل أن يخلط، وسبب الاختلاط هو الخوف أو الضرر أو بسبب المرض أو العرض " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦).

- **الخلو من السفه** : أكد الإمام على ضرورة خلو المعلمين من السفه حتى يجوز الأخذ عنهم، وروى في ذلك العديد من الآثار التي تؤيد قوله ومنها ما نقله عن الزهري : " إنما يذهب العلم بالنسيان، وترك المذاكرة " وقول كثير مرة الحضرمي: " إن عليك في علمك حقاً كما أن عليك في مالك حقاً ، لا تحدث العلم غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- **تحري الحق والتثبت في النقل والرواية** : أكد على العلماء والمعلمين ضرورة تحري الحق والتثبت في النقل والرواية مؤكداً على المتعلمين بضرورة اختيار العلماء الثقات العدول وفي

ذلك ما يكفي للأخذ عنهم إلا أن يثبت عكس ذلك يقول في ذلك : " ... والصحيح أن من صحت عدالته ، وثبت في العلم إمامته ، وبانت ثقته وبالعلم عنايته لم يلتفت فيه أحد ، إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة،يصحح بها جرحته عن طريق الشهادات"(ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ومن باب تحري الحق ضرورة الأخذ عن أولئك الذي لديهم من العلم ما يكفي فلا يجوز الأخذ عمن وصفت علومه بالقلة ويورد على ذلك قول حماد عن أهل الحجاز : " قد سألتهم فلم يكن عندهم شيء ، وا لصبيانكم أعلم منهم ، بل صبيان صبيانكم " ومن باب التحري والتثبت في النقل عدم جواز ادعاء شيء غير معلوم لديه وهو ما أطلق عليه ابن عبد البر الكذب والتدليس في مسألة نقل الأحاديث وروايتها " ومنها أيضاً ، الأمر بتحاشي اللحن والخطأ في الحديث من خلال تتبع ألفاظه (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ، وهذا ينسحب على سائر العلوم بضرورة التدقيق والحرص على السلامة العلمية " .

- **عدم جواز التدافع نحو الفتوى واعتبار ذلك مذموما** : أكد على علماء عصره عدم جواز التدافع نحو الفتوى معتبرا أن من باب الخير لهم الامتناع عن ذلك ويروي في ذلك قول عبد الرحمن أبي ليلى قال ": أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول ا ﷺ أراه قال - في المسجد - فما كان منهم محدث إلا ود أخاه كفاه الحديث ولا مفتي إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا" (ابن عبد البر ، ١٩٩٦).

- **الالتزام والقدوة في المنهج** : أكد على العلماء والمعلمين في عصره ضرورة اتباع منهج السلف في النقل عن الأئمة الثقات والعناية بحفظ الأصول والسنن (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) و يرى ابن عبد البر في الالتزام أحد أهم خصائص العلماء والمعلمين في عصره ، حيث أن الالتزام في نظره منهج ألزم ا سبحانه وتعالى عباده به ، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود القدوة وأخذ الأسوة من الصدر الأول ومن قمم الإسلام ليتحقق الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكا وأن القرآن في نظره قد وضع معالم واضحة لهذا المبدأ بقوله **{ ولا تبخسوا الناس أشياءهم }** [سورة هود ، الآية ٨٥] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) يقول الإمام ابن عبد البر في معرض تعليقه على ذلك بعد أن حشد العديد من النصوص : " هذا باب غلط فيه كثير من الناس وضلت فيه نابتة جاهلة لا تدري ما عليها ". وهو بهذا يشير إلى المستوى الذي وصل إليه علماء عصره من قصور وتدن في

مستواهم العلمي فأصبحوا في نظره غير قادرين على القيام بمهنة التعليم التي تتطلب مستوى متقدم من التحصيل العلمي (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- **العدالة والحفظ والإتقان :** اشترط ابن عبد البر توافر العدالة والحفظ والإتقان في المعلمين حتى يمكن الأخذ عنهم وأن تتوافر فيهم القدرة على الحفظ والقدرة على الرواية وإتقانها ، يقول في ذلك : " وأما من لم تثبت إمامته ولا عرفت عدالته ولا صحت لعدم الحفظ والإتقان روايته فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي إليه النظر والدليل " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) . وفي هذا إشارة واضحة إلى عدم جواز الأخذ دون نظر وتمحيص إلا إذا وافق ما جاء به غيره من العلماء الذين توافرت فيهم صفات الحفظ والعدالة والإتقان ، وموافقته مع الأدلة الثابتة القاطعة كما أنه رفض طعن العلماء بعضهم في بعضهم حسداً أو غير ذلك واعتبره غير كاف للطعن في عدالة العلماء . يقول في ذلك " إن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حالة الغضب ومنه ما حمل على الحسد .. ... ومنه على جهل التأويل مما لا يلزم القول فيه بما قال القائل فيه " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **الفهم والقدرة على التدبر ورفض الأهواء والبدع :** أشار ابن عبد البر إلى عدم جواز الأخذ عن العلماء من عرف عنهم ابتداع ما ليس موافقاً للحق أو ممن عرف عنهم اتباعهم هوى النفس أو ليس لديهم القدرة على التدبر والتعمق في الأمور وفي هذا تأكيد على ضرورة أن يكون لدى المعلمين مستوى عال من الفهم والقدرة على التحليل والنظر في العلوم واستنباط الآراء والأحكام واكتشاف الحقائق والدقة العلمية . يقول في ذلك : " العلم في زماننا هذا قد حاد أهله عن طريق سلفهم ، وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم وابتدعوا في ذلك ما بان جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .
- **الدقة في الرواية والبعد عن الوهم والغلط :** من الأمور التي أكد عليها ابن عبد البر عدم جواز التلقي والأخذ ممن عرف عنهم كثرة الوهم والغلط فهي بنظره من العوامل التي تمس الراوي ، وبالتالي لا يجوز معها الأخذ عنهم وهم بنظره فئتان : **فئة يقعون في الوهم والغلط** ويعترفون بذلك ويقومون بتصحيح ما وقعوا فيه ، وهؤلاء يجوز الأخذ عنهم ، **وفئة ترفض الاعتراف بالوهم والغلط** ويصرون عليه وهؤلاء لا يجوز الأخذ عنهم . (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

د) آداب المتعلم في نفسه ودروسه وما ينبغي أن يتحلى به من صفات

كان الإمام ابن عبد البر اهتمام واضح بالمتعلمين لكونهم في نظره الأساس التي تقوم عليه العملية التعلمية / التعلمية ، فالمتعلم هو بؤرة الاهتمام ومركز الدائرة في العملية التعلمية / التعليمية برمتها . لذلك حدد مجموعة من الصفات ينبغي للمتعلم أن يتصف بها كما أشار إلى العديد من الآداب التي ينبغي للمتعلم الالتزام بها أثناء تنفيذ المواقف التعليمية :

- **النية في طلب العلم :** اشترط الإمام حسن النية في طلب العلم ، والنية في نظره أن يقصد بتعلمه هذا وجه الله سبحانه فيستثمر علمه للدعوة إلى الله والتقرب منه ، كما اعتبر الإمام أن التعلم لوجه الله عبادة له يؤجر عليها كما يؤجر على صلاته وصيامه فإن قصد غير وجه الله حبط عمله وضاع وخسرت صفقته ، يقول في ذلك: " وروينا عن أبي حنيفة عن حماد بن إبراهيم قال : " بلغني إنه إذا كان يوم القيامة توضع حسنات الرجل في كفة ، وسيئاته في الكفة الأخرى ، فتشيل حسناته فإذا يئس وظن أنها النار جاء شيء من السحاب حتى يقع في حسناته فتشيل سيئاته ، قال : فيقال له : أتعرف هذا من عملك ؟ فيقول : لا ، فيقال : هذا ما علمت الناس من الخير فعملوا به بعدك "(ابن عبد البر ، ٢٠٠٠).

- **طاعة الله وتحقيق الكمال :** طالب ابن عبد البر بضرورة ابتغاء مرضاة الله سبحانه في كل ما يطلب من العلوم ، وأن يكون العلم وسيلة لكسب مرضاة الله سبحانه وتعالى ، يقول في ذلك " وإن ممن يبتغي هذا العلم يتخذه بضاعة ليلتمس به الدنيا ومنهم من يتعلمه ليماري به، ومنهم من يتعلمه ليشار إليه ، وخيرهم الذي يتعلمه ليطيع الله " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠).

- **المثابرة في طلب العلم :** طالب المتعلمين بالمثابرة في تحصيل العلوم وأشار عليهم بضرورة الاستمرار في تحصيل العلم وقد أورد في ذلك قول أنس بن مالك " لا ينبغي لأحد أن يكون عنده العلم أن يترك التعلم " (ابن عبد البر،٢٠٠٠) . والمثابرة في نظره الاستمرار في التعلم والبعد عن الكسل وينقل قول عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه قوله : " ميراث العلم خير من ميراث الذهب والفضة ، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ ، ولا يستطاع العلم براحة الجسد " . والمثابرة فيه أيضاً الصبر على الأداء والنصب. يورد في ذلك الشافعي :" لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعزة النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وحرمة العلم أفلح " . وقول علي بن أبي طالب في إحدى خطبه " وأعلموا أن الناس أبناء ما يحسنون ، وقدر كل امرئ ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبيّن أقداركم " .

ويقال: إن قول علي ابن أبي طالب : " قيمة كل امرئ ما يحسن " لم يسبقه إليه أحد . قالوا : " ليس كلمة أحض على طلب العلم منها و قالوا : ولا كلمة أضر بالعلم وبالعلماء والمتعلمين من قول القائل : " ما ترك الأول للآخر شيئاً " . يقول الإمام ابن عبد البر معلقاً على قـول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " قيمة كل امرئ – أو قدر كل امرئ – ما يحسن " من الكلام العجيب الخطير ، وقد طار الناس به كل مطير ونظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به وكلفة بحسنه " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- **التفرغ للعلم :** طالب المتعلمين بالتفرغ للعلم مشيراً إلى أن ذلك لازم لطالب العلم وأن عليه الانصراف عن كل ما قد يصرفه عن الطلب أو يؤثر فيه ، فالتعلم في نظـره صـفة يجـب التفرغ لها وعليه أن يترك كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين الاستمرار في المثـابرة فـي طلب العلم كالطعام والشراب ، أو اللباس أو غيره ، بل عليه أن يكتفي منها بما يحقق الكفاف ويعين على استمرار الحياة . (الخولي ، ١٩٧٨) . كما طالب المتعلمين بعدم التوقف عـن الطلب في العلم ، يقول في ذلك : " وروينا عن أنس بن مالك قوله : " لا ينبغـي لأحـد أن يكون عنده العلم أن يترك التعلم " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠)

- **أخذ القسط الكافي من العلوم الدينية :** اشترط الإمام على طالب العلم أن يأخذ قسطاً كافياً من العلوم الدينية إضافة إلى علوم العربية ، ويرى ضرورة ذلك لكل طالب علم مهما كان العلم الذي يطلبه ، بل إن تعلم العلوم الدينية والتي هي عنده في رأس العـلوم واجب ومطلوب لكل طالب علـم ، لأن العالـم في نظره لا يصل إلى رتبة الكمال في العلـــم دون معرفة علوم دينه ، ويورد دليلاً على ذلك ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه : " من حفظ القرآن عظمت حرمته ،ومن طلب الفقه نبل قدره ، ومن عرف الحديث قويت حجته ، ومن نظر في النحو رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم " كما طالب المتعلمين بالتعمق في العلوم وخاصة علوم الدين ، وينقل في ذلك قول أبي الدرداء : " لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **الحرص على الاستماع وحسن الإصغاء :** يرى أن على المتعلم إتقان مهارة الاستماع وحسن الإصغاء في مواقف التعلم وحلقات الدرس ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية الاستماع كونه وسيلة الفهم والتدبر . وهو يحقق الشراكة بين العالم والمتعلم ، ويروي في ذلك قول يزيد بن حبيب : " إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، يقول في ذلك : " وفي الاستماع زيادة في العلم والمستمع شريك المتكلم ، وفي الكلام توهن وتزين، وزيادة ونقصان " . وطالب المتعلمين بضرورة الحرص على ملازمة الصمت في المواقف التعلمية معتبراً ذلك أحد مهارات التعلم – يقول في ذلك : " تعلم الصمت كما تتعلم الكلام " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

اعتبر الصمت أيضاً من وسائل التعلم ودفع الجهل عن النفس. يقول في ذلك : " فإن يكن الكلام يهديك فإن الصمت يقيك ، ولك في الصمت خصلتان: تأخذ خصلة بها علم من هو أعلم منك ، وتدفع به جهل من هو أجهل منك " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) . ويرى أن الكلام يصبح ضرورة إذا كان في غنيمة ويصبح واجباً إذا رأى المتعلم ضرورة إظهار ما لديه في المواقف وخاصة في مجالس العلم يقول في ذلك : " الكلام في الخير غنيمة ، وهو أفضل من السكوت ، لأن أرفع ما في السكوت السلامة ، والكلام بالخير غنيمة ، وقالوا: من تكلم في الخير غنم ، ومن سكت سلم ، والكلام في العلم أفضل من الأعمال ، وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد به نفي الجهل ، ووجه ا تعالى ، والوقوف على حقيقة المعاني" . كما طالب المتعلمين بأن يحسنوا الإصغاء وعدم الخوض فيما لا فائدة منه. وهذا الصمت من الآداب السنية التي أمر بها رسول ا ﷺ ، يقول الإمام في ذلك : من صمت نجا ، والصمت محمود عواقبه وله فضل كبير ينبغي الالتزام به " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ، تجدر الإشارة هنا إلى أن الصمت الذي قصده الإمام هو الإنصات عند تقديم المعرفة وذلك لا يتعارض أو يتناقض مع المشاركة والحوار بعد تقديم الأفكار من قبل المعلم .

- **عدم جواز رفع الصوت في المجالس وحلقات الذكر والعلم** : طالب المتعلمين بضرورة أن تكون مناقشاتهم العلمية وإبداء آرائهم هادئة ، وأن تتصف بالهدوء والسكينة والروية . كما طالبهم بضرورة الابتعاد ما أمكن عن رفع الصوت ومقاطعة بعضهم بعضاً ويورد على ذلك قول الإمام مالك حين سئل عن رفع الصوت في العلم وغيره : " لا خير

في ذلك في العلم ولا في غيره لقد أدركت الناس قديماً يعيبون ذلك على من يكون في مجلسه، ومن كان ذلك في مجلسه كان يعتذر منه ، وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيراً " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **الحرص على مجالسة العلماء :** طالب المتعلمين بالحرص الدائم على مجالسة العلماء لما يترتب على ذلك من زيادة في العلم ونفي الجهل عن النفس ، ويروي في ذلك قول الشعبي : " جالسوا العلماء ، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم وإن أسأتم تأدبوا لكم وعذروكم وإن أخطأتم لم يعنفوكم وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم "(ابن عبد البر ، ٢٠٠٠). يقول في ذلك : " بلغني أن لقمان كان يقول : " ... يا بني اختر المجالس على عينك ، فإذا رأيت قوماً يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم ، فإنك إن تكن عالماً ينفعك علمك ،وإن تكن جاهلاً يعلموك ، ولعل الله عز وجل يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإن تكن عالماً لا ينفعك علمك ، وإن تكن جاهلاً يزيدوك غياً ولعل الله عز وجل يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم " . (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) ، كما وصف الإمام مجالس العلماء منتقداً تصرفات بعض المتعلمين والتي منها : رفع الصوت في المجالس ، والتعب وشرود الذهن والقول بالقول الشائن في المجالس والقول بالقول البذيء ومخالطة العلم بالضحك ، يقول في ذلك : " تعلموا العلم فإذا تعلمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب فإن العالم إذا ضحك ضحكة مجّ من العلم مجّةً " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦).

٥) آداب المتعلم في دروسه

- **إخلاص النية :** على المتعلم أن يبتغي من العلم طاعة الله سبحانه وتعالى ، وأن يستحضر النية بجعل هذا العلم الذي يطلبه ابتغاء مرضاة الله ، وتحقيق الكمال لا المباهاة فيه، ويورد في ذلك عدداً من الأدلة تمت الإشارة لها سابقاً .

- **ملازمة ذكر الله سبحانه وتعالى في سائر الأحوال :** وهذا أمرٌ مطلوبٌ من المسلمين خاصتهم وعامتهم ، وقد أورد الإمام في معرض تأكيده على ذلك قول أحد الحكماء: " حادثوا هذه القلوب بالذكر ، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد " (ابن عبد البر ، ١٩٨٩) .

- **انتقاء ما يصلح للتعلم :** طالب الإمام المتعلمين بانتقاء العلم النافع والابتعاد عن العلـوم الضارة ، ورفض أن يكون المتعلم إمعة يقبل كل ما يقدم له ، بل عليه أن يحلله وفي ضوء ذلك يحدد موقفه قبولاً أو رفضاً ، وبناءاً عليه فقد طالب الإمام المتعلم بشخصية مستقلة لديه القدرة على اختيار العلم الذي تستطيعه نفسه ، فالإمام يقرر أيضا مبدأ التفـاوت والقـدرات والاستعدادات النفسية لبلوغ العلوم (الخولي ، ١٩٧٤) .

- **التخصص في علم واحد وعدم الخلط بين علمين أو فنين أو أكثر :** طالب الإمـام المتعلمين بأن يختاروا من العلوم أشرفها ,وأحسنها ، وأن يختاروا من العلوم ما يناسـبهم . يقول في ذلك : " قد قيل إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن مـن العلـم ، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه " . يقول في معرض تأكيده على مبدأ التخصص فـي علم واحد: " من أراد أن يكون حافظاً نظر في فن واحد من العلم "(ابن عبد البر ، ٢٠٠٠)

- **احترام المعلمين وتوقيرهم ولزوم طاعتهم :** طالـب المتعلمـين بـاحترام معلمـيهم وشيوخهم وعدم الإلحاح عليهم بكثرة الأسئلة وخاصة إذا بدا عليهم الكسل ، ويـورد دليـل ذلك قول علي بن أبي طالب رضي ا عنه : " من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تلح عليه في طلب الإجابة ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشي لـه سراً ، ولا تغتـابن عنده أحداً ، ولا تطلب عثرته ، وإن كانت لـه حاجـة سـبقت القـوم علـى خدمتـه " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ومن باب احترام المعلمين وتوقيرهم ضرورة التسليم عليهم وأن لا تجلس أمـامهم وأن تبتعد عن كل ما يضايقهم لمزاً أو غمزاً أو ضحكاً أو كلاماً لا لزوم لـه ، ويورد في ذلك قول الإمام علي بن أبي طالب : " من حق المعلم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة ومن القوم عامة ولا تجلس قدامه ، ولا تشر بيديك ، ولا تلمز بعينك ، ولا تقل خلاف قوله ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه بالسؤال " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

- **احترام مجالس العلم وتوقيرها :** أكد الإمام على ضـرورة احتـرام مجـالس العلـم وتوقيرها ، منتقدا تصرفات بعض المعلمين فيها ، ومنها المجادلة والمناقشة البذيئـة ورفـع الصوت والعبث وشرود الذهن، ويورد في ذلك قول علي بن أبي طالب رضـي ا عنـه: "تعلموا العلم" والذي سبقت الإشارة إليه (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠).

- **أن يبدأ علمه بحفظ القرآن الكريم وإتقانه وفهمه** ، وحفظ القرآن كله ليس شرطاً واجباً عند الإمام بل حفظ شيء منه إلا لمن أراد أن يصبح عالماً أو فقيهاً لزمه حفظ كتاب الله كله. وطالب المتعلمين أيضاً بدراسة ما يلزم فهم القرآن من علوم اللغة العربية لأنها في نظره وسيلة الفهم والتدبر ومعرفة الأحكام ، يقول في ذلك : " فأول العلم حفظ كتاب الله وتفهمه ، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ، ولا أقول إن حفظه كله فرض ، ولكن ذلك شرط لازم على من أحب أن يكون عالماً فقيهاً ناصباً نفسه للعلم " . وقد اعتبر الإمام أن حفظ شيء من القرآن لازم أيضاً لكل من أراد أن يكون عالماً في أي فرع من فروع المعرفة وعليه معرفة الناسخ والمنسوخ ، لأن القرآن الكريم في نظره أصل العلوم . يقول في ذلك : " القرآن أصل العلم ، فمن حفظه قبل بلوغه ، ثم فرغ إلى ما يستعين على فهمه من لسان العرب كان ذلك له عوناً كبيراً على مراده منه... ثم عليه النظر في ناسخ القرآن وأحكامه ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك ، وهو أمر قريب على من قربه الله عز وجل عليه ... " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

- **حذر الإمام المتعلمين من الاشتغال في الخلافات بين المعلمين والعلماء** ، لما اعتبره بدعاً وضلالة ، وعاب على أهل الطرق الكلامية نهجهم هذا وسماهم أهل البدع والأهواء ، لذلك حذر الإمام المتعلمين من الانشغال بآرائهم وأقوالهم كونهم وسيلة للفرقة والانقسام ومدعاة لتحيير الأذهان والعقول ، يقول في ذلك : " فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين ، فشر محض (ابن عبد البر، ١٩٩٦). وأجاز الإمام للمتعلمين المجادلة إذا ضمنوا أنهم بردهم هذا قادرين على دحض باطل محض ، يقول في ذلك : " ألا أن يضطر أحد إلى الكلام ، فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه ، أو خشي ضلالا عاما أو نحو هذا " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **تكرار ما حفظه أمام معلمه وتصحيح أخطائه** : أشار الإمام إلى ضرورة عرض المتعلم لما حفظه أو قرأه على شيخه وأن يصحح ما وقع به من أخطاء وأن يعمد إلى التكرار ليثبت الفهم والحفظ ، وعليه أن يستمر في مذاكرته في أوقات يخصصها لذلك كوقت الصلاة ، يروي في ذلك ما قاله الزهري : " إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **أن يكون صاحب همة في حلقات الدرس** ، فلا يكتفي بقليل العلم ، وعليه أن يغتنم كافة وقته في الطلب وتحصيل العلوم ، وعليه أن لا يضيع وقته في ما هو غير نـافع ، ويـورد على ذلك قول الرسول ﷺ : " **لا تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصـال : عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيـه**" [1](ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) . وعليه أن يغتنم وقت فراغه ونشـاطه وزمن عافيته وقد أورد في ذلك قول عمر رضي الله عنه " تفقهوا قبل أن تسودوا " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

- **أن يلازم حلقات الدرس ومجالس العلم** التي يعقدها شيخه أو معلمه ، فإن ذلك في نظر الإمام لا يزيده إلا خيراً وتحصيلاً وأدباً ، وقد تم الوقوف على ذلك من خلال سيرته العلمية التي استمرت طوال حياته ، فقد لازم شيوخه وحلقات دروسهم طوال فترة تعلمه وكان دائم التردد على حلقات الدرس .

- **حمد الصمت وذم المنطق :** أشار الإمام إلى ضرورة تحلي طالب العلـم بالقـدرة علـى الإنصات والصمت في حلقات الدرس والبعد عن حشو الكلام ، يقول في ذلك : " وروينا عن عقبة بن عامر أنه قال : يا رسول الله : فيم النجاة ؟ فقال **:" يا عقبة املـك عليـك لسـانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك** " (ابن عبد البر،٢٠٠٠)

- **التجاوز وكظم الغيظ :** طالب المتعلمين بالعفو والتجاوز وكظم الغيظ والصبر عما يصدر في حلقات الدرس من معلميهم وشيوخهم ومن زملائهم . وعلى طالب العلم أن يتزين بالعفو وكظم الغيظ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك : " أفضل العفو عند المقدرة وأفضل القصد عند الحدة . " (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

- **التلطف في القول وتحري الأدب :** أكد على ضرورة تحلي طالب العلم بالأدب والبعد عن الفحش والغلظة في القول ، كما طالب المتعلمين بالبعد عن كثرة الكلام في مجالس العلم ، وقد أورد في ذلك قول أبي هريرة : " لا خير في فضول الكلام " ويقول الإمام معلقاً على ذلك:" كان يقال: أفضل الكلام ما قلت ألفاظه، وكثرت معانيه(ابن عبد البر ،١٩٨٩).

- **الحرص على تعلم الإعراب وتجنب اللحن في الخطاب :** طالب المتعلم بأخذ نصيب وافر من علوم العربية ليكون قادراً على اجتناب اللحن في خطابه ومناقشته في دروس العلم وحلقات الدرس ، وقد أورد في ذلك ما كتبه الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري : " أما بعد فتفقهوا في السنة ، وتعلموا العربية " وقوله أيضاً : " رحم ا عبداً أصلح لسانه " (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٩) . ويروي أيضاً عن شعبة بن شبرمة : " إذا سرك أن تعظم في أعين من كنت عنده صغيراً ، ويصغر في عينك من كان فيها كبيراً ، فتعلم العربية فإنها تجزيك عن المنطق وتدنيك من السلطان " (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٩) .

- **ترويη القلوب :** طالب المتعلمين بأخذ قسط من الراحة لترويح القلب لأن ذلك في نظره يعظم لديهم القدرة على طلب العلم وتحصيله ويبعد عنهم الملل والسأم ، ويورد في ذلك قول الإمام علي بن أبي طالب – رضي ا عنه : " إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة " . وقول عبد ا بن مسعود : " إن للقلوب شهوة وإقبالاً ، وفترة وإدباراً،فخذوها عند شهوتها وإقبالها،وذروها عند فترتها وإدبارها" (ابن عبد البر، ١٩Ĕ٩).

- **تحري الدقة وتجنب التناقض في العلم :** قال معلقاً على فهم بعض طالبي العلم في عصره : " واعلم رحمك ا ، أن طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا هذا قد حاد أهله عن طريق سلفهم ، وسلكوا في ذلك ما لم يكن يعرفه أئمتهم .... فطائفة منهم تروي الحديث ... فجمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، والحق والكذب في كتاب واحد وربما في ورقة واحدة " (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٩) .

- **عدم جواز الانشغال بالكثرة على حساب الفهم والتدبر :** أكد على ضرورة عدم جواز الاستكثار من العلوم بدون فهم أو تدبر،قال معلقاً على طالبي العلم في عصره : "... فألسنتهم تروي العلم ، وقلوبهم قد خلت من الفهم ، غاية أحدهم معرفة الكنية الغريبة والاسم الغريب والحديث المنكر " (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٩) . وقال معلقاً أيضاً على مستوى بعض طالبي العلم في عصره : " وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشد ، لم يعنوا بحفظ سنة ولا الوقوف على معانيها ولا بأصل القرآن ولا اعتنوا بكتاب ا فحفظوا تنزيله ، ولا عرفوا ما

للعلماء في تأويله ... بل عولوا على حفظ ما دوّن لهم من الرأي والاستحسان " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

د) آداب المتعلم وأخلاقياته في مجال تحصيل العلوم واكتساب المعرفة

اشترط الإمام على المتعلم العديد من الأخلاق التي ينبغي له أن يتصف بها في مجال تحصيل المعرفة ، واكتساب العلوم ؛ لما لهذه الصفات والأخلاق من أثر كبير في بناء شخصية علمية ، وتتمثل هذه الأخلاق في نظره فيما يلي :

- **النهي عن الاختلاف والمجادلة : أكد الإمام على عدم جواز الخوض في القضايا المؤدية إلى الاختلافات** وقد أفرد في كتابه "جامع بيان العلم وفضله " لهذه القضية بابا أطلق عليه "ما تكره فيه المناظرة والجدال " حذر فيه من الخوض في القضايا المؤدية إلى الخلافات مستمدا ذلك من التوجيه القرآني في العديد من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى:**{ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم }** [سورة آل عمران، آية ١٠٥] ، ومن الأمور التي تكره فيها المناظرة والجدال والمراء في نظره :-

١. الجدال والمراء في القرآن الكريم : يرى عدم جواز المراء فيه ، وللتدليل على ذلك يقول معلقا على حديث الرسول :" **المراء في القرآن كفر**" لا يصح فيه عن النبي  غير هذا بوجه من الوجوه : إنما يتمارى اثنان فيه يجحده أحدهما ويدفعه ويصير فيه إلى الشك فذلك هو المراء الذي هو كفر" ، وأما أحكامه فأشار إلى جواز المجادلة فيها فقد تنازع أصحاب الرسول ﷺ واختلفوا في أحكامه ، وأجاز المجادلة في الفقه لأنه بنظره علم يحتاج إلى رد الفروع على الأصول ، يقول معلقا على ذلك: " وأما الفقه فاجمعوا على الجدال والتناظر فيه "

٢. الجدال والمناظرة في صفات الله وأسمائه ، يقول في ذلك :" وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه " (الغصن،١٩٩٦).

- **التحذير من اتباع الهوى :** اعتبر الإمام اتباع الهوى في حال توافر المعرفة اليقينية ضربا من الظلم مستمدا ذلك من التوجيه القرآني في العديد من الآيات ، ومنها قوله

تعالى:**{ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين}** [سورة البقرة، آية١٤٥] ، والمجالات التي أشار إليها الإمام في هذا المجال :

١. التزام أحكام القرآن ، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، أشار إلى ضرورة تزكية نفس المتعلم حتى تتخلص من الهوى الذي يعد في نظره عائقا في طريق العلم ، وتحصيل العلوم، ويروي في ذلك قول الرسول ﷺ وهو يودع أصحابه:" **عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**" (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

٢. التزام الموضوعية في إصدار الأحكام : اعتبر الإمام عدم التزام الموضوعية في إصدار الأحكام اتباعا لهوى النفس مستمداً ذلك من قوله تعالى :**{ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فا أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن ا كان بما تعملون خبيرا } [** سورة النساء، آية ١٣٥**]**

- **التأكيد على المعرفة اليقينية وعد قبول المعرفة القائمة على الظن :**طالب المتعلمين بالتزام هذا الخلق لأهميته فهو المؤدي إلى المعرفة اليقينية الثابتة ، ورفض قبول المعرفة القائمة على الظن حيث اعتبرهما لا وزن لها مهما كان عدد المعتقدين بصحتها أو العالمين بها (الغصن، ١٩٩٦) وأورد في ذلك قول الرسول ﷺ :" **تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحللون الحرام ويحرمون الحلال**"(١)(ابن عبد البر، ٢٠٠٠)

- **التأكيد على التزام الموضوعية في تحصيل المعرفة ورفضه أي شكل من أشكال تزييف المعرفة:** أشار الإمام إلى ضرورة التزام المعرفة الحقة وعدم جواز اللجوء إلى تزييف المعرفة ومنهجه في ذلك مستمد من القرآن الكريم الذي أشار في أكثر من موضع إلى ذلك. ومن الأمور التي أشار إليها ابن عبد البر في هذا الجانب قولهم بالحديث المنكر

والغريب ، يقول في ذلك :" غاية أحدهم معرفة الكنية الغربية والاسم الغريب والحديث المنكر ونجده قد جهل ما لا يكاد يسمع أحدا جهله من علم صلاته وحجـه وصـيامه " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

- **عدم جواز كتمان المعرفة** ، وسبق الإشارة إلى ذلك في الحديث عن وجوب نشر العلم.

- **وجوب اقتران العلم والمعرفة بالعمل** : أكد الإمام ضرورة العمـل بـالعلم ، وطالـب المتعلمين بضرورة أن يقترن علمهم بعملهم ، ينطلق في ذلك من قوله ﷺ:" **طوبى لمـن تواضع في غير منقصة وذل نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالا جمعـه فـي غيـر معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمـن طـاب كسبه ، وصحت سريرته وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله** " (1). ويروي أيضا قول أبي هريرة :" ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات" ، وقول بعض الحكماء :" لولا العقل لم يكن علم ، ولولا العلم لم يكن عمل ، ولأن أدع الحـق جهلا به خير من أن ادعه زهدا فيه" . (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .ومن باب العمل بـالعلم موافقة العمل للعلم ، وترك الأقوال ومحاكمة الأعمال ويورد في ذلك قول ابن المبـارك عن الحسن قوله :" اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله لم يـدع قـولا إلا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه ، أو يكذبه ، فإذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه ، فإن وافق قوله عمله فنعم وإلا فهو نقمة عليه " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

- **الأصالة في المنهج** : المتتبع لمؤلفات الإمام يلاحظ أنه دائـم العـودة إلـى المصـادر الأصلية للاستشهاد بها ، والتي من شأنها في نظره أن تحدد الهدف بوضـوح وجـلاء (الغصن ،١٩٩٦) ، والعودة إلى المصادر الأصلية ليست عودا نقليا محضا، ولكنه كان يناقش هذه النصوص وما يعترضها من استدلالات ، وكان يرد عليها ردا علميا متوازنا ، ليكون ذلك توجيه للمتعلمين بعده بضرورة ذلك (الغصن ،١٩٩٦) .

---

(١) أخرجه ابن حبان"ج٦٢٤٧/١٤ ، ج٥/ ٦٧١٣ " والترمذي" ج٥/ ٢٦٤٠ " وابن ماجة "ج٣٩٩١/٢"

العلاقات التربوية بين أطراف العملية التعليمية التعلمية :

حرص الإمام على وضع القواعد والأسس التي تحكم العلاقة بين أطراف العملية التعليمية سواء تلك التي يتم استخدامها من تجربته وسيرته العلمية والتعليمية ، أو تلك التي وضعها بصورة مباشرة من خلال النظر في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، والأقوال المشهورة للأئمة والحكماء ، وقد رأى الباحث تناول هذه القواعد والأسس من خلال ما يلي :

أولا : العلاقة بين المعلمين والمتعلمين .

ثانيا : العلاقة بين المعلمين أنفسهم .

أولا : العلاقة بين المعلمين بالمتعلمين

أفرد الإمام للعلاقة بين المعلمين والمتعلمين عددا من الأبواب في مؤلفاته ومصنفاته وأضاف إلى ذلك في معرض تعليقاته على بعض الروايات والأحداث والقصص التي يذكرها خلال عرضه للعديد من الموضوعات التي تضمنتها مؤلفاته قواعد أخرى فهو يرى العلاقة بين المعلمين والمتعلمين علاقة شراكة معتبرا أن المعلم والمتعلم شريكان ، تقوم هذه الشراكة بينهما على الخير وقد اعتمد في نظرته هذه على ما ذكره أبو داوود :" الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر ا ، وما أدى إليه ، والعالم والمتعلم شريكان في الخير ، وسائر الناس همج لا خير فيهم " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ، والعلاقة التي أشار إليها الإمام بين العالم والمتعلم علاقة قائمة على طاعة ا سبحانه وتعالى والخشية منه وتقواه ، وأن هذه العلاقة بينهما يجب أن تؤطر برضا ا سبحانه وتعالى ، وذكره المتواصل فهي علاقة تعبدية ، على المعلم أن يقوم بتوفير كل ما يلزم من أجل ربط المتعلم با سبحانه وتعالى .

فالعلاقة بين العالم والمتعلم علاقة مساواة في الأجر ، فا سبحانه وتعالى ينظر إليهما بعين الرضا لما يصنعان وقد استشهد الإمام بالعديد من الأدلة ، ومنها قول أبي الدرداء :" العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في سائر الناس بعدهما "، وقوله أيضا :" تعلموا قبل أن يرفع العلم ، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء " و" معلم الخير ومتعلمه في الأجر سواء " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

والعلاقة بين العالم والمتعلم هي علاقة قائمة على الاحترام والتقدير ، بين المعلم والمتعلم يجب أن تؤسس في نظره على احترام المعلم للمتعلم وتقديره ويندرج تحت تلك العلاقة التشاركية العدل بين المتعلمين ، وإشعارهم بالمساواة ، مورداً في ذلك قول عمر بن عبد العزيز:" إن استطعت فكن عالما ، فإن لم تستطع فكن متعلما ، وإن لم تستطع فأحبهما ، وإن لم تستطع فلا تبغضهما"، وفي معرض تعليقه على الحديث النبوي :" واغد عالما أو متعلما ، أو محبا ولاتكن الخامسة فتهلك ، قال الخامسة التي فيها الهلاك معاداة العلماء أو بغضهم ، فمن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب ذلك وفيه الهلاك " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

وعلاقة المتعلم بالمعلم قائمة على الاقتداء ، فالمعلمون في نظره قدوة للمتعلمين ينظرون إليهم مقلدين سلوكاتهم ، يتعلمون منهم كما يتعلمون مما يقدم لهم من علوم ومعارف ؛لذلك أكد الإمام على أن المعلم يجب أن يكون قدوة حسنة للمتعلمين موردا الحكمة القائلة : " العلماء في الأرض كالنجوم في السماء ، والعلماء أعلام الإسلام ، والعالم كالسراج من مر به اقتبس منه ، ولولا العلم لكان الناس كالبهائم " (ابن عبد البر ،٢٠٠٠) . والقدوة في نظر الإمام الاستزادة من العلم واستدامة طلبه ، حيث أشار الإمام إلى أن المعلمين مطالبون بدوام طلب العلم، وأن عليهم الاستمرار فيه ما داموا قادرين على ذلك ، وقد انطلق في ذلك مما قاله ابن مناور عن عمرو بن العلاء :" حتى متى يحسن المرء أن يتعلم فقال: ما دام تحسن به الحياة " ومما قاله الكشورى عن أبي غسان :" لا تزال عالما ما كنت متعلما ، فإذا استغنيت كنت جاهلا " (العمايرة،٢٠٠٠) .

ويشدد ابن عبد البر على ضرورة السعي لبلوغ المتعلم درجة رفيعة في العلم ، فهو لم يتوقف عن تدريسه وتعليمه للناس الصبر والتحمل والأناة في سبيل العلم ، بالرغم من اعترافه بأن طلب العلم فيه من المشقة والجهد على المتعلم ، وأن مواصلة ضروب العلم تحتاج إلى صبر وأناة ، وقد أورد في ذلك قول بعض الحكماء :" الكمال كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائبة وتدبير المعيشة " وما أورده الكشورى عن أبي غسان قوله :" لا تزال عالما ما كنت متعلما فإذا استغنيت كنت جاهلا" (العمايرة ، ٢٠٠٠) . والقدوة التي أرادها الإمام قدوة في المظهر وحسن اللباس ، وعدم الإفراط في الطعام والشراب ، ويستشهد على ذلك بقول سحنون: " لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع " ، وإن يقنع من القوت بما تيسر ومن اللباس ما يستر . وفي نظره فإن الصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ويجمع شمل القلب . والقدوة في نظره

أيضا أن يكون المعلم قدوة في أخلاقه ذا خلق رفيع ، لا يكذب ولا يباهي في علم ولا يماري ويروي عن لقمان في وصيته لابنه قوله :" يا بني لا تتعلم العلم إلا لثلاث ، ولا تدعه إلا لثلاث، لا تتعلمه لتماري به ، ولا تباهي به ، ولا لترائي به ـ ولا تدعه زهادة فيه ، ولا حياء من الناس ، ولا رضا بالجهالة" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ويرى الإمام ضرورة قيام المعلمين باستقصاء حاجات المتعلمين والعمل على تلبيتها من خلال توجههم مع طلبتهم لسؤال أهل العلم المتمكنين فيه في حال الحاجة إلى ذلك ، وفي ذلك تعويدهم على سؤال والاستفسار من أهل العلم في حال الجهل يقول :" وروينا عن أنس بن مالك قوله :" عليك بتقوى ا في السر والعلن والنصح لكل مسلم ، وكتابة العلم عن أهله " والحكمة القائلة :" العلم في الصدر كالمصباθ في البيت " ، وعلى المعلمين حث طلبتهم على تعلم العلم والبحث عنه والصبر وتحمل المشقة في سبيل تحصيله لما للعلم من أثر هام ، ويروي في ذلك قول عمر بن الخطاب :" أيها الناس عليكم بطلب العلم فإنه داء محبة ، فمن طلب بابا من العلم رداه ا بردائه ذلك،فإن أذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك..."(ابن عبد البر، ١٩٩٦) وينصح المعلمين بحث طلبتهم على استكمال النقص في علومهم ، ويروي في ذلك قول عون بن عبد ا :"من كمال التقوى أن تطلب إلى علم ما قد علمت علم ما لا تعلم..." (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) . ومن باب القدوة حث المعلمين على المناقشة في العلم - وخاصة الشرعية منها – ويروي في ذلك قول أحد الحكماء :" أفضل العلم وأولى ما ناقشت عليه منه علم ما عرفت به الزيادة في دينك ومروءتك ". وحث طلبتهم أيضا على نقل علومهم إلى الآخرين وعدم التقعر في العلم (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

كما أن علاقة المعلمين بالمتعلمين علاقة قائمة على الأخلاق ، فقد طالب المعلمين بتربية خلق المتعلمين وحثهم على التذكير بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وخاصة تلك القيم التي جاء بها الإسلام ، ولا غرابة في ذلك فقد تربى الإمام تربية إسلامية على يد معلمين من السلف الصالح ، وهو يريد من التعليم تهذيب الخلق لأن تعلم العلوم الدينية يحمل في طياته تعلم الأخلاق النبيلة الفاضلة ، وهو دائم التأكيد في أغلب كتبه ومصنفاته على التجمل بالأخلاق الفاضلة " .

ولا يكتفي الإمام بالشراكة والقدوة بين المعلمين والمتعلمين بل أكد على ضرورة أن يكون المعلم متقنا لعمله من أجل عقد علاقة قوية متينة قائمة على العلم ، بحيث يستطيع المعلم الرد على كافة استفساراتهم ، وتزويدهم بما يحتاجون إليه ، وبما يجهلونه مؤكدا في الوقت نفسه على دور المتعلم في ذلك وأن تكون لديهم الجرأة في التساؤل وعدم الانقياد لرأي المعلمين دون تدبر ومناقشة " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

وكما من علاقة المعلمين بالمتعلمين فوق ذلك هي علاقة رسمية ، بحيث يجب على المتعلم أخذ الإذن من المعلم قبل الإجابة ، أو عرض الرأي عليه ، وفي حال ذلك أجاز الإمام لطالب العلم أن يتحدث بما شاء ، وهذا الشرط هو أحد المحددات الرئيسة لحلقات الدرس حتى لا يختلط الفهم على المتعلمين بحيث يتاθ للطلبة فرصة الاستماع لبعضهم البعض فبذلك يتحقق مبدأ الشراكة بين العالم والمتعلم والسامع ويستشهد على ذلك بقول أبي الدرداء :" العالم والمتعلم شريكان والمتعلم والمستمع شريكان ، والدال على الخير وفاعله شريكان " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠)

كما من علاقة المعلمين بالمتعلمين علاقة قائمة على تقدير المتعلم للعالم مشيرا أن السلف الصالح كانوا يجلون العلماء ويوقرونهم تقديرا لهم وهيبة منهم ، حتى أنهم في كثير من الأمور كانوا يتحرجون من سؤالهم هيبة وخشية ويضرب على ذلك مثلا:" أن ابن عباس - رضي ا عنهما- قال : مكثت سنتين أريد أن أسأل " عمر بن الخطاب " عن حديث ما منعني منه إلا هيبته ، حتى تخلف في حج أو عمرة في الإراك - الذي ببطن مر الظهران الحالية - فلما جاء وخلوت به ، قلت يا أمير المؤمنين : إني أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما منعني إلا هيبة لك ، قال :" أفلا تفعل ؟ إذا أردت أن تسأل فسلني ، فإن كان منه عندي علم أخبرتك ، وإلا قلت: لا أعلم ، فسألت عن العلم ، قلت : المرأتان اللتان ذكرهما ا تعالى أنهما تظاهرتا على رسول ا ﷺ ؟ قال : عائشة وحفصة " (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

ثانيا : العلاقات بين المعلمين بعضهم ببعض

الباحث في الفكر التربوي الإسلامي يلاحظ اهتمام العلماء المسلمين بالمعلمين لخطورة الدور الذي يقومون به، فلم يغفلوا عن تحديد الخصائص والصفات ومجمل العلاقات التي يتصف بها المعلمون بدءا من الخصائص الإيمانية،وانتهاء بالخصائص النفسية مرورا بالخصائص

العقلية والعلمية والمهنية ، وقد أسهب الإمام ابن عبد البر في تحديد هذه الخصائص ، كما أشرنا في حديثنا عن صفات المعلمين والمتعلمين وآدابهم ، وأضاف إلى هذا كله تحديده للعلاقات التي يجب أن تربط المعلمين بعضهم ببعض، والمتتبع لمؤلفاته ومصنفاته يستطيع أن يرى فكرا متميزا في هذا الجانب، فقد أكد على عدم جواز التحاسد والتباغض بين المعلمين لما يترتب على ذلك من الآثار السيئة على المتعلمين وطلاب العلم وما يحدثه ذلك من فرقة وتفرق وانقسام، وفي هذا إشارة واضحة إلى رفض التحاسد والتباغض ليس بين المعلمين فقط وإنما يكون ذلك بين مختلف الناس (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

ويرفض الإمام أيضاً قيام المعلمين بذم بعضهم بعضا ، فقد أكد على ضرورة الإقلاع عن هذا الأمر معتبرا ذلك من الأخلاق الرديئة التي يجب أن لا يتصف بها من اختار تعليم الناس وتأديبهم ، ويقول في ذلك روينا عن ابن عباس قوله : " خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم ببعض " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

كما أشار الإمام أيضاً إلى ضرورة عدم الأخذ بأقوال المعلمين والعلماء بعضهم في بعض في حالة الغضب ، وذلك لاعتبارات متعددة أهمها أن حالة الغضب تؤثر على حكمهم ورأيهم في الغالب يقول معلقا على ذلك :" أن السلف - رضي ا عنهم – قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حالة الغضب ، ومنه ما حمل على الحسد .... ومنه ما حمل على جهة التأويل مما لا يلزم المقول فيه قول القائل فيه " (ا ابن عبد البر، ٢٠٠٠) ، كما رفض الإمام قيام العلماء بالاقتتال انتصارا لآرائهم ، يقول معلقا على ذلك :" ... وقد حمل بعضهم – يقصد العلماء – على بعض بالسيف تأويلا واجتهادا، لا يلزم تقليدهم في شيء دون برهان وحجة " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

كما دعا المعلمين إلى عدم التعريض في بعضهم بعضا وخاصة في مجالس العلم وحلقات الدرس ، قال معلقا على ما ذكره حفص بن غياث:" كنت أجالس أبا حنيفة فربما سمعته يقول في اليوم الواحد في المسألة الواحدة خمسة أقوال ينتقل من قول إلى قول ، فقمت عنه وتركته وطلبت الحديث " ، وكأنه عرّض بمجالس أبي حنيفة " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

رفض الإمام قيام العلماء والمعلمين بالاجتهادات الباطلة والتأويلات غير الصحيحة خدمة لأغراضهم وآرائهم مما أحدث آراء فاسدة وطرق كلامية غير صحيحة ، فقد أشار الإمام إلى أن الأمة الإسلامية لم تنحرف عن عقيدتها ومنهاجها إلا حينما اتبعت الرجال ، ودخلت الأهواء والبدع فيها ، وعندما قبل الكثير من العلماء المسلمين المناهج الكلامية والجدل والخصومات في الدين مستشهدا على ذلك بقوله تعالى : **{ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }**[سورة الأنعام،آية ١٥٣] (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

ودعا الإمام المعلمين والعلماء بعدم الغلو والتشدد معتبرا أن الغلو في الدين والتشدد والتنطع هما أهم الأسباب وراء الفرقة والانقسام الذي أصاب الأمة ومزّقها إلى فرق وشيع ، كما أنها السبب المباشر وراء انقسام العلماء والمعلمين بآرائهم ومعتقداتهم ، فهم بين ذاهب إلى رأي وذاهب إلى رأي آخر بناء على التأويل الباطل للنصوص ، وخاصة خوض العلماء في الصفات والأسماء ، يقول معلقا على ذلك :" وليس في الاعتقاد كله في صفات ا وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب ا ، أو صح عن رسول ا ﷺ أو أجمعت عليه الأمة ، وما جاء من أخبار في ذلك كله ، أو نحوّ لسلم له ، ولا يناظر فيه "(الغصن، ١٩٩٦) .

كما طالب المعلمين بالتلطف وحسن الرد على أقوال بعضهم بعضا ، يقول معلقا على ما ورد عن مجاهد في تفسير المقام المحمود :" ولكن قول مجاهد مردود بالسنة الثانية عن رسول ا وأقاويل الصحابة وجمهور السلف" ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ضرورة مناقشة العلماء بعضهم بعضا بالكلام الدقيق الواضح بعد إعمال التفكير ٧ ليكون الرأي مبنيا على الحجة الواضحة والدليل الساطع "(ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

كما أشار الإمام في معرض مناقشته للعلاقات بين المعلمين إلى ضرورة عدم الخوض في المسائل والمجادلة فيها ، وخاصة تلك المتعلقة بمسائل العقيدة ،يقول في ذلك :" وقد أكثر علماء السلف من التحذير والنهي عن المجادلة بالباطل ، وحثوا على ضرورة التزام السنة النبوية فيما لم يرد في القرآن الكريم ، والابتعاد عن الطرق الكلامية" ، موردا قول عمر بن عبد العزيز :" من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل " (الغصن،١٩٩٦) ، يقول الإمام معلقا على محاربة العلماء بعضهم ببعض في مسائل العقيدة :" وقد أجمع أهل العلم بالسنن والفقه وهم أهل السنة على الكف عن الجدال والمناظرة فيما سبيله الاعتقاد " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

كما ذم الإمام الخلاف بين العلماء واعتبره أحد أهم أسباب فرقة الأمة وانقسامها ويورد دليلا على ذلك قول عبد ا بن مسعود :"الخلاف شر" ، ويقول : روينا في ذلك عن أحد العلماء قوله:" الخلاف يهدم الرأي ، ولا يقوم مع الخلاف شيء " ، والخلاف الذي أشار إليه الإمام يعني الفرقة والشقاق وما يثيره من النزعات والتنافر ويفسد الود ويقطع أواصر الأمة (ابن عبد البر، ١٩٤٢) .

وطالب الإمام بعدم قبول رأي العلماء بعضهم في بعض ممن لم يعرف عنهم الورع والتقوى ، معتبرا أن الورع والتقوى والخشية من ا شروط لازمة لقبول الرأي ، وفي ذلك يورد قول إسحق بن طلحة :" بعثني عمر بن عبد العزيز إلى العراق فقال :" ما رأيت قوما انقض لعرى الإسلام من أهل مكة ، ما استثني منهم أحدا ، وفيهم جلة من العلماء ، وأظن ذلك – وا أعلم – لما روي عنهم في الصرف ومتعة النساء " (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

والتمكن من العلم أحد الشروط التي وضعها الإمام لقبول رأي العلماء بعضهم ببعض وإن يكونوا من أولئك الذين يشهد لهم بالعلم والأمانة ، ويرفض قول من عرف عنه الجهل موردا في ذلك قول المغيرة بن حمير معلقا على أهل الحجاز :" قد سألتهم فلم يكن عندهم شيء وا لصبيانكم أعلم منهم ، بل صبيان صبيانكم"(ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

مبادئ التعليم والتعلم عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي :

أشار الإمام في مؤلفاته ومصنفاته إلى العديد من المبادئ التربوية والتعليمية ، والتي وضعها لإرشاد المعلمين والمتعلمين ، لتحقيق الأهداف التي وضعها في تلك الفترة ، وقد استمد الإمام معظم المبادئ وكذلك الأهداف التعليمية التي أشرنا إليها من تعاليم الإسلام ، وخاصة ما استخلصه من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك ما وصله من آراء السلف وحكماء الأمة ، وفيما يلي أهم هذه المبادئ :

- **التعليم فريضة** : وهو ما يطلق عليه في وقتنا الحاضر بإلزامية التعليم، وهذا المبدأ المعمول به الآن في أغلب البلدان العربية والإسلامية هو من صميم الفكر التربوي الإسلامي وقد تحدث العديد من المفكرين التربويين المسلمين قديماً عن وجوب التعليم والزاميته ، مستمدين ذلك من النصوص الواضحة والصريحة في ذلك ومنها قوله ﷺ: " **طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وطالب العلم يستغفر لـه كل شيء حتى الحيتان في البحر"**

وبروايات متعددة . وقد أفرد الإمام باباً في كتابه جامع بيان العلم وفضله أطلق عليه " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ، اعتبر الإمام طلب العلم فريضة بمعنى الوجوب والإلزام الذي يرافقه الإثم والمحاسبة من ا وله في ذلك تفصيل حيث اعتبر أن قيام البعض به يسقط الإثم عن الآخرين مستمداً ذلك من قوله تعالى : **{ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم }**[سورة التوبة ،أية ١٢٢] . وما ذكره الإمام أحمد بن رشيد من أن طلب العلم فريضة على كل مسلم يعني أنه يسقط عن الآخرين إذا قام به بعضهم . كما أشار أيضاً إلى أن هناك جانباً من العلوم يلزم جميع الناس تعلمها يقول في ذلك : " قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه " . يقول الإمام :" وروينا عن جعفر بن محمد يقول : وجدنا علم الناس كله في أربع أولها: أن تعرف ربك ، والثاني : أن تعرف ما صنع بك ، والثالث : أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما تخرج به من ذنبك " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ومبدأ فرضية التعلم والتعليم للجميع مرتبط برضى ا سبحانه وتعالى باعتباره فريضة ألزم ا سبحانه وتعالى بها الناس ، وقد جاءت العديد من النصوص التي تبين فضل العلم وتربطه برضى ا سبحانه وتعالى " أورد الإمام العديد منها ، ومنها قوله ﷺ : " **ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت ا يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم ا سبحانه فيمن عنده وما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيه علماً إلا سهل ا له** طريقاً إلى الجنة، ومن أبطأ به علمه لم يسرع به نسبه " . (1)

- **استمرارية التعلم :** دعا الإمام المعلمين والمتعلمين إلى الاستمرارية والمواصلة في تلقي العلوم وتحصيلها ، منطلقاً في ذلك من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض المسلم على مواصلة تلقي العلم والاستمرار فيه ومنها قوله تعالى : **{ وقل رب زدني علماً}**[سورة طه ، آية١١٤] وقوله تعالى : **{ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً }** [سورة الإسراء ،آية ٨٥] .اعتبر الإمام الإنسان عالماً ومتعلماً طوال حياته ، وحث المشتغلين في العلم على مواصلة التعلم وطلب العلوم ، وأشار أولاً إلى ضرورة ذلك منذ الصغر وذكر ما قاله الإمام الحسن لبنيه : تعلموا العلم فإنكم تكونوا صغار القوم ، تكونوا

---

(١) أخرجه ابن عدي (٢ / ٧٧٩) وابن الجوزي في " الواجبات " رقم " ٦٦ " .

كبارهم جداً ، فمن لم يحفظ لم يكتب " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) ، ثم يؤكد على مواصلة المتعلم دروب العلم ويرفض فكرة التوقف بحجة أنه قد وصل إلى مرتبة الكمال في العلم ، ويورد في ذلك قول ابن أبي حسان " لا تزال عالماً إذا كنت متعلماً فإذا استغنيت كنت جاهـ ـلاً ". (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) . ومن الاستمرار فيه عدم الانشغال بغيره من أمور الدنيا بحيث يكون ذلك سببا في انقطاعه بحيث تكون سبب انقطاعه عن العلم ، قال معلقاً على قول أبي هريرة : " إن الناس يقولون أكثر أبي هريرة ولولا آيتان في القرآن ما حدثت حديثاً ثم تلا : **{ إن الذين يكتمون ما أنزل ا من الكتاب }** وقوله تعالى : **{ إن الذي يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى }** وهذا يشير إلى وجوب إظهار العلم ونشره وتعليمه ، ويندرج معها ضرورة ملازمة العلماء والرضا باليسير، والترحيب في العمل ، وإيثار العلم على الاشتغال بالدنيا وكسبها " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

وقد اعتبر الإمام أن الإنسان عالماً ومتعلماً طوال حياته رافضاً فكرة التوقف عن العلم معتبراً ذلك صفة ملازمة لكل من انتسب إلى العلم وأورد في ذلك قول ابن أبي حسان : " لا تزال عالماً ما كنت متعلماً ، فإذا استغنيت كنت جاهلاً " . ودعا المتعلمين إلى تحمل المصاعب والمشاق التي قد تواجههم في مسيرتهم العلمية ويورد في ذلك قول الإمام الشافعي : " من لم يحتمل ذل التعلم ساعة يبقى في ذل الجهل أبداً " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦).

وحث الإمام الناس على طلب العلم واستدامة طلبه معتبراً أن طريقه هي أفضل الطرق التي يمكن للفرد اختيارها في حياته ويورد في ذلك قول علي بن أبي طالب : " واعلموا أن الناس أبناء ما يحسنون ، وقدر كل امرئ ما يحسن، تكلموا في العلم تتبين أقداركم " قال بعضهم: " ليس كلمة أحض على طلب العلم من قوله : " قيمة كل امرئ ما يحسن " وقال بعضهم : هذا اللفظ لم يسبقه إليه أحد . قال الإمام معلقاً على قول علي بن أبي طالب رضي ا عنه : " هذا الكلام من الكلام العجيب الخطير ، وقد طار الناس به كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به ومن ذلك قول الخليل بن أحمد :

لا يكون السري مثل الدنـ ـ ـ ـي	لا، ولا ذو الذكاء مثل العـ ـيي
لا يكون الألـ ـد ذو المقـ ـ ـ ـول	المرهف عند القياس مثل الغبي
قيمة المرء كل ما يحسن المرء	قضاء من الإمـ ـام علـ ـ ـ ـي

(ابن عبد البر ،٢٠٠٠)

كما أكد على المتعلمين بعدم التوقف عن طلب العلم وتحصيله معتبراً أن العلم لا حد لطلبه ولا نهاية لتحصيله ما دامت الحياة ويورد على ذلك قول قتادة : " لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام ، ولكن قال : هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً" ومن هنا فقد كان للإمام دوراً كبيراً في توجيه الأفراد نحو هذا المبدأ واقتداء العديد من طلابه به في التفرغ للعلم والاستمرار فيه حتى ندر أن تجد أحداً من طلابه أو علماء عصره قد ترك التعلم أو اعتقد أنه وصل على مرتبة الكمال في العلم .

- **التدرج في التعليم :** أشار أصحاب المفكرين المسلمين إلى هذا المبدأ معتبرين ذلك من المبادئ التي قامت عليها رسالة الإسلام، فالقرآن الكريم لم يتنزل على النبي عليه السلام دفعة واحدة وإنما متدرجاً حسب الحوادث والوقائع لكي يتمكن المسلمون من فهمه واستيعابه على مهل ، وكذلك أكد الله سبحانه وتعالى على هذا المبدأ في تعليمه لنبيه معلم البشرية محمد لا فتاً إياه إلى ضرورة استيعابه على مهل وعدم التسرع في تحصيل علوم الرسالة قال تعالى : **{ لا تحرك به لسانك لتعجل به ۝ إن علينا جمعه وقرآنه ۝ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ۝ ثم أن علينا بيانه }** [القيامة ، ١٦ – ١٩]

أشار الإمام إلى أن لطلب العلم مراتب ورتب ولتحصيل العلوم منازل ينبغي للمتعلم التدرج فيها ، يقول في ذلك : " طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها ، ومن تعداها فقد تعدى سبل السلف – رحمهم الله – ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل ، ومن تعداها مجتهداً زل . وقد انطلق الإمام في نظرته هذه من العديد من الأقوال المشهورة لعلماء السلف وحكمائهم ومنها ما ذكره ابن شهاب ، قال : " يا يونس لا تكابر العلم ، فإن العلم أودية ، أيها أخذت قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي ، ولا تأخذ العلم جملة واحدة ،فإن ما رام أخذه جملة ، ذهب جملة ، ولكن الشيء بعد الشيء من الأيام والليالي "(ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .

والتدرج في التعليم فيه إبعاد للملل عن نفوس المتعلمين ، وتشويق لنفس المتعلم بالإقبال على التعلم ، ويستشهد على ذلك بأقوال بعض السلف والعلماء ومنها قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " اجمعوا هذه القلوب واطلبوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان " . وقول الزهري : " هاتوا من أحاديثكم ، هاتوا من أشعاركم ، فإن الأذن مجاجة والنفس حمضة " (ابن عبد البر،٢٠٠٠) ، وأن يكون هناك فواصل بين حلقات الدرس بحيث لا

تكون هذه الدروس متتابعة ، ويورد في ذلك قول ابن مسعود : " إني لأخبر بمجلسكم ، فما يمنعني من الخروج إليكم إلا كراهية أن أملكم " وان رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا " .

والتدرج في التعليم فيه حث للمتعلمين على اختيار النافع من العلوم والابتعاد عن العلوم الضارة . وفي ذلك ما يتيح للمتعلم اختيار الأحسن من العلوم ، ويورد في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه : " العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه " يقول الإمام في تأكيده على ذلك :" كان يقال : العالم النبيل الذي يكتب أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب، ويحدث بأحسن ما يحفظ " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

▪ صون العلم والإنصاف فيه :

المعلمون والعلماء مطالبون في نظره بضرورة صون العلم ، وصونه في نظره المحافظة عليه كما فعل علماء السلف من الأمة فالمعلم عليه واجب المحافظة عليه بما يجعله عزيزاً مصاناً فلا يذله بأن يضعه عند غير أهله وأن يكون موضوعياً فلا يعتبر نفسه أعلم الناس وفي ذلك يقول : " ومن بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه ، ومن لم ينصف في العلم لم يفهم ولم يتفهم " . ويقول : " وروينا عن بعض العلماء قولهم : ليس معي من العلم إلا أني لست أعلم الناس " ويروى أيضاً ما قاله محمود الوراق : " أتم الناس أعرفهم بنقصه ، وأقمعهم لشهوته " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) ، ويمكن الإشارة هنا إلى مجموعة من الآثار التربوية المترتبة على هذا الأدب ومنها: أن المعلمين الذين يتخلقون بذلك يحافظون على علومهم ، ويحملونها لمن هم قادرين على الإفادة منها ، ونقلها إلى الآخرين ،إضافة إلى ضرورة التزام الموضوعية فيما يخص علومهم فهم يعرفون مثواهم ويحاولون الاستزادة من طلب العلوم .

▪ معرفة أصول العلم :

طالب العلماء والمعلمين بمعرفة أصول العلم ، قال معلقاً على عدم معرفة بعض علماء عصره بذلك : " ولو علموا أصول العلم والدين وطرق الأحكام وحفظوا السنة كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم ، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا أصحابه "(الغصن،١٩٩٦) . كما طالب العلماء والمعلمين بعدم جواز الاقتصار على القياس وترك طرق الاستدلال الأخرى ، قال معلقاً على ما كان عليه بعض علماء عصره : " فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل ويفرضون فيها ، ويستدلون منها ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدل الأئمة وعلماء الأمة، وجعلوا ما يحتاج أن يستدل عليه دليلاً على غيره " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) ، كما طالب بعدم جواز التوسع والإكثار من ذلك ، وخاصة التشعب في الفروع معتبراً أن لا حد لهذه

الفروع تنتهي عنده، قال معلقاً: " واعلم يا أخي أن الفروع لا حد تنتهي إليه أبداً فلذلك تشـعبت وذلك من رام أن يحيط بآراء الرجال فقد رام ما لا سبيل له ولا بغيره إليه ، لأنه لا يزال يـرد عليه ما لم يسمع ولعله أن ينسى أول ذلك بآخره لكثرته " (ابن عبد البر،٢٠٠٠). كمـا طالـب العلماء بعدم جواز الاستنباط في حال الجهل بالأصول لأن معرفة الأصول شـرط لازم لجـواز الاستنباط ، قال معلقاً على بعض علماء عصره : " .. ثم أن الأيام قد تضطرهم إلى الاسـتنباط مع جهلهم بالأصول ، فهم يجعلون الرأي أصلاً ويستنبطون عليه " . وقال : " ... وعليـك يـا أخي حفظ الأصول والعناية بها ، واعلم أن من عني بحفظ السنة والأحكام المنصوص عليها في القرآن ، ونظر في أقاويل الفقهاء فجعله عوناً لـه وعلى اجتهـاده ومفتاحـاً لطرائـق النظـر" (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠)

- **الفروق الفردية :** التفى أصحاب المفكرين المسلمين بضرورة مراعاة المعلمين للفروق الفردية بين المتعلمين ، وقد استمد هؤلاء المفكرين هذا المبدأ من الشواهد الكثيرة التي أكد عليها القرآن الكريم ، ومنها قوله تعالى : **{ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ۚ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون }** [سورة الزخرف ، آية ٣٢] .

والفروق الفردية مبدأ أكده الإمام ابن عبد البر حين قرر وجوب مخاطبة المتعلمين على قدر عقولهم ويورد في ذلك قول ابن مسعود : " ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " كما أشار إلى ضرورة أن يكون العلم مما يناسبهم ويلبي حاجاتهم ، وفي ذلك يورد قول أبى قلابه : " لا تحدث بحديث من لا يعرفه ، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه " . كما أن على المعلمين بنظره مراعاة استعدادات المتعلمين العقلية والذهنية والجسدية وهذا يتطلب من المعلمين عدم إطالة حلقات الدرس ومجالس العلم ويورد عن الزهري قوله : " إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب " (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

والفروق الفردية في نظره تتطلب تقديم المعرفة للمتعلمين بالتدريج وعدم تقديمها مرة واحدة ، كما يتطلب مراعاتها في نظره تنويع المعارف المقدمة للناشئة ويروي في ذلك قول عبد ا بن عباس :" العلم أكثر من أن يحصي فخذوا من كل شيء أحسنه" (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

كما تتطلب مراعاة الفروق في نظره تنويع النشاطات التي يقوم بها المعلم سبيلا لإيصال المعارف إلى المتعلمين كل حسب قدراته واستطاعاته (ابن عبد البر،٢٠٠٠) .

الفصل الخامس

الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر بين الأصالة والمعاصرة

الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر
بين الأصالة والمعاصرة

مقدمة

في الفصل الثاني من الدراسة تمت الإشارة إلى أن الإسلام قد جاء بتصورات واضحة حول الفرد والمجتمع والكون والمعرفة والقيم وقد انعكست هذه الأفكار على الفكر التربوي الإسلامي في تلك الفترة عموماً وعلى الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر خصوصاً فأضحى هذا الفكر في ظل تلك التصورات عبارة عن جهاز اجتماعي يعبر عن روح الإسلام في مختلف مناحي الحياة من جهة وأداة تحقيق تلك الروح على أرض الواقع من جهة أخرى ، وقد كان للخصائص والتصورات التي جاء بها الإسلام أكبر الأثر في قيام فكر تربوي قائم على التوازن والتكامل والشمولية ، بل تعدى ذلك ليكون فكراً عالميا استطاع استيعاب كل ما سبقه من تراث وما دخل إليه نتيجة لاختلاط الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى وإعادته في صورة جديدة .

وإذا كانت فلسفات التربية المعاصرة تهتم بالفرد وتدور حوله رغم ما بينها من تفاوت في الوسائل والأساليب والرؤى فإنها جميعاً تلتقي على ضرورة الاهتمام به وتنميته تنمية شاملة لاعتبارات مختلفة ومحاولتها توفير الأمن والطمأنينة والاستقرار للفرد ، و التقدم والازدهار للمجتمع ، بينما نجد الهدف في فلسفة التربية الإسلامية يتناقض معها لكونه قائم على العقيدة التي منها تنبع كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والإنسانية ، تلك التصورات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتربوية والتي تؤثر في كل مجال من مجالات النشاط الإنساني .

والناظر في واقع الفكر العربي خصوصاً والإسلامي عموماً في يومنا الحاضر يلاحظ أنه عبارة عن سلسلة من المحاولات الهادفة إلى الوصول إلى موقف معينٍ أو تحديد رؤية ما ، ويواجه مجموعة من النزاعات الفكرية المتعددة ويقف أمام مجموعة من المحددات الثقافية والسياسية المختلفة إضافة إلى الفجوة الكبيرة القائمة بين الماضي والمستقبل المنشود فالماضي أصبح غريباً عن الواقع المعاصر والفكر الغربي الذي يحظى بحضور بارز في منظومتنا التربوية لم نعرف بداياته أو مراحل ارتقائه وتطوره فأصبح هذا الفكر التربوي خليط تتقاطع فيه أفكار الماضي وتراثه وبعض التصورات المنقولة عن الفكر الغربي (الجابري،١٩٩١) .

والحقيقة أن هناك تبايناً في آراء المفكرين في يومنا الحاضر للخروج من المأزق والوصول إلى تصورات وأفكار ملائمة للعصر قادرة على مواجهة التحديات الجديدة ، فهناك موقف دعاة الأصالة والمحافظة على الموروث الثقافي والفكري الحافل بالنظريات والاتجاهات التربوية القيمة وضرورة الرجوع إلى الماضي بقصد إحيائه وبعث مضامينه من جديد وبهذا يمكن الوصول إلى المكانة المطلوبة ، وهناك موقف دعاة المعاصرة والأخذ عن الغرب عن طريق استبدال كل ما هو قائم من لغة وبرامج محلية وخبرات وأدوات ،فالمطلوب في نظرهم تقليد الغرب ومحاكاة فكرهم التربوي وممارساتهم التربوية (احرشاو ، ١٩٩٤)

لقد كان للمفكرين الإسلاميين مفاهيم في التربية تميزوا بها استندت إلى فكر واحد يدعو إلى التوازن والتكامل والشمولية ، بل تعدى ذلك ليكون فكراً عالمياً ، وكان الإمام ابن عبد البر واحداً منهم ، وضع العديد من الأفكار التربوية المستندة إلى الفكر الإسلامي الأصيل لم تصل إلى حد ، وضع نظرية تربوية شاملة لمختلف جوانب العملية التربوية ، وتتطلع هذه الدراسة للإسهام في صياغة جديدة لعناصر فكرنا التربوي بحيث يصبح قادراً على مواجهة التحديات ، يؤسس نظرته إلى الذات والواقع والمستقبل ، ويتوخى تحديد الأهداف المستجدة المطابقة لروθ العصر وسماته البارزة وإرساء قواعده على تصور شمولي قائم على التماسك والانسجام واستشراف المستقبل (أبو شعيرة،٢٠٠٤) ، من أجل ذلك سيتناول الباحث أهم المحاور والأطر التربوية التي جاء بها الإمام ابن عبد البر ومقارنتها مع الفلسفات المعاصرة بهدف الوصول إلى تصورات جديدة ، وسيقتصر الباحث على مقارنة أفكار الإمام ابن عبد البر مع بعض آراء الفلسفة البراجماتية ، والفلسفة التقدمية كونهما يمثلان الفكر المعاصر في يومنا الحاضر ، إضافة إلى آراء بعض علماء التربية المحدثين .

أولا - إطار مجالات التربية :

تنوعت مجالات التربية في فكر الإمام ابن عبد البر ومن هذه المجالات :

١- التربية الإيمانية

الإيمان با أساس التربية وهدفها في نظره ، وهو العقيدة الراسخة التي ينبغي أن يربى عليها الفرد Ÿ لأن الإيمان با هو الفيصل الحاسم في نظره ، فكافة أعماله قبولاً أو رفضاً يتوقف عليه ، والإيمان كما يراه العلماء هو التصديق بالقلب بكل ما جاء في كتاب ا سبحانه وتعالى ، وما سنه الرسول ﷺ من أحكام وأخبار غيبية ، وهو يرى أنه يتكون من ثلاثة أركان: الاعتقاد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارθ فالإيمان عنده اعتقاد وقول وفعل ، فالاعتقاد أن تؤمن وتصدق بوجود ا وصفاته وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر يقول في ذلك :" الإيمان هو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن ا وحده لا شريك لـه ، ولا شبهة لـه ولا مثل، لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفواً أحد ، خالق كل شيء وإليه مرجع كل شيء المحيي والمميت الذي لا يموت ، والشهادة بأن محمداً عبد ا ورسوله وخاتم أنبيائه " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

ومن مستلزمات الإيمان في نظره العمل بالجوارθ يقول في ذلك :" .... أن الصلوات الخمس فرض ويلزمه من عملها علم ما لم يتم إلا أنه طهارتها وسائر أحكامها ، وأن صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ، وما لا يتم إلا به ، وإن كان ذا مال وقدرة على الحج لزمه فرضا أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ، ومتى تجب ، وفي من تجب ، ويلزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة في الدهر إن استطاع إليه سبيلا . يقول في ذلك :" أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) ، وأما الاعتقاد بالقلب فقد أشار إليه بقوله :" لا عمل إلا بنية" (ابن عبد البر،١٩ĔĔ) كما يتطابق في نظره مفهوم الإيمان والإسلام ويراهما بمعنى واحد ، فالإيمان هو الإسلام ، والإسلام هو الإيمان (الغصن، ١٩٩٦) .

تتطلب التربية الإيمانية في نظره عدم إيذاء الناس وإلحاق الضرر بهم ، بأي وسيلة تم ذلك باللسان أو اليد أو غيرهما ، كما تتطلب ضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة ، وحب الناس وملازمته ذكر ا (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ).

كما تتطلب هذه التربية قيام المعلمين بتربية الناشئة على طاعة ا وترغيبهم بمحبته وترهيبهم من معصيته من خلال حثهم على إطاعة ا والتزام أوامره واجتناب نواهيه ، وقد بنى هذا الرأي من خلال فهمه لقوله تعالى :**{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم }** [سورة النساء ، آية ٥٩] ، والطاعة التي قصدها الإمام الالتزام بالأوامر والابتعاد التام عن المعاصي ، وبذلك يصل الفرد إلى التقوى التي هي هدف التربية الإيمانية

ويورد في ذلك ما قاله عبد ا بن مسعود في قوله تعالى :**{ واتقوا ا حق تقاته}** [سورة آل عمران، آية١٠] معنى ذلك : "أن يطاع ا فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى " ، وبما قاله السماك :" أفضل العبادة الإمساك عن المعصية ، والوقوف عند الشبهة" (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) . وهذا يشير إلى ضرورة تربية المتعلم على الإيمان الكامل والعقيدة الراسخة وحب الرعيل من الجدود البواسل فإذا كبر وترعرع لم يتزعزع مهما واجه من مؤثرات (علوان ، ١٩Ĕ١) .

كما تتطلب هذه التربية في نظره تعويد الفرد ضرورة الرجوع عن الخطأ والندم عليه وإقامة علاقات قوية بينه وبين الخالق أساسها العبودية ؛ لأنها في نظر الإسلام اسم جامع لكل ما يحبه ا ويرضاه من الأقوال والأعمال والمشاعر والعواطف في حياة الأفراد والجماعات (الكيلاني ، ١٩Ĕ٧) ، وقد أشار الإمام في هذا المجال إلى ضرورة حماية النفس الإنسانية مما قد يشوبها ، وتنميتها بتغذيتها ورياضتها بالعبادات المختلفة التي دعا إليها الإسلام ، وكذلك تطهيرها من الرذائل ، وتزويدها بالفضائل إيماناً منه بأنه لا بد من إيصال الفرد إلى مرتبة العلو والترقية ليستطيع الاتصال بخالقه ، وليكون على صلة مستمرة معه في السر والعلن ، وليستمد منه العون والطمأنينة (ابن عبد البر، ١٩Ĕ١) .

والتربية الإيمانية لم يرد لها ذكر في الفلسفات المعاصرة ، بل أن التربية في القرن العشرين قد أحلت محلها تربية الفرد وتكوينه تكويناً متكاملاً من كافة جوانبه الشخصية والجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية ، وهدفت إلى إعداد الفرد إعداداً شاملاً ضمن هذا الإطار ، وضمن الفهم الشمولي للإنسان وبيئته التي يعيش فيها ، ومن هنا فالتربية المعاصرة معنية بتكوين الجسم والفكر والخلق ، كما أنها وجهت اهتماماً خاصاً بالعمل اليدوي والمهني ، فالإنسان في نظرها لا يكون كاملاً إلا إذا عرف كيف يستخدم يده (عبد الدايم، ١٩Ĕ٤) .

يرى أصحاب الفلسفة البراجماتية أن التربية هي الحياة وليس الإعداد لها ، وهدفها تعليم الأفراد كيف يفكرون للوصول إلى التكيف مع المجتمع الذي هو بحالة تغير دائم ، ويرون أن على التربية مساعدة الفرد وتنميته باعتباره كائناً حياً إيجابياً مبتكراً ، وأنه كائن اجتماعي لا ينمو إلا من خلال الاتصال بالآخرين ، ويجب عليه تعلم مفاهيم التعاون والتفاهم ، وكيف يعيţ في المجتمع ، وغاية التربية تحقيق الذات(مرسي، ١٩Ĕ٢) ، بينما يرى أصحاب الفلسفة الإنسانية المعاصرة أن الإنسان غاية في ذاته ، وهو محور الاهتمام بصرف النظر عن لونه وجنسه ودينه وعرقه ، فمجال التربية هو الإنسانية جمعاء ورابطة الأخوة التي يجب أن يرتبط بها الناس جميعاً هو هدف التربية الإنسانية الرئيس ، لذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه ضرورة قيام التربية بالعمل على تحقيق هدف الأخوة من خلال ربط الأفراد والشعوب والأمم بعضها ببعض بهذا الرباط ، يمثل هذا الاتجاه الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النشاط الإنساني التربوي للمنظمات التربوية الدولية والعالمية (القضاة، ١٩٩Ĕ) . يرى أصحاب المذهب التجديدي أن هدف التربية هي تربية المثل والأهداف والقيم ، لدى المتعلم معتقدين أنها غير قابلة للتجريب ، ولا يمكن إخضاعها لذلك (قورة، ١٩٧٧) ، ووسيلتها في ذلك تربية المتعلمين على ضرورة تطبيق مفاهيم العبارة ووجوب وتكامل مظاهرها جميعا Ý لأن الاختلال بأحد مظاهرها يؤدي إلى فساد الفرد وخراب المجتمع (الكيلاني،١٩Ĕ٧) .

وفي مقابل التربية الإيمانية نرى المفكرين التربويين في عصرنا الحاضر يحاولون التركيز على إيجاد الفرد الصالح والمواطن الصالح دون ذكر لتربية الإيمان المرتبط با باستثناء ما تتضمنه مناهج التربية الإسلامية ، والتي تشير إلى ضرورة ربط الفرد با وبيان العلاقة بينه وبين الكون والحياة منطلقة بذلك من الفطرة التي فطره ا عليها . أما الهدف الذي تشير إليه فلسفات التربية المعاصرة فهو يتمثل في " إيجاد المواطن وتنشئة الفرد الصالح" ، وهذا الهدف منقول من فلسفات التربية الغربية إيماناً بأن ذلك وسيلة المحافظة على المكاسب السياسية والاقتصادية التي تحققت في القرن التاسع عشر (عبد ا ، ١٩٩٦) . وبنظرة فاحصة تبين بجلاء محدودية هذا الهدف بقطر أو دولة أو أمة معينة ، ولهذا كانت الإقليمية أحد النتائج التي ترتبت عليه ، فصفات المواطن الصالح في تربية ما تختلف عن صفاته في تربية أخرى ، بينما تربية الإيمان تحقق نظرة واسعة وشاملة لمفهوم التربية وتؤشر بجلاء على العالمية التي أرادها الإسلام أن تتحقق والفرق شاسع بين الطرفين (غانم،٢٠٠٣) .

وإذا كان هدف التربية المعاصرة إعداد المواطن الصالح ليتبوأ مركزاً في البيئة الاجتماعية ، وليكون عضواً فاعلاً في مجتمعه نجد أن التربية الإيمانية التي أشار إليها الإمام تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح بمعناه الإنساني الشامل من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن محدود ببقعة جغرافية ، أو بفترة زمنية محدودة ، تعمل هذه التربية على إعداد الفرد لحياة أخرى غير الحياة الدنيا وهي هامة في نظر الإمام لأنها توفر للفرد الطمأنينة وراحة الضمير والاستقرار النفسي .

ومن أجل الإسهام في حل المشكلات التي يواجهها الفكر التربوي في عصرنا الحاضر والتي تتمثل في إشكالية الأصالة والمعاصرة وتباين الآراء حولها يمكن الاستفادة من أفكار الإمام في مجال التربية الإيمانية على النحو التالي :

- ضرورة إعادة صياغة الفلسفة التربوية للأمة العربية والإسلامية على أساس التراث الفكري الإسلامي وتصوراته للإنسان والكون والحياة ، والمنشأ والمصير ، بحيث تتضمن أهدافها تربية الفرد تربية إيمانية وفق النهج الإلهي ليتمكن من التخلص من الأزمة الراهنة .

- تقديم التربية الإسلامية كرسالة لمواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر ولتلبية حاجاته وتطلعاته المستقبلية ولدخول معترك الفكر التربوي العالمي الذي يبحث عن نظرية تربوية جديدة تخرجه من أزمته الراهنة (أبو شعيرة،٢٠٠٤) .

- ضرورة وجود قواسم مشتركة في حقول المعرفة المختلفة المقدمة لناشئة كي تصب جميعها في الهدف الرئيس المتمثل في تعزيز وتقوية إيمان الفرد با   وإيجاد الفرد الذي يتقي ا   في علمه ومعرفته ، وأن تشمل هذه العلوم أبعاد النمو العقلي والانفعالي والجسمي والاجتماعي ، ويكون ذلك بتقديم ثقافة إسلامية في مختلف فروع المعرفة والتخصصات .

- ضرورة إعادة النظر في تصميم مناهج التعليم بحيث تضمن محتوى وأنشطة ووسائل لهذا الهدف مستمدة من المصادر الأصيلة من أجل ربط الحاضر بالماضي وجعلها أصيلة المحتوى والهدف لهذه المناهج وبذلك يتحقق بناء الشخصية الإسلامية والهوية الذاتية .

- ضرورة ربط التعليم في المجتمع الإسلامي بالأصول والمصادر الإسلامية لربط الدين بواقع الحياة ومشكلاتها ومناشطها ، وبذلك يمكن العودة إلى التربية الإسلامية بمفهومها الواسع والشامل والتي كانت مطبقة في فترات ازدهار الثقافة الإسلامية كما كان الحال في عصر الإمام ابن عبد البر ، مع التأكيد على ضرورة شمول هذه التربية جميع العلوم الإنسانية والطبيعية والأنشطة التابعة للمجتمع الإسلامي .

٢- التربية الخلقية

عنيت التربية الإسلامية عناية فائقة بتهذيب الخلق ، عكس ذلك منهج التربية في مختلف العصور منذ البعثة وحتى يومنا هذا لاهتمامه بعلوم الدين الذي يحمل في طياته هذا التهذيب ، ويستطيع المستطلع لآرائهم وأفكارهم أن يستنتج أن التربية الخلقية هي المحور الذي تدور حوله برامج التعليم ومناهجه فقد أجمع مفكرو التربية الإسلامية أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية وغرضها الأول تهذيب الخلق وتربية الروح (الأبراشي ، ١٩٧٦) .

تجدر الإشارة هنا أن وجهات نظر المربين المسلمين قد تباينت واختلفت حول طبيعة الناشئ ومدى تأثره بالتوجيه والتعليم فذهب البعض إلى أن نفس المتعلم لا تتغير ولا أثر للتوجيه عليها وذهب البعض الآخر إلى أن للتوجيه والتعليم أثر كبير على تغيير النفس وتربيتها ، وحتى ذهب البعض إلى حد القول أن نفس الصبي في بداية نشوئها : " قبيحة الأفعال إما كلها أو أكثرها فإنه يكون كذاباً يخبر ويحكي ما لم يسمع ولم يره، ويكون حسوداً تماماً لجوجاً ذا فضول أضر شيء بنفسه ويكل أمر يلاقيه ، ثم لا يزال به التأديب والسنون والتجارب حتى ينتقل في أحوال بعد أحوال (ابن مسكويه ، ١٣٢٩هـ) . و " نفس الصبي ساذجة لم تنقش بصورة ، ولا لها رأي وعزيمة تحيلها من شيء إلى شيء آخر، فإذا نقشت بصورة وقبلتها ، نشأت عليها واعتادتها ، فالأولى بهذه النفس أن تنبه على حب الكرامة (ابن مسكويه ،١٣٢٩هـ) .

ويبدو أن القائلين بعدم وجود أثر للتوجيه والتربية قد تأثروا ببعض آراء فلاسفة اليونان، ولكن أغلب مفكري الإسلام يقولون بأثر التوجيه والتعليم والتدريب ، والتربية الخلقية أحد أهم الجوانب في عملية التعلم وتحصيل العلوم ، وهي بنظر الإمام الهدف النهائي للتربية ، فبلوغ النفس درجة الكمال الإنساني هي غاية التربية ، ولا يتم ذلك في نظره إلا من خلال الالتزام

الكامل بالقيم والأخلاق النبيلة التي جاء بها الإسلام وفي غير موضع من كتبه ومؤلفاته ينادي بضرورة الالتزام بهذه الأخلاق واقعاً وسلوكاً (ابن عبد البر ، ٢٠٠٠) .

يرى الإمام أن مصدر الأخلاق هو القرآن الكريم والسنة النبوية وأن تعلم العلوم وتحصيلها هو السبيل الأمثل لاكتساب الأخلاق الفاضلة وخاصة العلوم الدينية مشيراً إلى أن هدف الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ هي تربية النفس على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة كما أكدت على ذلك سنة النبي ﷺ (ابن عبد البر،١٩٩٦) .

وتربية الأخلاق تتطلب تدريب الناشئة على الصدق من خلال مواقف تعلمية سواء تم ذلك بسرد القصص أو غيره من الأساليب التعليمية الأخرى ؛ لأن الصدق فضيلة وقيمة دعا إليها الإسلام واعتبرها في مرتبة متقدمة تلي مرتبة الإيمان وتعتبر نتيجة طبيعية من نتائجه ، والصدق في نظره يتطلب النية الخالصة في القول والعمل ، والبعد عن التكبر والخيلاء ، وادعاء المعرفة أو تزييفها هي من وسائل الكذب على ا ، كما هو حال المبتدع لأي أمر من أمور المسلمين ، يقول في ذلك : " ومن أفضل آداب المتعلم تواضعه وترك الإعجاب بعلمه ونبذ حب الرئاسة عنه " (ابن عبد البر، ١٩٩٦) ، ويرى الإمام أن المتعلم يجب أن يكون صادقاً في نفسه ومع الناس وعليه أن ينقل لهم الحقيقة ويبعد عنهم الأباطيل والزيف .

والصدق فضيلة من الفضائل التي دعت إليها كل التربيات على مر العصور ، وأكدت عليها التربية المعاصرة واعتبرته خلقاً من الأخلاق التي ينبغي التحلي به وتمثله من خلال مواقف تعلمية سواء تم ذلك باستخدام الأسلوب القصصي أو غيره من الأساليب ويشير الباحث هنا إلى ضرورة التركيز على هذه القيمة الهامة لأثرها الإيجابي على مختلف مناحي الحياة الفردية والاجتماعية .

وإتقان المعلم لعمله وعدم تزييف المعرفة خلق هام أكدت عليه فلسفة الإمام التربوية وقد أشرنا لها بالتفصيل في حديثنا عن آداب العالم والمتعلم ، ويلتقي الإمام مع التربية الحاضرة بضرورة إتقان المعلم لعمله وفنونه التعليمية وهي متطلب أساسي من المتطلبات التي ينبغي توافرها في المعلم (بلقيس ، ١٩Ě٧) ، كما أن التحري والتثبت في نقل العلم وتعليمه من أخلاقيات المعلم والمتعلم وهو من الأخلاق التي أشار إليها الإمام ويلتقي في ذلك مع التربية

المعاصرة بضرورة أن تكون كافة المعلومات المقدمة للطلبة دقيقة ونتائج البحوث علمية ودقيقة. ويتطلب ذلك قيامها أيضاً بتعديل محتوى هذه المناهج أو تغييرها في حال ثبوت خطأ أو تعديل للمعرفة ومن باب التربية الخلقية حق المتعلم في الحصول على المعرفة الدقيقة والمفيدة لحياته المستقبلية (عبد الحميد والحياري، ١٩٨٥) .

وآداب المتعلم وأخلاقه في نفسه وعمله وعلمه والتي تمت الإشارة إليها بالتفصيل في الفصل الرابع من الدراسة ، تدخل في باب التربية الخلقية ، وتعد هذه الأخلاق من البديهيات في العصر الحاضر ، وليس أدل على ذلك من وجود توقعات عالية من قبل العاملين في التربية لما يجب أن يتخلق به المعلم والمتعلم .

والتركيز على تربية الخلق في فكر الإمام واضح لأنه يرى أن هذه الأخلاق عبارة عن ضوابط أخلاقية تقف حائلاً بين الفرد وبين المحرمات التي حرمها ا سبحانه ، وهذه التربية في نظره تتم بأسلوب نفسي ينبع من داخل النفس الإنسانية ، ويتم كذلك من خلال التناصح الاجتماعي والتواصي بالحق والصبر وغيرها ، ودور الحاكم المسلم الذي عليه تنفيذ أحكام الشريعة وتطبيقها فبذلك تتكامل الأدوار لتحقيق المعاني الإسلامية وتمثل القيم الخلقية (ابن عبد البر،٢٠٠٠) . كذلك فإن محاسبة النفس وممارسة النقد الذاتي أحد أهم الضوابط الخلقية عنده ، فهو يرى ضرورة محاسبة الإنسان نفسه بشكل دائم ، فإن كان عمله حسنا استمر في ذلك ، وإن وجد نفسه مخطئا توقف ، وقد أكد المربون المحدثون على أهمية تمثل هنا الخلق ، ولعله يقترب من أحد الأساليب التربوية الهامة التي يطلق عليها " التفكير التأملي" ، والذي يشير إلى أن الخبرة العملية تبنى بالتدرج من خلال المواقف المختلفة يصاحبها تفاعل المعلم مع نفسه متأملا ممارساته (مصطفى، ٢٠٠٠) .

وبنظرة مقارنة بين التربية الخلقية في فكر الإمام ابن عبد البر والتربية الأخلاقية في الفكر المعاصر نلاحظ أنهما يلتقيان في العديد من الأمور ويختلفان في الهدف والمصدر ، فالتربية عند الإمام والتربية المعاصرة تلتقيان على ضرورة إتقان الفرد لعمله ، فقد نادت التربية الحاضرة بذلك حتى عدّ بعضهم إتقان المعلم لعمله من خلال قدرته على التواصل وإتقان مهاراته وفنونه متطلباً أساسياً لإحداث التعلم ، والمعلم الذي لا يتمكن من ذلك لا يستطيع النجاح في أدائه لمهماته التعليمية (بلقيس ، ١٩٨٧) ، وكذلك تلتقي التربية المعاصرة مع التربية

الخلقية عند الإمام في ضرورة تحري الدقة والتثبت من كافة الأمور وخاصة في مجال البحث العلمي وأساليب تحصيل المعرفة ، والآداب والأخلاق في مجال تحصيل المعرفة وعدم تزييفها موضع اتفاق بينهما ، بينما تختلف التربية الأخلاقية بمصدرها وهدفها ، فتربية الأخلاق عند الإمام مصدرها القرآن والسنة وهدفها الدنيا والآخرة بينما مصدر التربية الخلقية في الفكر المعاصر وضعي وهدفها الحياة الدنيا .

كما تهدف التربية الحديثة كمفهوم دال على التربية الخلقية إلى تكوين القلب والطبع والإرادة على الفكر والذكاء ، فغرضها الأول إكساب المتعلم العادات الحسنة وقوة الإرادة لتنفيذ ما يراه صالحا (الرشدان، ٢٠٠٢) .

الفلسفة البراجماتية لا تعير للتربية الخلقية أي اهتمام وتؤكد فقط على دور التربية في إعداد الإنسان للتكيف الحر والواعي مع البيئة الاجتماعية والبيولوجية ، يرى ديوي أن هدف التربية هو تمكين الإنسان من المشاركة في الوعي الاجتماعي للجنس البشري والهدف الأعلى لها هو تحقيق استمرار النمو للفرد ويرفض الأهداف المفروضة من الخارج وبالتالي يرفض القيم الأخلاقية أياً كان مصدرها (أحمد ويسين، ١٩٨٢) .

يشار هنا إلى أن وظيفة التربية لم تعد تقتصر على تلبية الحاجات الاجتماعية ، والمطالب الفردية بل تجاوزتها إلى النواحي الوجدانية والأخلاقية وإكساب الفرد القدرة على تحقيق الذات وأن يحيا حياة أكثر ثراءً وعمقاً ، والتحديات التربوية الهائلة يجب أن تؤدي إلى مراجعة شاملة للأسس التربوية ، وأن حاجتنا لإنسان جديد يرى الكثير من المفكرين صعوبة تحديد مواصفاته ، وعلى ذلك فإن هدف التربية الجديدة هو تربية الأخلاق لصنع الإنسان الجديد، لذلك يمكن القول أن أفكار الإمام تتلاقى مع بعض آراء وممثلي الفلسفات المعاصرة .

وفي ظل ما يواجهه الفكر التربوي من مشكلات وفي ظل التحديات الحاضرة يمكن الاستفادة من التربية الأخلاقية التي أشار إليها الإمام في الجوانب التالية :

- تمكين المتعلمين من مستوى علمي معرفي يؤهلهم للاندماج الإيجابي في المجتمع والتفاعل معه ، وتكوين المهارات التي تسمح بتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية لتوظيفها في التكوين الذاتي المستمر .

- عرس القيم الإسلامية والعقدية والسلوكية في نفوس المتعلمين وبناء تصوراتهم للكون والحياة والإنسان وفق هذه القيم ، مما يؤثر إيجاباً في تعديل ميولهم واتجاهاتهم وسلوكياتهم ، ويجعلهم على استعداد لتمثل هذه القيم ونشرها في محيطهم الاجتماعي .

- تنمية قدرات الناشئة على التواصل والاندماج في الجماعة عن طريق تقوية روθ التسامح والحوار والانفتاθ على الآخرين والثقة بالنفس ، ومحاربة النزوع إلى التقوقع والعدوانية وروθ التسلط ، وذلك وفقاً للقيم الإسلامية الداعية إلى التواضع والعفو والرحمة وكل الأخلاق الفاضلة ، ومحاربة أضرارها في نفوس الناشئة .

- تنمية الاعتزاز بالروθ الدينية والوطنية عن طريق الإطلاع على التراث الإسلامي والوطني من خلال سير رجالاته والإنتاج العلمي والتربوي لعظمائه ، وربط كل ذلك التاريφ المجيد في صوره الإيجابية بمدى التفاعل الحاصل مع القيم الإسلامية الداعية إلى التضحية والإبداع والابتكار.

- تعزيز القدرات المعرفية وتنمية الإحساس بحب طلب العلم ، والتعامل مع الوسائل الحديثة والتكنولوجيا المعاصرة ، والربط بين الجانب النظري والتطبيقي المهاري ، وذلك عن طريق تمرين التلاميذ على القيام بالأعمال وربطه بالثواب والأجر مما يعزز مكانة القيم الإسلامية في أنفسهم .

Ď - التربية السياسية

لقد كان للظروف السياسية الطارئة التي نشأت في عصره وما أفضت إليه من حالة من الفرقة والتمزق وخاصة عقب الفتنة في قرطبة وانتهاء حكم بني أمية ونشوء أوضاع سياسية جديدة تمثلت بظهور ملوك الطوائف وانقسام الأندلس إلى دويلات الأثر الكبير على شخصية الإمام – كما أشرنا – وعلى أفكاره التربوية ، فقد وجد في تلك الأوضاع وسيلة لتحريك نزعة الإصلاθ عند الناس من خلال ما بثه في ثنايا كتبه ومؤلفاته وما كان يديره من مناقشات في حلقاته التدريسية ، والناظر في مؤلفاته يرى أن تربية الناشئة تربية سياسية كانت أحد مجالات التربية عنده وأخذت نصيباً هاماً في فكره التربوي ، حيث تركزت آراؤه السياسية حول طريقة اختيار الحاكم وصفاته وواجب الأمة تجاهه وواجبه تجاههم .

يرى الإمام ضرورة تربية الناشئة على محبة الصحابة رضوان ا عليهم عامة ، وعلى الخلفاء الراشدين خاصة ، فهو يرى أن جميعهم عدول ثقات لذلك يجب دراسة حياتهم وسيرهم ، وتمثل مواقفهم والاقتداء بها لأنهم في نظره مكرمون برضى ا سبحانه وتعالى ، يقول معلقاً على قوله تعالى: **{ لقد رضي ا عن المؤمنين إذ يبايعونp تحت الشجرة }** "من رضى ا عنهم لم يسخط عليه أبداً إن شاء ا " (ابن عبد البر، ١٣٢Ĕهـ) ، وأن لهم مراتب عند ا يفضل بعضهم على بعض ولكن لا يجوز للناس التفضيل بينهم إلا على أساس السبق إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار ،(ابن عبد البر، ١٣٢Ĕهـ) ، وفي هذا المجال ينكر على من كان يسميهم أهل البدع ، وخاصة الشيعة موقفهم من الخلفاء الراشدين .

ويرى الإمام أن الصحابة رضوان ا عليهم المؤتمنون على سنة النبي ﷺ ، وهو من أكرمهم ا سبحانه وتعالى بصحبة رسوله لذلك لا يقبل الإمام التعريض بهم ، أو توجيه النقد لهم سواء كان ذلك النقد لمواقفهم أو لشخصياتهم ، أو آرائهم السياسية ، أو غير ذلك ، ويتطابق موقفه مع موقف أهل السنة والجماعة فهو يرى فيهم العدل والثقة ، (ابن عبد البر،-١٩) ويرى الباحث صحة موقف الإمام من هذا ، ولكنه يضيف إلى ذلك ضرورة تخصيص جزء من المنهاج المقرر لتدريس حياتهم جميعا ، وعرض مواقفهم لأهمية ذلك وأثره التربوي .

يرى الإمام أن من مات من الصحابة في حياة الرسول ﷺ أفضل ممن بقي بعده ، كما أن الأوائل من المهاجرين والأنصار هم أفضل ممن جاء بعدهم (رضا، ١٩٧٠) ، وهذا الأمر يحتاج إلى مناقشة فالأولى عدم قبول هذا الأمر على وجه الإطلاق ، فالمفاضلة لا تأتي على وجه العموم ، بل هي مرتبطة بالشخص نفسه ، يقول رضا(١٩٧٠) :" الرأي الذي نقله القاضي عياض عن ابن عبد البر إطلاق غير سليم من النقد ، وما استدل به من أحاديث ليس قاطعا في ذلك " ، كما أسهب الإمام في ذكر بعض الأخبار التي يحمل من خلالها بعض الشخصيات مسؤولية بعض الأحداث التي شاركوا فيها والأعمال التي اقترفوها ، وكان شديد العاطفة في قربة من مواقف المناصرين لعلي من أبي طالب ، ويبرز ندم من تأخر عن نصرته (ابن عبد البر،- ١٩) .

ويرى ضرورة تربية الناشئة على طريقة اختيار الحاكم، وهي بنظره " البيعة " (ابن عبد البر، ١٩ĔĔ) وسيلة المسلمين الأولى لاختيار الحاكم ، فقد رأى أن الخلافة أمر لا بد

منه ، وحتى ولو كانت ظالمة وعلى المربين تربية الناشئة على إطاعة الخليفة ؛ لأنها وسيلة استتباب الأمن والاستقرار وعدم جواز الخروج على الخليفة مهما كان ظالماً ؛ لأن الخليفة العالم في نظره أولى من الخروج عليه للنتائج السيئة المترتبة على الخروج عليه ، فيستبدل الأمن بالخوف والطمأنينة والهدوء بالقلق والاستقرار بظهور الفتن والقتل وإراقة الدماء ، وشن الغارات وانفلات الأمور وغير ذلك .

وأما ما يتعلق برأيه في وجوب إطاعة الحاكم مهما بلغ من الظلم فأمر يحتاج إلى مناقشة، ولكن على ما يبدو فقد انطلق في رأيه من نمط الحياة التي عاشها قريباً من الحكام والملوك فقد أشارت سيرته أن بعضهم قد أقام لـه مجلساً علمياً ، وكثير منهم قد قربه إليه ، ويرى الباحث أن طاعة ولي الأمر واجبة ما دام عاملاً بكتاب ا أميناً على رعيته ، عارفاً بأحوالهم ، حريصاً على مصالحهم متابعاً لأحوالهم ، وذلك يتوافق مع القاعدة الثابتة بعدم جواز الإطاعة في حال المعصية " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " .

والتربية السياسية في نظره تتطلب تربية الناشئة على أسس اختيار الحاكم المسلم وصفاته التي ينبغي أن يتصف بها ، ومنها أن يكون عادلاً أميناً مستعداً للدفاع عن الرعية ، غير مستأثر بخيراتها ، يؤثر الصالح العام على المصالح الخاصة ، وأن يكون من السباقين إلى الخير فيما يرجع بأمر المسلمين ، وأن يبتعد عن الظلم والاعتداء وأن يكون متواضعاً بعيداً عن الكبر والخيلاء والجهل والجبن ، وأن يلم بأمور الرعية ، وأن يفكر في عواقب الأمور ،وأن لا ينفرد باتخاذ القرارات بل يأخذها بطريق الشورى (ابن عبد البر ، ١٩Ĕ٧) .

ويشترط الإمام توافر شرطي البلو3 والإسلام لمن يلي أمور المسلمين وإماماتهم ، فلا تجوز في نظره خلافة الكافر ولا العبد ولا من هو دون الحلم ، يمكن القول أن هذا الشرط كان غريباً حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أن بعض الولاة في عصره كانوا دون الحلم ، ومع ذلك لم يعثر الباحث على ما يفيد اعتراضه على ذلك بفتوى أو رأي أو غيره . وعلى الإمام في نظره العمل على إعلاء كلمة ا من خلال إعلان الجهاد حيث اعتبره فرضاً وواجباً على الحاكم من خلال دعوته إليه بضرورة إغزاء طائفة من المسلمين كل عام لنشر الإسلام والدفاع عنه .

وفي المقابل فإن الفلسفات التربوية المعاصرة ترى أن تربية الأفراد تربية ديمقراطية هي الأمثل في وقتنا الحاضر وأن على التربية تربية الأفراد على أسس الديمقراطية وعلى القائمين على النظام التعليمي تطبيق مبادئ الديمقراطية على كافة مدخلات النظام التعليمي ، وتقوم الديمقراطية على مبادئ عامة ومنها : الإيمان بقيمة الإنسان وتأكيد أهميته واحترام آدميته بغض النظر عن جنسه ولونه ومركزه الاجتماعي والاقتصادي ، والاعتراف بأنه أداة التنمية والتحديث وبدوره الفاعل في صنع التقدم ومواجهة التحديات (النجيحي ، ١٩٧٧) وأن لـه حقوقاً أساسية ينبغي صونها ومنها : حقه في الكلام والحرية الدينية والمعاملة العادلة ، وحماية قوانين الدولة وحقه في الحصول على مستوى اقتصادي (الرشدان ، ١٩٩٧) . كما ربط ديوي بين التربية والديمقراطية ربطا قويا (الرشدان وجعنيني، ٢٠٠٢) . كما أن التربية الديمقراطية ترى ضرورة الاهتمام بالمجتمع ، إضافة إلى عنايتها بالفرد فالحياة في المجتمع الديمقراطي تقوم على أساس التعاون بين الأفراد والسعي لتحقيق أهداف مشتركة ، وحل مشكلاتهم بالأساليب العلمية ، لذلك تسعى التربية الديمقراطية لتربية أفرادها ضمن هذا الإطار (مرعي والحيلة ، ٢٠٠١) .

ومن أهم المفاهيم المرتبطة بالتربية الديمقراطية مبدأ العدالة الذي ينبثق منه مبدأ تكافؤ الفرص وتطبيقه على أرض الواقع بحيث يصبح حقا لكل فرد واعتبار منعه مخالفة لأوامر ا ، يشير الغزالي إلى ذلك بقوله :" إن الظلم ليس في إعطاء العلم لغير المستحقين ، بل في منعه عمن يستحق (الغزالي، ١٩٩٦) ، كما أن من أهم مبادئ التربية الديمقراطية في الفكر المعاصر مبدأ المساواة ، وحق التعلم لكلا الجنسين ، والمساواة بينهما في الفرص التربوية (شوف،١٩٩٤) كما ويعد إعداد الفرد إعدادا تربويا واجبا ألزمت به كافة الدول ، وينبثق من هذا الحق والواجب مبدأ الإلزام في التعليم بعد أن كان مقتصرا على فئة دون غيرها ، فأصبح حقا لكل الناس بصرف النظر عن كافة الاعتبارات الاقتصادية أو العرقية أو غيرها (علي،١٩٨٢) .

لقد تتطور الاتجاه الديمقراطي في التربية تطورا ملموسا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحاضر ، وأصبحت التربية الديمقراطية تتبوأ مكانة مرموقة في المجتمعات المتقدمة خصوصا ، وفي جميع أرجاء المعمورة (الجيار،١٩٧٤) ، تجدر الإشارة إلى أن إعلان حقوق الإنسان يشير إلى حق الناس كافة في ذلك لا فرق بين ذكر وأنثى ، أو أبيض أو أسود ، أو فقير أو غني(الجابري ، ١٩٩٤) .

ď - التربية المستمرة

التربية وسيلة المجتمعات لتربية الإنسان وتعليمه منذ نشأة الخليقة ، والمجتمعات الحديثة تهيƐ الفرص التعليمية لكافة أفرادها ليصلوا إلى المعرفة باستمرار ، لذلك يصبح من المقبول في ظل هذه التربية رفض فكرة إرهاق المتعلمين بمواد دراسية كثيرة في فترة زمنية محددة ، بل أصبح واجب الفرد السعي للحصول إلى هذه المعرفة ما دامت الحياة ونتيجة لذلك يصبح مفهوم الفسل والنجاΘ نسبياً حيث تعدد الفرص أمام الأفراد ليكتشفوا ما يناسب قدراتهم واستعداداتهم ، وميولهم مع توفير المرونة اللازمة في برامج التعليم ليسمح للمتعلمين الانتقال من تعليم إلى آخر إذا أدركوا أن ذلك ينسجم مع قدراتهم (بركات، ١٩Ě٣) .

تعتبر تربية الأفراد من المهد إلى اللحد أحد مبادئ التعليم الهامة في الفكر الإسلامي فقد عمل المفكرون المسلمون على ذلك فتجسد ذلك في أرض الواقع ، وهو أيضاً من المبادئ الهامة عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي الذي اعتبر التعليم فرضاً وواجباً ، ولذلك لا بد أن يكون مستمراً وممكناً في كل زمان ومكان بالرƔم من إشارته إلى أهمية فترة الشباب إلا أن ذلك لا يعني التوقف عن طلب العلم حسب ما أشار إليه ، وهو يعرض أفكاره التربوية ، فقد دعا إلى استمرار التعلم Ý لأن العلم في نظره متغير وطارئ ومن أجل أن يبقى الإنسان متمكناً من تلبية حاجاته وحاجات مجتمعه نتيجة للتغيرات الحادثة والطارئة عليه أن يواصل التعلم طيلة حياته ، كما أشار إلى أهمية التعلم لأن العلم في نظره سبب رفعة الفرد وعلوّ منزلته وسبب بقاء الأمة قوية مرهوبة الجانب ، كما أن العلم في نظره لا حدود له فΞمكانية الناس محدودة مقابل علم ا الواسع ، ولذلك يتوجب على الفرد السعي والمواصلة والاستمرار لتحصيله ، واستمرار التعليم في نظره نشاط ذاتي يضمن للمتعلم فاعليته ، ويحقق نتائج خيّره وانطلاقاً من ذلك دعا الإمام إلى الاستمرار في طلب العلم وتحصيله .

الواقع أن الإمام ابن عبد البر كان له فضل السبق في الإشارة إلى هذا المبدأ على التربية الحديثة Ý لأنه يرى أن المعرفة نامية ومتراكمة ومتغيرة عبر القرون ، والأزمان وهي ليست محدودة ولا يمكن الوصول إلى نهايتها ولا يرى الباحث أية فروق بين ما دعا إليه وما دعت إليه التربية المعاصرة حول هذا المبدأ إلا من خلال الدلالات التي أشارت إليها التربية الحديثة إضافة إلى المنطلق الفكري لكل منهما .

لقد أكدت التربية المعاصرة أن التربية المستمرة هدفها وغايتها فالفلسفة البراغماتية ترى أن التربية هي الحياة وليست الأعداد لها (القضاة ، ١٩٩Ĕ) ، يرى جون ديوي أن هدف التربية هو النمو المستمر Ý لأن النمو في نظره خاصة من الخصائص (الجمل، ١٩٩Ĕ) ، بينما يرى وليام كلباترك ، تلميذ ديوي أنها الهدف الذي يتصدر كل الأهداف ، وهي التي توفر للإنسان الحياة الحسنة والراقية ، وبنظرة فاحصة تغدو مهمة التربية تعليم الناشئة أسلوب العيش ، ويتحقق ذلك من خلال ثلاث مراحل : تأمين فرص الحياة ، وتأمين تجارب التعلم ، وتأمين الظروف المناسبة لنمو الخصائص الشخصية (الجمل ، ١٩٩Ĕ) .

ترى التربية القائمة على أساس الفلسفة الإنسانية أن هدف التربية تحقيق النمو المستمر والمتواصل للفرد في مختلف الجوانب الجسمية والخلقية والاجتماعية ، إضافة إلى تحرر الفرد من التعصب والتميز على أساس اللون أو الدين (القضاة، ١٩٩Ĕ) .

ومن المفاهيم المعاصرة المرتبطة بالتربية المستمرة ظهور الحاجة لتعلم نوع من العلوم فرضتها الظروف ، وطبيعة العصر ، ومن أمثلة ذلك ظهور الحاجة إلى مستوى من التعليم لم يسبق التفكير فيها ، أو الإعداد لها داخل المؤسسات التعليمية ، ومن هنا ضمنت الظروف وجود تربية تستمر طول العمر ، تشمل مراحله المختلفةÝ لذلك حدث توسع هائل في ما يسمى حديثاً بالتعليم الموازي وغير الرسمي" Parallel Education " " Non formal Education " عن طريق المنظمات والبرامج لمدد قصيرة وطويلة أثناء الخدمة وبعدها بالحضور والمراسلة للرجال والنساء .

إن ما يشهده العصر الحاضر من تضاعف المعارف والحجم الهائل من المعلومات يحتاج إلى وضع مفهوم التربية المستمرة موضع التطبيق ، ولكن ذلك يحتاج إلى جهود كبيرة لاستيعابها ، وطرق استخدامها ، وهي محك التقدم في هذا القرن الجديد الذي أخذت بوادر ثورة معرفية جديدة قائمة على العقل وتوظيفه توظيفاً جيداً ، وظهور تكنولوجيا من نوع جديد خاصة بالإلكترونيات وأجهزة الحاسوب وقيام الشركات متعددة الجنسيات ، وهذه الثورة لا يمكن استيعابها وخوض غمارها إلا إذا أحسن إعداد الأفراد تربوياً وتعلمياً .

ثانيا - إطار مفهوم العلم وأقسامه

يرى الإمام ابن عبد البر أن مفهوم العلم ينحصر بالتبين والاستيقان حسب العلماء والمتكلمين ، فكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه ، وعلى هذا فكل من لم يستيقن شيئاً وقال به تقليداً فلم يعلمه ، ويرى أن التقليد عند العلماء غير الأتباع هو اتباع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرف وجه القول ولا معناه وتأبى من سواه أو تبين لك عدم صحة قوله متتبعه مهابة خلافه ، وأنت قد بان لك فساد قوله ، وذلك محرم في دين ا - وقد سبق تفصيل ذلك – فحد العلم واضح ومحدد بالتبين والاستيقان واليقين هو التحديد المطلق الجازم الذي لا خطأ فيه ، وبمقارنة ذلك مع وجهة النظر المعاصرة للعلماء في عصرنا الحاضر نرى بوضوθ خلافاً واضحاً في المفهوم حيث يرى علماء العصر عدم وجود علم تجريبي يقيني ، و أن وظيفة العلم هي البحث الدؤوب عن حقيقة العلم وعن الصدق ، وليس اليقين (الخولي، ٢٠٠٠) ، ولكن مفهوم العلم الذي أشار إليه الإمام هو العلم الثابت بالقرآن والسنة .

وإجازته نقل العلوم وترجمتها إلى اللغة العربية يتلاقى فيه مع وجهة النظر المعاصرة التي تؤكد مبدأ عالمية العلم وكونه نشاطاً إنسانياً يخص مختلف الأفراد والشعوب ، ولا ينحصر بأمة أو شعب ، فالمعرفة العلمية هي نتائج البحث العلمي والتفكير الإنساني ، وهو نتاج إنساني وليس موضوعاً فرديا ولا شخصياً ، ولا ملكاً لشخص دون الآخر، وتصبح بمجرد ظهورها ونشرها مشاعاً يتجاوز كل الحدود والفواصل الجغرافية والسياسية (زيتون، ١٩٩٤) ، وأما آراؤه في الأتباع والتقليد في العلم فهو يرى فيها معايير يجب الالتزام بها من قبل العلماء ، والمتعمق في تلك الآراء يرى أنها تحمل في بذورها عالمية العلم والتي تعني الحكم على الإنجازات العلمية بمعايير واحدة في أي مجتمع ، ويترتب على الالتزام بها الوصول إلى النتائج المحددة وبالتالي إشاعتها بين الباحثين مما يعطي العلم صفة النزاهة وتكون هذه الإنجازات أصيلة غير منقولة أو ملفقة (الخولي،٢٠٠٠) .

والمتعمق في الأدلة التي أوردها الإمام أكدت على ضرورة أن يكون للعلماء منهج علمي يسيرون عليه ، إضافة إلى المصادر الثابتة التي أشار إليها الإمام والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وما أجمعت عليه الأمة فهو يرى أن قواعد القياس قابلة للتطبيق في كل العلوم ما دامت معنية بصورة الفكر دون مضمونه ، ولما كان الإسلام بمرجعه الثابت" القرآن الكريم "

ضاماً لمجمل الإطار الحضاري ومحدداً لمعالم الأبنية الثقافية فإن إيمان العلماء العرب بالقياس ، كان بعداً من أبعاد اعتماد الفقهاء لـه ، وكان هذا المنهج العلمي مضمراً في إطار حضارة سادها النص والقياس كمنهج علمي وأسلوب بحث ، وهكذا يمكن القول أنه من الناحية الفعلية فقد استفاد علماء الإسلام من القياس بسبب حاجاتهم إلى استنباط الأحكام الجزئية من القواعد العامة حيث لجأ العلماء والمفكرين إلى هذا المصدر عند تعذر الخروج بالحكم من المصادر الثلاث والتي تعتبر أكثر دقة من الرابع (الخولي، ٢٠٠٠) .

لقد أمعن علماء المسلمين ومفكريهم في استخدام القياس كمنهج علمي وأسبغوا عليه الألقاب الرنانة فهو معيار العلم ، وفيصل التفرقة بين الخطأ والصواب ، وهو آلة العلوم (الخولي، ٢٠٠٠) ، وعلى هذا يمكن القول أن منهج الإمام في القياس الذي يبدأ بمقدمات كليه للوصول إلى النتائج الجزئية ، وهو منهج بحث كان مسيطراً ومهيمناً ومعبراً عن روح العصر في الحضارة العربية الإسلامية ، وبمقارنة ذلك مع المنهج العلمي الذي عليه علماء العصر في وقتنا الحاضر ، والذي يعتمد على الحواس والتجريب (زيتون،١٩٩٤) ،ويبدأ من الجزئيات للوصول إلى النتائج الكلية نرى خلافاً واضحاً في المفهوم .

وأما الجانب النظري من العلوم فهو كما أشرنا يقسم العلوم إلى ضرورية ومكتسبة ، فأما الضروري والذي يشمل المسلمات العامة التي تحتاج إلى دراسة منظمة من أجل تحصيلها والوقوف على أدلتها وتشمل البديهيات مثل استحالة اجتماع الأضداد ، وأما المكتسبة والتي تشمل النظريات التي تحتاج إلى برهان ودليل ، وتشمل العلم الخفي والعلم الظاهر وهو يرى أن ما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى وما بعد منها كان أخفى (ابن عبد البر ، ١٩٩٧) ، والضرورية في نظره شاهدة وموجودة في كل وقت لأنها مسلمات جاهزة ، وأما العلوم المكتسبة فيسميها علوماً جزئية لا تعرف إلا بأدلة راجعة إلى العلوم الضرورية (ابن عبد البر، ٢٠٠٠) .

والواضح أنه يقيم العلم المكتسب على أسس لا يتطرق إليها الشك لأنها ترجع إلى المسلمات السابقة ، وهو يشير بوضوح إلى الدقة المتناهية التي كانت عليها المعرفة في نظره لأنها قائمة على العقل والحواس ، وأما تصنيفه للعلوم حسب الأحكام الشرعية وحسب أهل الديانات – كما أشرنا سابقاً – يبرز اهتمامه الشديد بعلوم القرآن وعلوم الحديث والعقائد والفقه والسير والمغازي وعلم الجرح والتعديل ، وأصول الدين معتبراً أن هذه العلوم هي للدين والدنيا،

كما يرى اهتماما واضحا أيضاً بعلوم الهندسة والفلك والرياضيات وعلم التنجيم وأحكام الصناعات وضروب الأعمال والفروسية والتزويق والخط وغيرها من المهن التي لا يمكن الإحاطة بها ، ولا يتسع المجال لتعدادها (الخولي ، ١٩٤٧) .

لقد كان القرآن الكريم في عصر الإمام محور المناهج وأساسها وما يرتبط به من علوم القراءات والتفسير وغيرها ، وهو العلم الذي اختص به المسلمون دون غيرهم من الأمم والشعوب ، وهو بنظرهم أشرف العلوم لارتباطه المباشر بعقيدة الأمة ، وما زال المسلمون حتى يومنا هذا يرغبون أبناءهم في تعلم القرآن وعلومه . ولقد طالب الإمام المتعلمين بحفظ القرآن لأنه يرى أن حفظه يعين على فهمه وإدراكه ، وأن الكثير من الآيات تفسر غيرها ، بل اعتبر الإمام من باب الفريضة حفظ القرآن أو شيئاً منه مشترطاً أن من أراد أن يكون عالماً فعليه حفظ كتاب ا كله ، وفي عصرنا الحاضر يعتبر القرآن الكريم أحد مناهج الدراسة المقررة في مختلف مراحل التعليم في كافة البلدان العربية والإسلامية مع اختلاف بينها في المنهج والطريق وأسلوب التعليم ، وقد خصصت أغلب وزارات التربية في هذه البلدان عدداً من الحصص المقررة لتلقي علوم القرآن من حفظ وتفسير وتلاوة وغير ذلك .

لقد كان للإمام ابن عبد البر العديد من التعليقات وخاصة تلك المتعلقة بالمباهاة في العلم فقد أعاب على علماء عصره وحفظة القرآن في زمانه مباهاتهم بذلك ، ولا عجب في ذلك فقد قضى جزءاً من حياته طالباً لهذا العلم مؤلفاً فيه ، ويتلاقى في نقده ذلك مع علماء العصر في انتقادهم الشديد لسلوك العلماء وخاصة قراء القرآن وحفظته .

ويرى الباحث أن هناك فئة غير قليلة من الناس يقومون على خدمة كتاب ا من خلال العديد من المراكز والمؤسسات الدينية والمجتمعية التي تتولى تحفيظ كتاب ا وشرحه في أغلب البلدان العربية والإسلامية ، وليس أدل على ذلك من انتشار جمعيات تحفيظ القرآن في مختلف البلدان ، وللمساجد دور هام في ذلك وكل ذلك يمكن أن يؤدي إلى نتائج هامة وخاصة في المجال السلوكي .

وفي ظل ما يشهده العصر الحالي من تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية وتكنولوجية، فإنه يمكن الاستفادة من الأفكار التي طرحها الإمام في مجال العلم والعلوم على النحو التالي :

- يجب أن ينطلق المفكرون في عصرنا الحاضر من ضرورة اشتمال العلوم المقدمة للطلبة على علوم الدين وعلوم الدنيا لما لهذه العلوم من أهمية كبيرة في تأكيد الذاتية الإسلامية على مستوى الفرد والجماعة وبناء الثقة بالذات ، وصبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية من خلال التركيز على العلوم الدينية .
- تحقيق العدل الثقافي وهذا يعني ضرورة تمتع كل أفراد الوطن العربي والإسلامي بقدر من التعليم والتثقيف بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم وصولاً على إيجاد ثقافة إسلامية مشتركة واعية تحد من الثنائيات والانفصال والازدواجية ، وهذا يستلزم إعادة النظر في ثقافتنا الحالية وتنقيتها مما طرأ عليها من الشوائب والعلائق والعوائق .
- دعم المعرفة العلمية وهذا يعني تحديد مسؤوليات فكرنا التربوي المعاصر نحو إعادة بناء القيم والاتجاهات العلمية والاقتصادية اللازمة لإحداث التغير الثقافي المستهدف وصولاً إلى نقلة التعليم من مجرد إشباع حاجات الأفراد الحالية إلى إشباع تطلعاتهم المستقبلية .
- الاهتمام الفعلي بالبحث التربوي والعلمي وتقنياته المنهجية والاستفادة من أساليب البحث العلمي التي كان عليها العلماء المسلمين وخاصة استخدام القياس والاجتهاد والاستنباط وغيرها .
- ضرورة التعامل مع معطيات العلوم والمعارف الإنسانية العالمية بصورة تمكننا من التعلم منه وإعادة إنتاجه وتطويره وهذا الأمر ليس بالأمر السهل ولكن ينبغي للباحثين مواصلة ذلك دون كلل من أجل الإسهام في ترسيخ العلوم الإنسانية في فكرنا والعمل على تأصيلها وتوسيع دوائر تعميمها بحس نقدي ، فالحقيقة أن بلوغ عتبة الإبداع في هذا المضمار تقتضي أولاً وقبل كل شيء استيعاب المنجزات التي حققها الآخرون ممن سبقونا في مضمار البحث العلمي .

ثالثا - إطار مناهج التعليم

ارتبط مفهوم المنهج التعليمي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي بالبيئة الاجتماعية في عصره حيث كان على المنهج أن يهيئ المتعلمين للحياة الاجتماعية ويعدهم للحياة المستقبلية منطلقاً في ذلك من نظرة عميقة لقيمة العلم وألوان العلوم الواجب تعليمها للناشئة وأهميتها

وضرورتها لحياتهم الاجتماعية ، ولم يكن الهدف الديني للتعليم هو الهدف النهائي والوحيد في نظره بل غدا العلم هو الوسيلة لتغيير المستوى الاجتماعي والوصول إلى المراتب السياسية والاجتماعية ، ومن هنا فقد أصبح العلم في نظره هدفاً ووسيلة في حد ذاته ، والمتعمق في مؤلفاته يلاحظ أنه أضاف هدفاً ثالثاً وهو اللذة الروحية التي تدفع بصاحبها على التعلم والبحث لا لشيء سوى البحث والتعلم لذاتهما للوصول إلى دقائق المعرفة .

لقد انطلق الإمام في فهمه لطبيعة المنهج من عدد من المبادئ والسمات والتي ينبغي توافرها فيه والتي تستند إلى نظرة واسعة لمفهومه وعدم اقتصاره على العلوم الدينية بل شاملاً لعلوم الدنيا والدين – كما يسميها – وضرورة تقسيمه لتسهيل دراسته واستيعابه وتنوع مادته العلمية والتعليمية واشتمالها على العلم النافع المحبب لنفوس المتعلمين لتشويقهم وإبعاد الملل عنهم . والتركيز على العلوم الدينية وخاصة تعليم القرآن والسنة والتي هي من أساسيات المنهج في نظره وهذا المبدأ مقدم على غيره من المبادئ والسمات التي سبقت الإشارة إليها (ابن عبد البر، ١٩٩٦) .

والتربية الحديثة أولت مناهج التعليم أهمية كبيرة بالرغم مما بين المفكرين المعاصرين من تباين في المواقف حول مفهوم المنهج وطبيعته ، فقد اعتبر جون ديوي أن مناهج الدراسة يجب أن تقوم إلى نشاطات الطفل الذاتية وخبراته ، وبها يجب أن تبدأ المدرسة وليس على مبدأ تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة ، ويجب ربط المنهج بالحياة ومشكلاتها وأن يتضمن النشاطات والأعمال اليدوية للتدرب على عدد من المهن الاجتماعية السائدة ، كما أن التربية البراغماتية ترفض نقل التراث الثقافي والاجتماعي ، والمنهج يجب أن يعكس واقع الحياة الاجتماعية وهو وسيلة الأفراد لممارسة الديمقراطية ووسيلة المتعلمين لتلبية حاجاتهم واهتماماتهم وتنمية مهاراتهم وإبداعاتهم (القضاة ، ١٩٩Ĕ) ,

" وترى التربية البراغماتية أن منهج النشاط هو الطريق الأنسب لاكتساب المعرفة وأن إدراك الأشياء يكون على أفضل وجه عند التعامل مع المشكلات في مواقعها والعمل على حلها . والمواد الدراسية وسائل لمساعدة المتعلم وتدريبه على مواجهة المشكلات المستجدة (الفرحان ، ١٩Ĕ٩) .

ترى المدرسة التقدمية أن العقل والجسم جوانب للكائن المتكامل وأن لكل فرد شخصية متكاملة خاصة به تميزه عن غيره من الأفراد ، لذلك تؤمن بالتعلم الذاتي الذي هو بنظرهم وسيلة الإبداع والحرية والاستقلال الفكري ، وأن على المدرسة إطلاق المواهب والقدرات لتنميتها ، كما ترى أن وظيفة التربية تدور حول مشكلات المجتمع وتحسين مستوى المعيشة ، لذلك لا يجب أن يوازن المنهاج بين احتياجات الفرد واحتياجات المجتمع (Jonston,1995). وكذلك يرفض أصحاب هذه المدرسة فكرة اعتبار التراث الثقافي عنصراً رئيساً في العملية التربوية تبعاً لذلك لا تؤمن هذه الفلسفة بوضع برامج دراسية ثابتة بل أن المناهج يجب أن تنشأ وتتطور في ضوء علاقتها بميول وحاجات المتعلمين وفي ضوء علاقتهم بالمواقف المتعددة للحياة التي يحيونها ، وعلى المدرسة مساعدة المتعلمين في مواجهة تحديات المستقبل بتنمية مكونات السلوك المناسبة واكتساب طرق التفكير العلمي السليم للوصول إلى قرارات صحيحة فيما يتعلق بمشكلات الحياة (الجمل ، ١٩Ĕ٢) .

وبنظرة مقارنة حول وظيفة المنهج الدراسي في فكر الإمام ووظيفته في التربية المعاصرة يلاحظ أن وظيفة المنهج عنده هي تربية الفرد تربية إيمانية هدفها إيجاد الإنسان الذي كرمه ا سبحانه وتعالى بخلافته في الأرض وعمرانها المؤمن با الذي يتقي ربه في السر والعلن والقول والعمل ، وهو هدف خلت منه مناهج التربيات المعاصرة ، ووظيفته في نظرهم تنمية شخصية المتعلم وإعداده لمواجهة مشكلات الحياة والوصول إلى الحلول الملائمة لتحدياتها .

وتتسم طبيعة المنهج في نظر الإمام بالوحدة والشمول من خلال تركيزه على شمول المنهج للعلوم الدينية والعلوم الدنيوية والتي أطلق عليها العلوم النقلية والعلوم العقلية ، بينما ترى فلسفات التربية المعاصرة ضرورة ارتباط المنهج بمشكلات الحياة لإيمانها بضرورة فصل الدين عن الدولة وبالتالي خلو مناهجها من الإشارة إلى الحياة الآخرة التي هي بنظر الإسلام الهدف والغاية .

وتلتقي مناهج التربية الحديثة مع أفكار الإمام حول طبيعة المنهج وضرورة أن يكون مرناً وليس على مبدأ تقسيمه على مواد منفصلة ،فالمنهج في نظرهم مرتبط بالحياة الاجتماعية ويجب أن يشمل على النشاطات التي تؤهل الفرد للحياة الاجتماعية من خلال تلبية مطالبهم

وحاجاتهم وتنمية إبداعاتهم ، وكذلك فقد ارتبط مفهوم المنهج في نظر الإمام ابن عبد البر بالبيئة الاجتماعية السائدة في عصره ورأى ضرورة قيام المنهج بتهيئة المتعلمين للحياة الاجتماعية والمستقبلية ، بينما يرى أصحاب الاتجاه الديمقراطي أن المنهاج يجب أن يعمل على احترام شخصية المتعلم والإيمان بأهمية دوره في المجتمع من خلال إثارة اهتمام المتعلمين في كل الاتجاهات والمناشط لتنمية قدراتهم (Hargreaves,1994)

وتلتقي أفكار الإمام مع الفلسفة الإنسانية في اعتبار الكائن الحي وحدة واحدة ولكل فرد شخصية متكاملة خاصة به تميزه عن غيره ، ولذلك تهدف المناهج إلى تلبية حاجاتهم وميولهم ومراعاة الفروق بينهم ، وأن تكون بمستوى ملائم لقدراتهم وما تحتمله عقولهم (القضاة، ١٩٩Ĕ)

وترفض التربية المعاصرة اعتبار التراث الثقافي عنصراً رئيساً في مناهج التعليم ، ولذلك فهي لا ترى أي قيمة لهذا التراث ، وبالتالي لا تؤمن بوجود برامج دراسية ثابتة ، وهم يرون أن المناهج يجب أن تنشأ وتتطور في ضوء علاقتها بميول وحاجات المتعلمين (القضاة، ١٩٩Ĕ) ، بينما يرى الإمام أن التراث الثقافي على جانب كبير من الأهمية ، فالتربية لا تقوم في فراغ كما يقول اسحق الفرحان ، بل هي :" وعاء وأساليب وإجراءات ينقل بها تراث الأمة من الأجداد إلى الأحفاد ، ومن الآباء إلى الأبناء ، وبواسطتها تتطور الحضارة عن طريق العلوم المتفجرة والمعارف المتزايدة على نسق ينسجم مع نظرة الأمة ورسالتها في الحياة ، كما تسهم التربية في تحليل المشكلات الاجتماعية المعاصرة وتبلور لأجيال الشباب الحلول الفكرية السليمة بأساليب علمية مرضية لتكون انطلاقات الشباب في المجتمع أصيلة غير مستوردة ولا عرضية ، بل نابعة من التراث ومتكيفة مع الأحداث على نسق يرضي طموح الشباب ويضمن لهم هويتهم ولأمتهم شخصيتها" (الفرحان ، ١٩Ĕ٣) .

وانطلاقاً من الفكر التربوي للإمام في مجال المناهج ، فإنه يمكن الاستفادة مما جاء به فيما يلي :

١- ضرورة تأهيل المناهج الدراسية وفق المعتقدات الفكرية والأنماط السلوكية والقوانين والأنظمة الإنسانية في شتى مناحي الحياة لتصبح قادرة على تربية الفرد المتكامل والمتزن المنضبط بالقيم والأخلاق وأنماط السلوك التي جاء بها الإسلام .

٢- ضرورة أن تتضمن المناهج الدراسية العلم النافع الذي يعود بالخير على الإنسان في ضوء النهج الإسلامي ، والتركيز على أنواع العلوم والمعارف التي تساعد بقدر أكبر على تحقيق الأهداف التربوية للمجتمع المسلم ، وأن تتضمن المناهج الدراسية أيضاً العلوم الدينية لما لهذه العلوم من أهمية كبيرة في تأكيد الذاتية الإسلامية على مستوى الفرد والجماعة وبناء الثقة بالذات .

٣- تصميم مناهج التعليم لتكون قادرة على تدريب الناشئة على التفكير وحل المشكلات والإفادة من التطورات التكنولوجية والمعلوماتية ، وتكون قادرة على استيعاب متطلبات العصر ومستجداته ، وأن تكون ذات طبيعة مرنة قادرة على استيعاب المستجدات والمخترعات والمكتشفات في ظل التسارع الشديد الذي يشهده العصر .

٤- الابتعاد عن الإطناب المعرفي والحشو المعلوماتي ، والاهتمام بالانتقاء الكيفي للمعارف والمعلومات وتدبرها المعرفي الهادف ، والالتفات إلى الجانب السلوكي وضرورة أن تتضمن المناهج التدريب على تمثل القيم السلوكية والأخلاق النبيلة من مصادرها الأصيلة المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية .

٥- ضرورة التأمل والتفكر قبل الأخذ والاقتباس مما لدى الآخرين ، والتي مثلت مشكلة كبيرة في مناهجنا التربوية في العصر الحاضر بسبب عدم توافق بعض ما تم نقله مع الموروث الثقافي الذي أكد عليه الإمام باعتباره أصل المنهج ومحتواه .

٦- اشتمال مناهج التعليم على نشاطات مختلفة ومتدرجة بحيث تكون ملائمة لكل المستويات وذلك ما يسمى بضرورة تحقيق العدل الثقافي ، وهذا يعني ضرورة تمتع كل أفراد الوطن العربي والإسلامي بقدر من التعليم والتثقيف بما يناسب قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم وصولاً إلى ثقافة إسلامية مشتركة واعية تحد من الثنائيات والانفصال والازدواجية ، وهذا يستلزم إعادة النظر في ثقافتنا الحالية وتنقيتها مما طرأ عليها من الشوائب والعلائق والعوائق .

٧- دعم المعرفة العلمية ، وهذا يعني تحديد مسؤولية فكرنا المعاصر نحو إعادة بناء القيم والاتجاهات الدينية والعلمية والاقتصادية اللازمة لإحداث التغيير الثقافي المستهدف وصولاً على نقل التعليم من مجرد إشباع حاجات الأفراد الحالية إلى إشباع تطلعاتهم المستقبلية .

٨- الاهتمام الفعلي بالبحث التربوي والعملي وتقنياته المنهجية والاستفادة من أساليب البحث العلمي التي كانت شائعة في عهود الازدهار وخاصة استخدام القياس والاجتهاد والاستنباط وغيرها لأثرها الهام في إثراء المناهج التعليمية ، وخاصة في عصرنا الحاضر الذي يشهد بعض القضايا وتبرز بعض الأفكار التي لا نجد لها رأي في التراث الثقافي ، وعلى سبيل المثال تلك القضايا العلمية والطبية كنقل الجينات والتلقيح الذي يتم في المختبرات الطبية .

رابعا - إطار الأهداف العامة

انطلق الإمام في تحديده للأهداف العامة للتعليم من فكره الديني ، فقد تم ملاحظة تقسيم أهدافه إلى مجالات متنوعة : سياسية واجتماعية ودينية وعقلية ، معتبراً أن عبادة ا الواحد والقيام بواجب الاستخلاف في الأرض لعمارتها بالحق والعدل والعمل هو الهدف الرئيس للتربية في نظره ، وما يرافق ذلك من نتائج وآثار من أهمها تحرر الإنسان من عبادة غير ا والإخلاص في عبوديته ورفض الشرك وكل ما يتعارض مع هذا الهدف ، ومن هنا فمهمة التربية في نظره مهمة عظيمة تستمد أهميتها من أهمية الهدف الذي تسعى لتحقيقه وهو هدف رباني يستمد كماله من الكمال الإلهي ، وهو شامل لكافة جوانب الحياة وأبدي لأن الإسلام جاء لكل زمان ومكان ، وهو موافق للفطرة البشرية بأبعادها النفسية الروحية والفكرية والاجتماعية والجسمية ، وهو متصف بالتوازن والتوافق وعدم التعارض مع جوانب الحياة الإنسانية بل يوفق بينها جميعاً في غابة واحدة مثمرة ذات فروع تضم جميع هذه الجوانب إضافة إلى واقعيته وقابليته للتطبيق فإنه قادر على التأثير في سلوك الناس جميعاً بمختلف ثقافاتهم وأعمارهم (عبد الرؤوف ، ١٩٩٤) .

والأهداف الدينية عنده قائمة على أساس تنشئة الفرد المستقيم في كل شؤون حياته ليبتعد عن المحرمات والمنكرات من خلال دوام اتصاله بخالقه ، وتتحقق هذه الاستقامة باتباع أوامر ا والابتعاد عن نواهيه ، في حين ترى التربية المعاصرة أن تنشئة الإنسان الصالح ليتبوأ مكانه في البيئة الاجتماعية هدفاً أساسياً ينبغي على التربية تحقيقه وإذا ما ألقينا نظرة مقارنة

نلاحظ الفارق الكبير بين الهدفين فالأول إلهي المصدر والثاني وضعي المصدر وبالتالي فإن النواتج والآثار التربوية مختلفة تماماً فهدف التربية الحاضرة هو هدف مادي محصور بفترة محددة وهي الحياة الدنيا بينما الهدف في التربية الإسلامية والذي أكد عليه الإمام شامل لمختلف جوانب الحياة الإنسانية وينعكس على السلوك الفردي والاجتماعي في كافة المناحي ويمتد إلى حياة أخرى بعد الحياة الدنيوية .

ومن الأهداف الدينية تربية الإنسان المسلم المطمئن النفس والضمير ، الذي لا يضمر العداوة والبغضاء والحسد بل يعمل على تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الفرد كالإخاء والتعاون والتكافل والتواصل وهذا يشيع السعادة في أوصال المجتمع المسلم ، وهدف التربية المعاصرة تنشئة الإنسان تنشئة اجتماعية ، فالبراجماتية ترى ضرورة تنشئة الفرد باعتباره كائناً حياً إيجابياً مبتكراً وأنه كائن اجتماعي لا ينمو إلا من خلال الاتصال بالآخرين وعليه أن يتعلم التعاون والتفاهم وكيف يعيţ في المجتمع (القضاة ، ١٩٩Ĕ) فالغاية العليا للتربية البراجماتية هي تحقيق الذات وهذا يتحقق من خلال التربية (مرسي ، ١٩Ĕ٢) ، بينما ترى التربية الإنسانية ضرورة تربية الإنسان على حب الإنسانية والعمل من أجل خيرها وسلامتها وواجب التربية تحرير الفرد من التعصب على أساس اللون أو الدين أو العرق أو الثقافة ، وهي تحارب فرض أي قيود على حرية الرأي والإبداع (القضاة ، ١٩٩Ĕ) ، وبنظرة مقارنة يلاحظ وجود نقاط اتفاق بين الهدفين يتمثل بضرورة قيام التربية بتنشئة الفرد اجتماعياً من خلال تمثله لقيم الإخاء والمحبة والتعاون والتكامل والتواصل وتحقيق الذات من أجل التكيف مع نفسه ومجتمعه فيما يختلفان في مصدر الهدف وغايته فالهدف الديني غايته تحقيق السعادة للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة بينما ينحصر الهدف في التربية المعاصرة بالحياة الدنيا .

ومن الأهداف الدينية عند الإمام ضرورة الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره من خلال نشر العلوم الدينية وتعليمها الناس من أجل إيجاد الإنسان الصالح الذي يعبد ا بإخلاص ، ويقوم بواجب الخلافة في الأرض حسب الأوامر الإلهية ، وهو هدف عالمي إنساني لا يقتصر على لون أو جنس أو عرق ، أو منطقة جغرافية لأن الإسلام دين جاء للناس جميعاً منطلقاً من مبدأ المساواة بين بني البشر جميعاً جاعلاً التفاضل بينهم على أساس التقوى . ويقابله في التربية المعاصرة إعداد المواطن الصالح حيث تشير أغلب الفلسفات التربوية إلى ضرورة قيام التربية بذلك ، يرى أصحاب الفلسفة البراجماتية أن التربية ليست عملية بث للمعرفة ، وإنما مساعدة

المتعلم على مواجهة احتياجات البيئة البيولوجية والاجتماعية ، يرى ديوي أن التربية الحقة هي القادرة على إثارة قوى الطفل نتيجة شعوره بما تتطلبه المواقف الاجتماعية التي يواجهها (فرحان،١٩Ĕ٩) ، والتربية هي الحياة وأن النمو هو الوظيفة الحقيقية للتربية ، بينما يرى أصحاب الفلسفة الإنسانية أن الهدف الأساسي للتربية هو تقوية الروθ الدينية ، وعرس روθ الفضيلة وإعداد المواطن الصالح القادر على تحمل المسؤوليات (القضاة،١٩Ĕ٩) .وبالمقارنة بين الهدفين نلاحظ أنهما يلتقيان في ضرورة قيام التربية بإيجاد الفرد الصالح والمواطن الصالح ، ويختلفان في مفهوم المواطن الصالح – والتي أشرنا إليها سابقاً – والمواطنة مرتبطة بوطن محدود جغرافياً ، فيما المواطنة الصالحة في التربية الإسلامية الذي أشار إليه الإمام أكثر شمولا، وهو إعداد الإنسان الصالح بمعناه الإنساني الشامل من حيث هو إنسان وبذلك يرى عبد ا (١٩٩٦) أن المواطنة الصالحة في التربية المعاصرة لها وجهان : أحدهما خير وهو عدم كراهية أن يكون الأفراد في كل المجتمعات مواطنين صالحين معتزين بوطنهم ومجتمعهم ، حريصين على تقدمه لديهم الاستعداد للتضحية بأنفسهم دفاعاً عنه ، وعن قيمه الاجتماعية فهم حريصين على تقدمه وازدهاره ، وأما الوجه الآخر فهو مصطلح عامض عير محدد وتباين المجتمعات في نظرتها إلى صفات هذا المواطن الصالح فهي مرتبطة بوطن واحد ، وكان من أبرز الانتقادات الموجهة لـه هيمنة الدولة على التربية ورعبتها في تحقيق أهداف معينة (عبد ا ، ١٩٩٦) .

وأما الأهداف الاجتماعية التي أشار إليها الإمام فتراوحت بين تحقيق المساواة وإصلاθ الفرد وصولا إلى إصلاθ المجتمع من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتنمية الشخصية تنمية اجتماعية من خلال تربية الناشئة على تمثل القيم الاجتماعية السائدة ، والتماسك الاجتماعي ضرورة من خلال تربية الأفراد على التعاون ونبذ الخلاف والتجاوز عن أخطاء الآخرين ، وكظم الغيظ ، كما أن التربية المعاصرة قد أولت الأهداف الاجتماعية عناية فائقة ، فقد أشارت التربية البراعماتية إلى ضرورة تعليم الفرد كيف يفكر من أجل التكيف مع المجتمع وتزويده بالخبرات ليعيŧ حياة سعيدة من خلال الاهتمام بتكوين الصحة الجيدة ، وتزويده بالمهارات المهنية ، وتربيته على حل المشكلات الاجتماعية وأن النمو المتكامل للفرد ، وتحقيق تطوير المجتمع وتحسينه عن طريق تربية الفرد وتزويده بالمعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة هو أهم أهداف التربية البراعماتية . بينما تنظر الفلسفة التقدمية إلى الديمقراطية على أنها النظام الجديد بالإنسان ويجب تربيته على حب الإنسانية والعمل من أجل خيرها وسلامتها ،

وهدف التربية تحرير الفرد من التعصب والتميز على أساس اللون أو الدين أو العرق أو الثقافة (القضاة، ١٩٩Ě) .

يمكن الاستفادة من الأهداف التي جاء بها الإمام على النحو التالي :

- أن تتمحور الأهداف العامة للتعليم حول الهدف والغاية التي حددها الإسلام وهي تنشئة الإنسان المؤمن الذي يخلص العبودية سبحانه وتعالى ، ويمكن تحديد هذا الهدف بتنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد ا حق عبادته ويعمر الأرض وحق شريعته ، ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه.

- أن تتركز الأهداف على تربية الأخلاق فهي بنظره روح التربية الإسلامية وغرضها الرئيس، فالوصول إلى مرتبة الكمال الخلقي يحل العديد من المشكلات التي يواجهها المتعلم في عصرنا الحاضر خاصة المشكلات السلوكية .

- أن تعمل الأهداف على تربية الإنسان وإعداده إعداداً شاملاً للحياة الدنيا وللحياة الأخيرة ، فالإمام يرى في التربية وسيلة لإعداد الإنسان لمشاركة غيره في إعمار الأرض ، وإعداد نفسه للحياة الأخرى من خلال التربية الإيمانية التي أكد عليها .

- ارتكاز الأهداف على تنمية الروح العلمية لدى المتعلم ، فالبحث عن المعرفة والعلم هدف هام أكد عليه الإمام ودراسة العلم لأجل العلم لما فيه من لذة علمية في نظره .

- ضرورة التأكيد على المعرفة العلمية الدقيقة ، ومحاربة كل أشكال تزييف المعرفة والثنائية وغيرها ، والتأكيد على طلب العلم دون تمييز نوع من العلوم على غيره .

- أن تكون الأهداف مرتبطة بتراث الأمة العظيم لتأكيد الذات ، والمحافظة على الشخصية مع التأكيد على ضرورة الانفتاح على تجارب الأمم والشعوب الأخرى ، والاستفادة من منجزاتها العلمية التي تفيد المسلمين .

- أن تعمل الأهداف على تنمية روح التفكير الإبداعي ، والتفكير الحر والمنطقي بهدف تعديل المسار في مجال الفكر التربوي الذي كان قائماً على اجترار المعلومات ، وحشو الأذهان

بالمعارف والذي كان السبب المباشر وراء تجمد الأمة ، وعدم قدرتها على اللحاق بالأمم المتقدمة في المجالات التكنولوجية وغيرها .

- وأخيراً الانطلاق بالأهداف العامة من فلسفة التربية الإسلامية القائمة على رؤية شاملة للإنسان والكون والحياة ، والمنبثقة من العقيدة الإسلامية لتحقيق الغاية الكبرى وهي الوصول إلى المشروع الثقافي الإنساني والعالمي .

خامسا - إطار آداب المعلمين وصفاتهم

ينظر إلى المعلم على أنه صاحب رسالة مقدسة على مر العصور والأجيال ، والممعن في هذه الرسالة والمهنة الشريفة يخلص إلى القول أنها مهنة أساسية وركيزة هامة في تقدم الأمم . ومنذ القدم والنظرة إلى هذه المهنة نظرة تقدير وتبجيل فهو معلم الأجيال ومربيها ، ولكن هذه النظرة اختلفت عبر العصور من حيث الأدوار التي يؤديها ، ينظر علماء التنمية البشرية إلى المعلم على أنه يشكل المصدر الأول في البناء الحضاري والاقتصادي والاجتماعي للأمم من خلال إسهاماته الحقيقية في بناء البشرية والحجم الكبير الذي يضيفه إلى مخزون المعرفة فكلما نجح المعلم في زيادة المستويات التعليمية لأبناء الأمم كلما ارتفعت فيها مستويات المعرفة ، وبالتالي ارتفع مستوى الإنتاج القومي العام(غنيمة، ١٩٩٦) ، كما يجمع المربون على أن المعلم يشكل حجر الزاوية في العملية التربوية ، لذلك وجب الاهتمام به (مرعي،١٩٨٣) .

لقد كان أحد أهداف العملية التعليمية التي جاء بها الإمام تنمية شخصية الفرد وإكسابه الاتجاهات الإيجابية نحو المجتمع ، وتحقيق مكانة اجتماعية من خلال تزويده بالخبرات والمهارات التعليمية ليصبح قادراً على القيام بدوره ؛ لذلك ربط الإمام ربطاً مباشراً بين أهداف التعليم في المجالات المختلفة والتي سبق تفصيلها في الفصل الثالث من الدراسة وبين الصفات والآداب التي ينبغي للمعلم أن يتصف بها ؛ لذلك ركز بصورة دقيقة على صفاته النفسية والعقلية والأدائية ليكون قادراً على القيام بدوره على الوجه الأكمل .

لقد أشار الإمام إلى المكانة العظيمة التي يتبوأها المعلم عند ا والمكانة بين الناس ، فالعلماء في نظره مكرمون برضى ا ويحظون بمكانة عظيمة بين الناس للدور العظيم الذي يقومون به ، وإليهم يرجع الناس في كل الأمور المتعلقة بحياتهم وهم من يتولون أمر البحث في المشكلات التي يواجهها الناس ، وعليهم واجب العمل على تقديم الحلول وهم وسيلة تقدم الأمة وبقائها عزيزة مرهوبة الجانب .

لقد فصل الإمام أيضاً في الآداب والأخلاق التي ينبغي للمعلمين الاتصاف بها ، وقد لاحظ الباحث أن هذه الصفات والأخلاق والآداب التي أشار إليها مصدرها الدين الإسلامي ، وتتمحور كلها حول : تقوى ا وخشيته والإخلاص ، وصدق النية في العمل ، وملازمة ذكر ا والتواضع والتحلي بالسكينة والوقار والقدرة على التواصل مع الآخرين ، وضرورة المحافظة على المندوبات الشرعية إضافة إلى آدابه في مجال تحصيل المعرفة وأخلاقياته والصفات التي ينبغي توافرها فيه لجواز الأخذ عنه .

لقد كان للمفاهيم التي جاء بها الإسلام أثر واضح في أفكار الإمام المتعلقة بالمعلم ، وهذه الآداب جميعها انبثقت من مفاهيم العدل والمساواة والحق ، والعدل ، والصدق ، والتواضع وغيرها ، إضافة إلى قيم التعاون والمودة والشفقة والرحمة . والمتعمق في هذه المفاهيم التي بنى عليها الإمام آدابه يلاحظ أن الإمام قد سبق التربية المعاصرة في تحديده الدقيق للصفات الخلقية والنفسية والمهنية التي ينبغي أن يكون عليها المعلم ، فقد انبثقت صفات المعلم في عصرنا الحاضر بعد ظهور مفاهيم الديمقراطية ، والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان .

أما التربية المعاصرة فقد أولت المعلم اهتماماً كبيراً ، ولكن المتعمق في البحث يلاحظ أن كل هذا الاهتمام تركز على الصفات المهنية ، وغالباً ما أغفلت التربيات المعاصرة الجوانب الأخرى، فأصحاب الاتجاه البراغماتي يرون ضرورة تأهيل المعلم ليكون قادراً على استخدام أسلوب حل المشكلات والأسلوب التجريبي لمساعدة المتعلم على تحديد المشكلة ، والتواصل إلى حل لها، والمعلم بنظره ميسر لعملية التعليم ، وليس مسيطراً عليها ، وهو متسامح ولا يستخدم الشدة والقسوة مع المتعلمين وعليه أن يكون ودوداً ومتعاوناً ، ولا يسعى لحشو أذهان المتعلمين بالمعارف والمعلومات ، بل يسعى لتقديم الخبرات (القضاة، ١٩٩٤) .

والمعلم لا يقوم بتدريس المواد التقليدية بصورة مباشرة فهو يسعى لتوظيف هذه المواد في حل المشكلات ، والمعلم هو الذي يعلم طلابه كيف يفكرون ويعملون ، ويعتمدون على أنفسهم وعليه أن يدربهم على الإبداع والبعد عن التقليد (فرحان،١٩Ĕ٣) .

وأما الفلسفة الإنسانية فترى أن مهمة المعلم ووظيفته الأساسية تنحصر في مساعدة الطالب على تنمية شخصيته من كافة الجوانب النفسية والعقلية والبدنية ، وعلى المعلم أن يعمل على جعل حياة طلابه التعليمية سارة ، وهذا يفرض عليه الاهتمام بطريقة التدريس ، وأن يراعي ميول طلبته وحاجاتهم ، ودراسة دوافعهم ، والكشف عن قدراتهم واستعداداتهم ،وعليه العمل على Ͽرس الثقافة والفضيلة في الطالب ، وأن لا يستخدم العقاب القاسي ، وأن يبني مع طلابه علاقة قائمة على الاحترام والمودة (القضاة، ١٩٩Ĕ) .

وعند إلقاء نظرة على واقع المعلم قديماً وحديثاً يلاحظ أنه يواجه العديد من المشكلات ، وعليه أن يضطلع بالدور الذي تفرضه طبيعة العصر ، وليس أدل على ذلك ما طالب به الإمام ابن عبد البر من ضرورة مشاركة علماء العصر في وضع الحلول للمشكلات التي تطرأ أو يواجهها المجتمع ، ونتيجة لما يشهده العالم اليوم من تطورات بظهور المكتشفات والمخترعات جعلت المعلم في مقدمة المتأثرين بهذا الواقع ، وأول هذه المشكلات اختلاف الآراء بين ما هو محلي وعالمي وهذا التقدم أضفى الكثير من الخوف من فقدان الأفراد لهويتهم وذاتيتهم وعقيدتهم ، ويبرز هنا دور المعلم في ضرورة العمل الجاد للمحافظة على هوية الأمة من خلال تنشئة الأجيال تنشئة أصيلة ، وفي الوقت نفسه تأهيلهم وتدريبهم لمواكبة التطورات العالمية في مختلف المجالات . وهذا ما حاول الإمام إيصاله إلى المتعلمين من خلال دعوته لهم بضرورة الالتزام بالتراث الفكري الإسلامي ودعوته لهم بنفس الوقت إلى الانفتاθ الواعي على الثقافات الأخرى ، والأخذ منها بما يتناسب مع عقيدتنا وانطلاقاً من مجمل الأفكار التي جاء بها الإمام يمكن الإشارة إلى عدد من التوجهات التربوية في مجال آداب المعلم وصفاته والتي تم استخلاصها من أفكاره :

- أن هدف التربية في نظره لم يعد يقتصر على تحصيل المعرفة الدينية ، بل شاملا لمختلف العلوم والأهم في نظره من تحصيل المعرفة ، بل تدريب المتعلمين على كيفية الوصول إلى مصادر هذه المعرفة وتوظيفها لحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وليس أدل على ذلك من الشروط التي وضعها لإعداد المعلمين والفقهاء والمحدثين ، وكذلك اشتراطه تعدد الروافد الثقافية للمعلم .

- أن هدف التربية في نظره لم يعد مقصوراً على تلبية الحاجات الاجتماعية والعمل على تنمية النفس الإنسانية تنمية معرفية ، بل تجاوز ذلك إلى النواحي الأخلاقية والوجدانية وإكساب الإنسان القدرة على تحقيق الذات .

- أن على المعلمين خصوصاً والقائمين على التربية عموماً التصدي للروθ السلبية بتنمية التفكير الإيجابي وجعل المتعلمين قادرين على استخدام وسائل التفكير المختلفة .

ولأهمية المعلمين والدور الذي يضطلعون به يرى الباحث أن الأفكار التالية ربما تكون مفيدة لمواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وفي ضوء الرؤية المستقبلية لعمل المعلم :

١) ضرورة إعداد المعلم إعداداً جيداً بحيث يكون قادراً على بناء السلوك البشري ومواكبة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات ، وقادراً على تحقيق مطالب التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية ، وحتى يمكن تحقيق ذلك لا بد من قيام تنظيم وتنسيق بين المؤسسات التعليمية والتربوية وسائر مؤسسات التربية غير النظامية ، وعلى رأسها وسائل الإعلام ودور العبادة .

٢) ضرورة التوجه نحو تغيير شامل في المفاهيم الخاصة بالمعلم وعلى رأسها وجود المعلم الموسوعي متعدد القدرات متكامل الصفات ، فهو نموذج خيالي غير واقعي والاتجاه نحو تقنية جديدة في مجال التعليم تقوم على شكل هيئة فريق من العاملين يقدمون الدعم والمساندة العلمية للمعلم وذلك من خلال مساعدين نظاميين أو من خلال التدريب المتواصل في معاهد خاصة ومتخصصة في كافة المجالات ، ومن خلال المؤسسات التربوية غير النظامية .

٣) ضرورة تدريب المعلمين على إتقان مهارات التواصل والتعلم الذاتي وامتلاك القدرة على التفكير الناقد والتمكن من فهم علوم العصر وتقنياته الجديدة بحيث يصبح قادراً على إنجاز مهامه الاجتماعية والتربوية وقادراً على تطوير العمليات التربوية باتجاهاتها الحديثة ، ويحسن استثمار التقنيات التربوية ويستخدم مستخدماتها في تمكن ومهارة ومنها التعليم المبرمج والمحوسب والمصغر والذاتي وغيرها .

سادسا- إطار آداب المتعلم وأخلاقه

أسهب الإمام في حديثه عن المتعلم وأخلاقه وآدابه والمنزلة العالية التي حظي بها المتعلمون في تلك المرحلة من الازدهار والتقدم العلمي في مختلف المجالات ، فطالب العلم في

نظره يشكل المحور الرئيس الهام في العملية التربوية باعتباره هدف التربية وغايتها . وكان ينظر إلى المتعلمين في عصره على أنهم علماء المستقبل وعليهم تنعقد آمال الأمة في الرفعة والتقدم والازدهار ، في تلك الفترة لوحظ الاهتمام الشديد من قبل المسلمين في التعليم فكان الأطفال يرسلون إلى دور المؤدبين وحلقات الدرس، ولكن الواضح في فكر الإمام تركيزه على المتعلمين الكبار ٴ لأن ما ذكره من سماتهم وواجباتهم وأخلاقياتهم تتناسب مع المستوى المتقدم من المعرفة والعلم وأن أشار إلى العديد من الأساليب التربوية والمبادئ الملائمة لتربية الناشئة الصغار .

لقد سبقت الإشارة بالتفصيل إلى مجمل الآداب والسمات الخلقية والعقلية والنفسية التي ينبغي لطالب العلم أن يتصف بها ، والتي رأى فيها ضرورة لا بد منها لطالب العلم ، وعلى رأسها الالتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية وإطاعة ا ، وتحقيق الكمال ورفض المباهاة ، وظهور أثر التعلم في مسلكه وهيئته ، وعليه أن يثابر في الطلب مؤكداً على الحرية العلمية والفكرية التي ينبغي توفرها لطالب العلم لأنهم في نظره أحراراً مستقلين في شخصياتهم عليهم تحليل ما يقدم لهم وأخذ ما يوافق عقولهم ورفض ما لا يوافقها ، كما أشار إلى مجمل الصفات والآداب التي ينبغي أن يتصف بها فيما يتعلق بمعلميه وشيوخه من احترام وتقدير مبرزاً أهمية القدوة في العملية التعلمية .

وكذلك فإن التربية المعاصرة قد اهتمت اهتماماً واضحاً بالمتعلم كونه في نظرهم محور العلمية التعلمية ، وهدفها الأول فهي ترى أن تكوين الإنسان المتكامل من كافة الجوانب الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية هو هدف التربية فهي معنية ضمن هذا التوجه بتكوين الجسم والفكر والخلق ، كما تؤكد على الاهتمام بالعمل اليدوي(عبد الدايم، ١٩Ĕ٤) .

وتهتم التربية المعاصرة بتنمية الروθ الابتكارية من خلال تركيزها على أساليب التفكير والتي تركز على استكشاف الفرد لقدراته وذاته ، وإكساب الفرد القدرة على التفكير العلمي وتنمية روθ الإبداع من خلال الاعتماد على النفس وتدريبه على أسلوب حل المشكلات ، كما تهتم التربية المعاصرة بتنشئة الفرد تنشئة اجتماعية ، فالفرد لا يستطيع في نظرها العيŞ بمعزل عن الآخرين ، كما يجب على المدرسة تشجيع الروθ الديمقراطية لدى المتعلم ، وغاية التربية عند البراغماتية تحقيق الذات (مرسي،١٩Ĕ٢) بينما تؤمن التربية الإنسانية بأهمية العلوم

والمعرفة كونها وسيلة التغلب على المشكلات ، يرى روجر إسكام" Roger Iskam " أن هدف التربية هو الثقافة والفضيلة (عاقل،١٩٨٣) . كما تهتم التربية الحديثة بالخصائص الخاصة للمتعلمين غير التقليدين والذين يمتازون بنظام ثقافي خاص ، ويظهرون سلوكات وممارسات تتطلب الرعاية(قطامي وآخرون، ٢٠٠٢).

ترى التربية البراغماتية ضرورة اعتبار المتعلم محور العملية التربوية ، ومن هنا وجب مراعاة ميولـه واهتماماته وحاجاته ، وهدف التربية في نظرهم مساعدة المتعلم على تنمية استعداداته وقدراته ، وترى هذه الفلسفة أن الطبيعة الإنسانية مرنة وطيعة وأن التربية تستدعي التطور الكامل للفرد ، وعلى التربية تربية المتعلم على اعتباره كائن اجتماعي إيجابي مبتكر مبدع ، ونموه نمواً طبعاً تستلزم اتصاله بالآخرين (القضاة،١٩٩٨) .

ترفض التربية الإنسانية حشو الأذهان بالمعارف والعلوم ، تؤكد على ضرورة تحرير المتعلم من كل أشكال التعصب والتحيز على أي أساس ، ووجوب إعطاء المتعلم مختلف ألوان العلوم والمعارف لتساعده على التغلب على مشكلات الحياة وهدف التربية إيجاد الفرد القادر على تحمل المسؤولية ، وتقدير النتائج ، كما ترى ضرورة إكساب المتعلم القيم الأخلاقية والجمالية التي تمكنه من تذوق الخير والجمال والاستمتاع بحياته . كما تؤكد على ضرورة الاهتمام بميول الأطفال ودوافعهم وحاجاتهم (القضاة، ١٩٩٨). ويرى الباحث أن الإمام ابن عبد البر قد فصّل في حديثه عن أخلاقيات المتعلم وآدابه ويمكن للتربية المعاصرة أن تعمل على تربية هذه الأخلاق والآداب ، وبذلك يمكن التخلص من العديد من المشكلات وعلى رأسها المشكلات السلوكية .

سابعا - إطار طرائق التدريس

على الرغم من وجود تباين بين المعلمين من حيث فاعليتهم وقدراتهم فإنه يصعب - كما أشار بعض الباحثين – وضع وصفة جاهزة يمكن من خلالها تحديد أسلوب أو طريقة معينة تصلح لكافة الظروف ، وجميع الأعمار والمستويات ، وتتناسب مختلف المواد التعليمية (الطويبي،١٩٩٢) .كما اهتم المربون المسلمون اهتماما فائقا بـ" طرائق التعليم " وأدركوا دورها في نجاح عملية التعلم ، ولعل ذلك يبدو واضحا في النص التالي الذي ينتقد فيه ابن خلدون المعلمين في عصره : " يحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة وإحضار ذهنه

في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ... فإن قبول العلم والاستعداد له ينشأ تدريجيا " (رضا، ١٩٧٠) .

حدد الإمام بعض الطرائق والأساليب التي يمكن لمعلمين استخدامها لنقل العلوم إلى المتعلمين استندت إلى نوعية العلوم والمناهج التي كانت سائدة في عصره وعلى رأسها تعلم القرآن الكريم وحفظه ، وعلم الفقه والحديث والتي كانت تعرف في عصره بطرق " التحصيل وصيغ الأداء" وهي : " السماع والقراءة على العالم والإجازة والمناولة والوجادة والبلاغات " . ويمكن القول أن هذه الطرق قد اختف في عصرنا الحاضر نتيجة لظهور العديد من الأساليب التربوية الحديثة والتي ظهرت نتيجة للتغيرات والمستجدات التربوية الحديثة ، كان الإمام قد أشار إلى بعضها ولا تزال حتى وقتنا الحاضر من الوسائل الهامة في تحصيل العلم والمعرفة ، وعلى رأسها أسلوب المساءلة وطرθ المسألة على المتعلم ، والحفظ والمناظرة وأسلوب المحاضرة والمراسلة والرحلة في طلب العلم والتعلم بالعمل " .

طرائق التدريس الأخرى التي أشار إليها الإمام ، والمعمول بها حالياً تستهدف استغلال محتوى المادة وبشكل يمكن التلاميذ من الوصول إلى الهدف الذي ترمي إليه دراسة مادة تربوية. والفلسفة التربوية المعاصرة اعتبرت طرائق التدريس عنصراً هاماً وركيزة أساسية في العملية التربوية ، فالتربية البراجماتية ترى في أسلوب حل المشكلات والتعلم بالاكتشاف هما الطريقتان الملائمتان للتعلم وأن كافة النشاطات يجب أن تتمحور حول المتعلم مع تأكيدهم على ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ومراعاة ميولهم ودوافعهم . "والطريقة الصالحة في نظر ديوي هي التي تساعد التلميذ على إيقاظ قواه واستعداداته العقلية وتعوده على الاستقلال والاعتماد على النفس والتفكير المنطقي وحب التعاون ، وتشجيعه على الأصالة والخلق والإبداع وتدفعه إلى الحركة والنشاط الهادف " (الشيباني، ١٩Ĕ٢) . وتؤكد التربية الإنسانية على الطريقة العلمية لمساعدة المتعلم على مواجهة المشكلات وحلها وضرورة ارتكاز الطريقة على تنمية التفكير العلمي عند الطلبة ، وليس حشو الأذهان بالمعلومات ý لذلك ترفض الفلسفة الإنسانية طرق الحفظ والتلقين (القضاة، ١٩٩Ĕ) . يؤكد دافلتر (Daflter)أن بالإمكان تدريب المواطن الصالح الذي يقدر واجباته ، ويتحمل مسؤولياته عن طريق التعليم الحر .

فهو يرى ضرورة احترام شخصية الطالب ودراسة ميوله واتجاهاته ودوافعه ، واستعداداته والكشف عن قدراته قبل اختيار طريقة تدريسه وهو يؤمن باعتماد الأسلوب الذي يتم اختياره على التشويق (القضاة، ١٩٩Ĕ) .

ويرى روجر أسكام (Roger Iskam) كما أشار القضاة (١٩٩Ĕ) أن طريقة الترجمة المزدوجة هي أهم الطرق التي ينبغي توظيفها في المجالات الأدبية . وتعتمد هذه الطريقة على ترجمة هذه القطع عدة مرات بحيث يستوعب المتعلم مضمونها من خلال الترجمة ثم يقوم المعلم بمقارنة عمل الطالب في الترجمة فإذا نجح الطالب في ذلك مدحه المعلم ý لأن المدθ في نظره يشحذ ذهن الطالب ويشجعه .

يرتكز الأساس النظري لطرائق التدريس الحديث على بنائية بياجيه التي تركز على ذو الخبرة الشخصية في تطوير المعرفة لدى المتعلم حيث ترى فيه مشاركا نشطا مع عملية التعلم فهو الذي يبني المعنى من خلال خبرة ، ويطور نظرياته حول العالم الطبيعي في والاجتماعي الذي يعيشه (Stofflett & Stoddart, 1994) .

يرى بعض المربين أن التعليم المبرمج والتحليل السلوكي للأهداف هي وسائل ناجحة في تعليم العلوم ý لذلك يجب التركيز على الطرائق العملية في معالجة المشكلات ، وخاصة طرائق البحث العلمي الذي يجب أن يرتبط ارتباطاً مباشراً بطرائق التدريس (الفرحان،١٩Ĕ٩) .

أشار الإمام إلى طريقة التلقين والتكرار كنتيجة طبيعية للمنهاج الذي كان يعلمه ، والذي ساد في ذلك الوقت والذي كان يدور حول حفظ القرآن واستظهاره ، واعتمد التكرار والتلقين لبلوغ هذا الهدف ، ولما كانت الحياة العقلية للفرد لا تنفصل عن الحياة الاجتماعية ، بل هي جزء منها لذلك كانت طريقة الحفظ والتكرار وسائل ملائمة للمجتمع الإسلامي في عهد الإمام حيث كان الغرض الأساسي من التعليم تحفيظ الناشئة القرآن الكريم ، فكون التربية عملية "اجتماعية وثقافية تتأثر بالقوى والعوامل الثقافية التي تؤثر في المجتمع" (عبود، ١٩٧٧) ، ولا تزال هذه الطريقة ملائمة لبعض ألوان العلوم فحفظ القرآن والحديث والشعر والأدب وغيرها يتطلب قيام أخذه بالتلقين وحفظه بالتكرار .

والتعلم بالعمل وسيلة هامة من وسائل التعلم واكتساب العلوم في نظره حيث أكد على دورها في ديمومة التعلم وبقاء أثره مشيراً إلى ضرورة اقتران العلم بالعمل ، وعدم موافقة العلم للعمل كبيرة من الكبائر في حين تؤكد التربية المعاصرة أيضاً على أهمية التعلم بالعمل وأهمية العمل بالعلم ، فمفكري التربية البراجماتية أشاروا في كتاباتهم إلى ذلك معتبرين أن لهم فضل السبق في تطوير هذه الطريقة وتنسب هذه الطريقة حسب وجهة نظرهم إلى جون ديوي الذي يقول :" لا يتعلم الطفل عن طريق القراءة في الكتب ، أو عن طريق سماع الشروθ لكنه يتعلم عن طريق حرق نفسه ، وإطعام نفسه أي عن طريق عمل الأشياء فتصبح الأيادي والأعين والآذان ، بل الحقيقة الجسم ككل ، مصادر معلومات "(الفرحان، ١٩Ĕ٩) .

ولكن الإنصاف يقتضي القول إلى أن التربية الإسلامية سبقت البراجماتية في تطوير تلك الطريقة ، وأنها كانت إحدى الوسائل الهامة في تحصيل العلوم عند المفكرين المسلمين ومنهم ابن عبد البر ، بينما التربية الإنسانية ترى في تربية الطفل على الديمقراطية وحب الإنسانية وتحريره من مشاعر التعصب والتحيز على أساس اللون والعرق والدين ، أو الثقافة هي الطريقة الأهم في نظرهم ولم يرد على لسان مفكريهم طريقة التعلم بالعمل .

والرحلة في طلب العلم من الطرائق التي شاعت في عهد الإمام ، وهذه الطريقة تميزت بها التربية الإسلامية على سائر التربيات قديمها وحديثها ، فقد اعتمدت هذه الطريقة كمنهج عند أغلب المفكرين الإسلاميين ، وكانت لها أهداف وغايات يقع على رأسها توثيق العلوم والوصول إلى مصادرها للتأكد من صحتها والاطلاع على المستجدات العلمية في بلد آخر ، ونقل علومهم وكتبهم إلى بلدانهم الأصلية ؛ لذلك كان للرحلة في طلب العلم تأثيرها الكبير في مختلف المجالات والجوانب ، وخاصة الثقافية والعلمية والاجتماعية (ابن حزم، ١٩٩٤)، وفي العصر الحاضر لا زالت الرحلة في طلب العلم طريقة هامة في تحصيل العلوم ، ومن الأمثلة عليها البعثات الدراسية لطلاب العلم في الخارج ، والسفر لتلقي تدريب معين أو المشاركة في المؤتمرات العلمية لتبادل المعلومات والمعارف والحصول على آخر المستجدات العلمية في تخصص ما . وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية تحصين الشباب بالقيم والأخلاق النبيلة قبل إيفادهم في بعثات دراسية للخارج لما في سفرهم إلى الخارج من خطورة عليهم من حيث إمكانية تأثرهم بمظاهر الانحلال فيها ؛ لذلك اشترط الفرحان(١٩٩٩) ضرورة عدم إرسال الطلاب لنيل الدرجة الجامعية بعد ذلك فيكونوا في سن ملائمة ، وتكون قد تكونت لديهم مناعة فكرية وخلقية

وحضارية تمنعهم من الذوبان في المجتمعات الغربية أو الشرقية ، بل يصبحوا سفراء للدفاع عن حضارتهم وفكرهم والعمل على نشرها .

وأسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب التي قامت عليها التربية الإسلامية في توجيه الإنسان نحو الحق والخير ، والقرآن كما أشرنا مليء بهذه الشواهد ، تقوم هذه الطريقة على تعريف المتعلم بالأساس العقلاني والمنطقي لأي قضية مطروحة أمامهم ، وتؤكد في نفوسهم عدم جواز أخذ المعلومات دون الاقتناع بها وفهمها ، وأهميتها لواقعهم الاجتماعي ، أو أهميتها الفردية ، وتشير هذه الطريقة إلى أهمية إتاحة الفرصة لهم للمناقشة الجادة البناءة التي تحلل أبعاد الموضوع المطروح ، وتلقي الضوء على جوانبه المختلفة (مرسي،١٩٨٧) ، وهذه الطريقة أحد أهم الطرق التي أشار إليها الإمام ابن عبد البر مشترطاً فيها العديد من الشروط وأهمها عدم جواز المجادلة والمناقشة في أمور محددة كالقرآن وغيره ؛ وذلك لأن هنا جانباً من العلوم لا يستطيع العقل التفكر فيه ، ومنها العلوم الدينية الغيبية والتي يقصر العقل فيها عن الفهم والإدراك ، وهذا اللون من المعارف موجود حتى في العلوم التجريبية والكون من حولنا مليء بهذه الظواهر ، ومن أمثلتها الموجات الصوتية التي لا نراها ولا نحسها، ولكننا لا نستطيع إنكارها (مرسي، ١٩٨٧).

وإذا كانت هذه الطريقة من الطرق التي أشار إليها الإمام كما غيره من مفكري الإسلام، فإن الحوار والمناقشة أحد أهم أساليب التعليم الصفي في وقتنا الحاضر تقوم على أساس الحوار والنقاش بالأسئلة للوصول إلى حقيقة من الحقائق لا تحتمل الشك أو النقد أو الجدال . وقد كانت هذه الطريقة تقوم على محاور ثلاث : اليقين الذي لا أساس له من الصحة ومهمته هنا إظهار جهل من يحاوره ، والمرحلة الثانية مرحلة جعل المتعلم في مرحلة من الشك تجعله حائراً متردداً ، والمرحلة الثالثة مرحلة اليقين التي تقوم على أساس الإدراك العقلي لا على أساس التصديق الساذج (الشيباني، ١٩٨٥) ، كما أن لها فضل كبير في ترقية التفكير ، وتنمية العقل وتوسيع الآفاق وعلى شحذ الذهن وتقوية الحجة والتمرن على سرعة البديهة والتعبير والثقة بالنفس والقدرة على الارتجال بل أن كثيراً من العلوم الإسلامية تدين بالولاء في نموها وتطورها وازدهارها لهذه الطريقة (الشيباني، ١٩٨٥) .

وبنظرة مقارنة بين أساليب التدريس وطرق تحصيل العلوم عند الإمام والأساليب المستخدمة في الوقت الحاضر نستطيع القول أن هناك من الأساليب والطرائق التي لا يمكن الاستغناء عنها في الوقت الحاضر ، ومنها طرائق الحفظ والتلقين كون مناهج التعليم لا بد وأن تتضمن تحفيظ القرآن والسنة وحفظ الأشعار والأمثال والحكم وغيرها ، كذلك فإن بعض هذه الطرق والتي عرفتها التربية الإسلامية قديماً لا زالت ملائمة حتى يومنا هذا لأثرها الهام في استدامة العلم ومنها أثرها وقدرتها على شحذ العقول كأسلوب التعلم بالعمل والتساؤل وطرح المسألة على المتعلم وغيرها ، وأيا كان الأمر يمكن الاستفادة من التربية التي طرحها الإمام في مجال أساليب تحصيل العلوم في الوقت الحاضر بما يلي :

- ضرورة ارتباط الطريقة بالفكر الإسلامي بحيث تختلف الطريقة المختارة باختلاف أغراض التعليم ، وباختلاف العلوم والمواد الأساسية ، وترتبط بمراحل النمو عند المتعلمين جسمياً ، ومستوى نضجهم العقلي والعاطفي والاجتماعي ، فالطريقة المستخدمة للحفظ غير الطريقة المستخدمة للفهم أو تلك المتعلقة بتنمية المثل والاتجاهات وغيرها .

- ضرورة الاهتمام بالأساليب التي تنمي العقل وتعود المتعلمين على التفكير والمقارنة والموازنة بين الجزئيات واستنباط الأحكام والقواعد العامة من الجزئيات .

- الاستفادة من الطرائق التي طرحها الإمام والتي استمدها من أسلوب القرآن الكريم ، وخاصة أسلوب الحوار والمناظرة والمناقشة وأسلوب القصة وغيرها .

- الاهتمام باختيار الطريقة التي تنمي القيم الاجتماعية والخلقية والتي تعتمد أساساً على توجيه السلوك وتعديله للتخلص من المشكلات النفسية والسلوكية التي يواجهها المتعلم في وقتنا الحاضر .

- ضرورة مراعاة الطريقة لطبيعة المنهج بشكل عام وأهداف الدرس بشكل خاص ، كذلك مناقشتها لمستوى المتعلمين وحاجاتهم وإمكاناتهم ، وكذلك الإمكانات المتوافرة من وسائل وإمكانات وغيرها (الكيلاني، ١٩٩٥) .

- ضرورة اقتران الطريقة بالجانب النظري وبالجانب العملي في الطريقة فالتربية على أساس ما طرحه الإمام تعني بالمبادئ والممارسات ، وطريقة التدريس في نظره يجب أن تقترن بهذين الأمرين .

ثامنا - إطار مبادئ التعليم

أشار الإمام ابن عبد البر – كما فصلنا سابقاً – إلى عدد من المبادئ المستندة إلى الفكر الإسلامي والتي ينبغي أن تقوم عليها العملية التعليمية في نظره ، وفي هذا الإطار سيتم تناول هذه المبادئ ومقارنتها بمثيلاتها في الفكر المعاصر ، ومن هذه المبادئ :

١. التعليم فريضة على كل قادر :

اهتم المفكرون المسلمون بتعميم التعليم ونشره ، وقد التقى أغلب المفكرين المسلمين على هذا المبدأ مشيرين إلى أن طلب العلم وتحصيله واجب على كل قادر ، وأن هناك جانباً من العلوم يلزم الجميع فرضها وتعلمها ، فالإسلام جعل العلم فريضة على كل مسلم وأصبح حق الناشئة في التعليم واجبا دينياً لا مجال للتهرب منه (الغزالي،١٩٩٦) ، وفيه معنى الإلزام الذي يجعل الآباء ملزمين بإرسال أبنائهم أو من يعولون لتلقي التعليم سواء لفترة محدودة أو الاستمرار فيه ، يرى القابسي ضرورة تعليم كافة أبناء المسلمين ذكوراً وإناثاً وبمختلف طبقاتهم الاجتماعية (عبد العال، ١٩٩٧) . ويرى الماوردي تحقق نتائج خيرة على الفرد والمجتمع إذا ما أقبلوا على التعليم . والغزالي يراه فرضاً وواجباً (الغزالي، ١٩٩٦) . وهو جهاد حاله حال من يجاهد دفاعاً عن أمته ؛ لأن التعلم دفاع عن العقيدة والدين (النحلاوي ،١٩٩١) .

لقد فصل الإمام في غير موضع من كتبه ومصنفاته حول فريضة التعلم منطلقاً بذلك من أهمية تعميم التعليم على كل أفراد المجتمع في الدنيا والآخرة من خلال فهمه للخطاب القرآني والسنة النبوية اللذين دعيا في غير موضع إلى فريضة ذلك ووجوبه على الناس ، وقد سبق الإشارة إلى العديد منها والتي أكدت ذلك في أكثر من موضع في هذه الدراسة . لقد اعتبر الإمام طلب العلم عبادة من العبادات وهو واجب ألزم الله تعالى به كافة الناس ، جعل سعيهم له طاعة وكسباً لمرضاته . ويترتب على ذلك في نظر الإمام الخير الكثير لكل من امتثل لذلك ، وعليه فقد ترتب على كافة الناس أخذ قسط من العلم أطلق عليه في معرض حديثه عن وجوب طلب

العام – ما يلزم الجميع فرضه - وعليهم السعي لتحصيله بشتى الطرق والوسائل ، ومن خلال مؤسسات التعليم المختلفة ، معتبراً أن ذلك فرض وواجب .

وفريضة التعليم يقابلها في الفكر المعاصر الإلزام في التعليم والذي أشارت إليه أصحاب الفلسفات التربوية المعاصرة حيث رأت ضرورة تطبيق هذا المبدأ الذي يلزم الدول بضرورة توفير فرص تعليمه لكل من هو في سن التعليم ، وهذا الإلزام من المفاهيم التي أظهرت في الوقت الحاضر وكانت أثراً من آثار ظهور مفاهيم العدالة والرفاهية الاجتماعية ، وظهور ما سمي بديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص ، وهذه المفاهيم أشير إليها في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي أكد على ضرورة أخذ قسط من التعليم لمن هم في سنه . وألزم الآباء بإرسال أبنائهم إلى مؤسسات التعليم للهدف نفسه ، وقد عملت كافة الدول في وقتنا الحاضر بمفهوم الإلزام للتعليم حيث تتكفل الدول بتوفير الإمكانات التعليمية لكل من هم في سن الإلزام (التل وآخرون، ١٩٩٣) ويشير مفهوم الإلزام إلى حق من حقوق الفرد في أن يكون لـه الحق بتلقي قدر من التعليم يتناسب مع مواهبه وقدراته وحقه في اختيار نوع التعليم الذي يلائم إمكاناته وقدراته ، وعلى المجتمع تمكين الفرد من هذا الحق بوصفه المستفيد من نتائجه(بشور، ١٩ĚĚ)

وبنظرة مقارنة تلتقي أفكار الإمام حول مفهوم الإلزام مع الفكر المعاصر في ضرورة أخذ كافة أفراد المجتمع قسطاً من التعليم الإلزامي في الفكر المعاصر وهذا المبدأ يشير إلى ضرورة قيام الدولة بتوفير فرص متكافئة لتلقي قسط من التعليم المجاني لكل الناس بغض النظر عن أحوالهم الاجتماعية أو عرقهم أو لونهم أو دينهم (مرسي، ١٩٧Ě) ، وأما وجه الخلاف في المفهومين فعائد إلى مصدرهما وغايتهما ، فمصدره عند الإمام القرآن والسنة وهو فرض وواجب وغايته كسب مرضاة ا واستمرار حياة الناس بينما مصدره التشريعات الوضعية وهو حق وغايته تنحصر في الحياة الدنيا لتمكين الفرد من المشاركة في التنمية والإنتاج في الفكر المعاصر .

والواقع أن الفكر المعاصر قد أولى اهتماما كبيرا لتطبيق هذا المبدأ في التعليم ولكن الجهود في الوطن العربي والأهداف التي وضعتها مختلف الدول العربية لم تحقق الغاية المرجوة، ولم تأت بالنتائج المطلوبة ، فأصحاب الجهود المبذولة لم تستطع سد منابع الأمية من خلال تطبيق هذا المبدأ (المنظمة العربية ، ١٩٧٦) ، وتشير الدراسات إلى وجود ما يقارب

"٦٤" مليون أمي في العام ١٩٩٠ أي بنسبة تصل إلى حوالي "٤١%" من مجموع سكان الوطن العربي ، ويبدو أن هذا العدد قد تجاوز هذا الرقم في وقتنا الحاضر ، إضافة إلى أنه إذا ما تم تجاوز التقديرات الكمية إلى التقديرات الكيفية علمنا أن الأزمة هي أزمة نوعية (مكتب اليونسكو، ١٩ĚĚ) ، مما جعل هذه الأزمة تشكل الحقيقة المرة التي يشهد عليها الواقع العربي ، فالأمية في بداية هذا القرن لا زالت تشكل حاجزا قويا أمام الفكر العربي المعاصر على الرغم من الجهود المبذولة في مجال إلزامية التعليم وخاصة في المستويات الأولى بفعل تعذر تعميمه في القرى والبوادي والأرياف الفقيرة (فرجاني، ١٩٩٧) ونتيجة لوجود إهمال كلي وغياب شبه كامل في برامج التربية غير النظامية (حنو ţ، ٢٠٠٠) .

وبنظرة فاحصة يلاحظ أن نظام التعليم ما يزال دون المستوى المطلوب فضلا عن عجزه حتى الآن عن مواجهة التحديات الكثيرة في المجالات المختلفة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ولم ينجح حتى الآن في توفير فرص متكافئة للتعليم وكل ما يلزم لتحقيق الأهداف وخاصة تلك المتعلقة بتعميمه ، مما كان له نتائج بالغة الأثر على مختلف المناحي والاتجاهات ، وخاصة في السلم الاجتماعي (رضا، ٢٠٠٠) ، وانطلاقا من ذلك يمكن الاستفادة من الأفكار التي طرحها الإمام حول مبدأ الإلزام في النواحي التالية :

- تطبيق المفاهيم الخاصة بالعدالة والمساواة والحرية على أرض الواقع وبدرجة واحدة من الجودة لكل الأطفال تمكنهم من تربية أساسية وتؤهلهم لممارسة واجباتهم الدينية والدنيوية ، وتجعلهم مواطنين معززين بالعلم والمعرفة قادرين على الإسهام الفعال والتنمية والإنتاج .

- للتخلص من ظاهرة الفقر وسوء توزيع الثروة يقترθ الباحث تطبيق أحكام النظام المالي في الإسلام ، وعلى رأسها أحكام الزكاة ، وجعلها إلزاما على كل الناس المطالبين بها من خلال سن القوانين والتشريعات الملزمة ، وبذلك تزول ظاهرة الفقر التي تعد أحد أبرز الأسباب المؤدية إلى الجهل والانقطاع عن التعليم .

- الاستفادة من الطرق والوسائل والإجراءات التي استخدمها الإمام كما غيره من المفكرين المسلمين في نشر العلم والتفرƷ لـه عبر توفير كوادر مدربة قادرة على القيام بذلك ، واستغلال كافة المؤسسات لنشر العلم وتقديم التعليم .

- توفير تعليم غير نظامي إضافة إلى التعليم النظامي من خلال تعميم التعليم على كافة المؤسسات الاجتماعية والدينية ووضع برامج للتعليم عن بعد وإنشاء معاهد للتعليم المفتوح في كافة المناطق والاستفادة من التطور التكنولوجي الذي يشهده العصر وخاصة في مجال وسائل الإعلام والتخلص من المفهوم التقليدي المترسخ الذي يعتبر التربية وقفا على المدرسة.

- فتح المؤسسات التعليمية والدينية والاجتماعية أمام الراغبين في التعلم ووضع الحوافز المالية والمكافآت التشجيعية لحثهم على الالتحاق بها من أجل التخلص من ظاهرة الأمية ، وتعميم التعليم على كافة المناطق وتحقيق العدالة في ذلك .

- جعل المتعلم محور العملية التعليمية وذلك بتمكينه من المعارف والمهارات التي تساعده على تحصين شخصيته وهويته الثقافية وتمكينه من التعامل مع روح العصر لاستيعاب مبتكرات وتقنياته الحديثة .

٢. الحرية في التعليم :

الحرية مبدأ هام من مبادئ الإسلام في مختلف المجالات ، وقد تجسد ذلك على أرض الواقع ممن خلال العمل بالتوجيهات والأحكام التي قررتها شريعة الإسلام ، وهذه الحرية مكفولة للفرد في كافة الأمور والمجالات ، والفكر الإسلامي يرى في هذه الحرية فرضا وواجبا لا يجوز التخلي عنه ويترتب عليه المساءلة والجزاء وإذا تم التخلي عنه بإرادته (عمارة،١٩٩٢) ، وكان التعلم أحد المجالات التي تجسد فيها مفهوم الحرية واقعا وسلوكا ، فقد كانت مراكز التعليم وأبواب المساجد مشرعة تستقبل كافة الراغبين في العلم دون تمييز بينهم على أساس اللون أو العرق أو الغنى أو الفقر ، فقد كان هذا التعليم متاحا للجميع لم يقتصر على لون أو جنس أو عمر واحد ، بل شمل كافة الناس ذكورا وإناثا ، وصغارا كبارا حتى توافرت لديهم الرغبة في ذلك (الأبراشي،١٩Ĕ٦) . وقد كان تلقي العلم وفرصه متاحة لكل المتعلمين حيث كانوا يرتادون الحلقة التي يريدون ، ثم يجلسون عقب استئذانهم من الشيخ يجلسون ، وكانت تتاح لهم فرصة المناقشة والتنقل من الحلقات لمتابعة الدراسة سواء في نفس العلم أو الانتقال إلى علم آخر ، بل كانوا يرتحلون ويسافرون من أجل ذلك (Tarawneu,1987) (Makdisi,1981)

والسيرة الذاتية للإمام وتوجيهاته التي طرحها في ثنايا كتبه ومؤلفاته أشارت بوضوح إلى هذا المبدأ وأكدت عليه ، فكان الإمام يتنقل على عدد كبير من شيوخه ويرتاد حلقات الدرس المتنوعة في علومها ، وهذا واقع معاش في عصره ، فقد كان المتعلم يختار نوع التعليم الذي يريده كذلك فإن الرحلة في طلب العلم وحرية التنقل من بلد إلى آخر ، وحرية النقاش التي أشار إليها في مؤلفاته ، وفرت الأرضية الصلبة لتجسيد هذا المبدأ والحرية في التعليم التي أكد عليها الإمام أكدتها الفلسفات المعاصرة فالبراجماتية ترى ضرورة إعطاء المتعلم الحرية في اختيار ما يريد من برامج تعلمية تناسب قدراته وأهدافه ، والأهداف الحقيقية في نظرهم هي التي يحددها المتعلم بنفسه أو يشارك بتحديدها في ضوء خبراته وحاجاته ، يرى جون ديوي مثلا ضرورة منح المتعلم حرية الحركة والنشاط الخارجي ؛ لأن الطاعة والهدوء في نظره والأفكار التي يتم فرضها من الخارج تحولان بين المتعلم وقدرته على التعبير عن حاجاته (القضاة، ١٩٩٤) .

وربط الإمام مبدأ الحرية في التعليم بمبادئ الإسلام المرتبطة بالمنهج الرباني المستمد من شريعة الإسلام التي تؤكد على حرية الفرد في اختيرا النهج الذي يريد (البياتي، ٢٠٠٢) ، وهذه الحرية التي كفلت للفرد اختيار طريقه بنفسه جعلت الفرد قادرا على اختيار لون المعرفة التي تلائم هذه الحرية .

والحرية في التعليم في الفكر المعاصر من المبادئ الهامة التي ظهرت بظهور مفاهيم العدالة والديمقراطية وهو مبدأ قائم على أساس توفير برامج تعلمية متعددة يتمكن المتعلم معها من الاختيار بما يناسب قدراته واستعداداته ميوله ، وهو ما أطلق عليه في الفكر المعاصر " تكافؤ الفرص التعلمية والذي يشير إلى ضرورة إتاحة الفرصة لكافة الأفراد على قدم المساواة ولكنها مساواة غير تامة فالأفراد يختلفون في القدرات والاستعدادات ".

وبنظرة مقارنة نلاحظ أن الحرية في التعليم التي أشار إليها الإمام تتشابه مع الفكر المعاصر ، وتختلف معه فالمتعلم في نظرهما حر في اختيرا منهجية بما يناسب قدراته وميوله وهي مرتبطة بمفاهيم العدالة والمساواة ارتباطا مباشرا ، وهي مكفولة لكافة الناس بغض النظر عن الجنس واللون والدين وحرية النقاش والحوار مكفولة للمتعلمين لإبداء آرائهم وتصوراتهم ، بينما تختلف الحرية عند الإمام ، فهي مرتبطة بضوابط محددة وليست مطلقة كما هي في الفكر

المعاصر ، مصدرها القرآن والسنة عند الإمام ، وهي ليست من فكر الإنسان كما هي في التربية المعاصرة .

Ď. مبدأ اقتران العلم بالعمل والنظرية بالتطبيق :

أكد الإمام ابن عبد البر على هذا المبدأ وأفرد له في مؤلفاته ومصنفاته – كما أشرنا - أبوابا رأى فيها ضرورة اقتران علم المتعلم بعمله ، وضرورة المزج بين النظرية والتطبيق معتبرا أن العمل بالعلم فريضة ، فالعالم ينبغي أن يكون عاملا بعلمه مشيرا إلى الآثار والنتائج التي يحدثها الالتزام بهذا المبدأ ، إضافة إلى أنه قد عدم موافقة العمل للعلم كبيرة من الكبائر سيحاسب عليها الفرد ملخصا العلاقة بينهما بقوله " كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليحدث به ، ولا يطلبه ليعمل به " (ابن عبد البر ، ١٩٩٦) .كما أكد الفكر الإسلامي على ضرورة ارتباط العلم بالعمل ، بحيث يصبح العلم وسيلة والعمل غاية ، ويصبح العلم بالدين يحقق هدفا غائيا ساميا ، وهو عبودية الإنسان تعالى(الدغشي ، ٢٠٠٢) .

كما أن التربية المعاصرة قد أولت هذا المبدأ اهتماما كبيرا فقد ركزت الأهداف التعليمية في مختلف مراحل التعليم على ضرورة تمثل المتعلم للقيم والاتجاهات العلمية والاجتماعية بصورة وظيفية ، بحيث يظهر أثر التعلم على شخصيته وتصرفاته(القضاة،١٩٩Ĕ) ، ويرى رواد الفلسفة البراغماتية أن التعليم يجب أن يكون إعداد المتعلم اجتماعيا ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال تمثل المعرفة النظرية واقعا وسلوكا ، يرى ديوي أن الهدف التربوي يجب أن يقوم على نشاط المتعلم الداخلي وإمكاناته ترجمة هذا الهدف إلى خبرات وأعمال تساعد المتعلم على تنقيح مواهبه واستعداداته وميوله (القضاة،١٩٩Ĕ) ، وتركز طرق التدريس على مبدأ التعلم بالعمل عندهم ، فالأفكار تنشأ من خلال العمل وتتطور من أجل سيطرة أفضل على العمل ، أما استخدام الرموز والمفاهيم دون الاستناد إلى العمل فيكون أفكارا فارغة (الرشدان، ١٩٩٤) ، يعتمد كليباترك صاحب طريقة المشروع على مبدأ النشاط الذاتي للمتعلم والتعلم عن طريق العمل ، فالمتعلم يتعلم عن طريق الخبرة الشخصية والمعاناة والمشاركة ، وهو مبدأ يبحث وينقب ويكشف ويجرب ويختبر ويستنتج ويعي؛ التجربة ويتعلم ما يعيشه ويحياه (عبد الدايم، ١٩Ĕ٤) والتربية المعاصرة تشجع التلاميذ على اختيار الأعمال النافعة والمفيدة والمحببة لديهم ، وترى في ذلك وسيلة لنمو الشعور بالمسؤولية لديهم ، وتتطلب التربية الحديثة أيضا قيام المدرسة بدور وظيفي فالكل فيها يعمل على تحقيق الأهداف التي وضعوها وبمساعدة المعلمين

كل فرد فيها مشغول ، وكل واحد يراقب إنجازاته (الجمالي، ١٩٧٧) ، وتطمح التربية في القرن العشرين على تكوين الإنسان المتكامل من كافة الجوانب فهي تسعى لإعداده إعدادا شاملا ومن هنا فهي معنية بتكوين الجسم والفكر والخلق كما أنها توجه اهتماما خاصا للعمل ، فالإنسان لا يكون كاملا إلا إذا عرف كيف يستخدم يده (عبد الدايم، ١٩Ĕ٤) . يرى رواد الفلسفة البراغماتية أن واجب المدرسة كمؤسسة تربوية أن تستخدم مواقف الحياة في العملية التربوية ، لهذا يؤمن هؤلاء بمبدأ التعلم بواسطة العمل (Learning by doing) ، وأن الخطة التعليمية يجب أن يشارك في وضعها كل من لهم صلة بالعملية التربوية انطلاقا من المبدأ الديمقراطي في اتخاذ القرارات (ناصر،١٩٩٠) . كما يعتمد (كليباترك) صاحب طريقة المشروع مبدأ النشاط الذاتي والتعلم عن طريق العمل ، فالمتعلم يتعلم عن طريق الخبرة الشخصية والمعاناة والمشاركة ، وهو مبدأ يبحث وينقب ويكشف ويختبر ويجرب ويستنتج ، ويعيţ التجربة ويتعلم ما يعيشه ويحياه (الوحيدي ، ١٩٩٠) .

وأما أوجه الاستفادة من أفكار الإمام في هذا المجال فيتمثل بما يلي :

- اتخاذ أفكار الإمام ابن عبد البر قدوة للمعلمين في استخدام الوسائل اللازمة لربط العلم بالعمل ، وجعل الأبعاد العلمية والمعرفية تطبيقية قابلة للترجمة على شكل سلوك .
- توظيف التقنيات والوسائل التكنولوجية على شكل أدوات يستخدمها المعلم والمتعلم لتطبيق النظريات والأفكار والمعارف .
- المزاوجة في أساليب التدريس بين الجانبين النظري والعملي التطبيقي بحيث يتعمق مفهوم العمل ومفهوم التعلم بالعمل .
- التأكيد على مصممي المناهج التعليمية المقدمة للناشئة بحيث تكون مناهج تطبيقية عملية أكثر من كونها مناهج نظرية .

المنطلقات العامة

مما سبق يمكن اقتراح مجموعة كبيرة من المحاور العامة والتي تم استخلاصها من الأفكار التي طرحها الإمام ابن عبد البر في المجال التربوي والتي يمكن ترجمتها إلى مجالات عامة للتجديد وجعلها موجهات عامة للتغيير والمعاصرة وهي كما يلي :

أولا: المنطلقات العامة لنظام التعليم :

١. الانطلاق من نظرة الإسلام إلى الحياة والكون والإنسان المبنية على وحدة الخالق وحاجة المخلوقات إليه ، فالكون والحياة في خدمة الإنسان ، والإنسان عابد ، وهذه النظرة الفلسفية ينبغي أن تصاغ في إطارها كل المعارف المقدمة للمتعلم :" فتسير وفق هذه النظرة مرسومة في إطار التصور الإسلامي باتجاه يجدد ويعزز الإيمان با ، ويرسخ في عقول الطلاب ونفوسهم معارف ومهارات واتجاهات تكشف عن طبيعة العلوم وطرائق البحث فيها بصورة متناسقة ومتناغمة بدون تناقض وتصارع بينها "(الفرحان، ١٩٩٩) .

٢. الانطلاق من حاجة المجتمع إلى نظام محكم وهادف متوازن يحقق فيه الإنسان مبدأ الخلافة المنوطة به ، وهذا المجتمع يتطور ويتغير وفق سنن الكون ونواحيه ، والنظام التربوي والتعليمي ينبغي أن يتجدد مع حاجات المجتمع إلى الطاقة الفاعلة :" حيث تلبي مناهج التربية والتعليم الحاجات الاجتماعية القائمة والمنتظرة للبيئة المحلية والبنية العامة والمجتمع الإنساني على وجه العموم ، بصورة تنسجم مع النظام الاجتماعي للأمة ونظام القيم فيها ، وعدد من العوامل الأخرى كالبيئة الطبيعية والسكانية ومدى التقدم التكنولوجي " (الفرحان،١٩٩٩) .

٣. الانطلاق من حاجات المتعلم الذي هو محور العملية التعليمية ، نقصد بذلك على وجه التفصيل حاجاته النفسية والوجدانية والمعرفية والاجتماعية في تناغم مع مراحل نموه انطلاقا من التصور الإسلامي للإنسان أولا ، ثم ما ينسجم مع هذا التصور من أحدث النظريات التربوية في علم النفس ، ويكون الهدف من ذلك تقويم قدرات هذا المتعلم على تمثيل القيم الإسلامية الموجهة نحو إطار الفلسفة العامة للتصور الإسلامي .

٤. الانطلاق المعرفي من الأساس المبني على التصور الإسلامي الداعي لطلب العلم والتوسع فيه، بمختلف السبل والطرق والوسائل ، واحترام قواعد الحوار والاختلاف ، والتمكن من

أساليب النقد والاستفادة من كل ذلك في تعزيز القيم الإسلامية وترسيخها في نفوس الناشئة والمجتمعات .

ثانيا: المنطلقات العامة للفكر التربوي

١. الانتقال بالفكر التربوي العربي من مرحلة المبادرات التربوية الفردية التي يعكسها الواقع الحالي إلى مرحلة العمل التربوي الجماعي بحيث يشارك فيه أغلب أفراد المجتمع العربي والإسلامي ، ويكون هذا العمل محكوما بالسياق الاجتماعي والثقافي ويؤطره مناخ تربوي وتعليمي يتواصل فيه الناس بسهولة ويتجهون نحو الابتكار والإنتاج .

٢. توخي تحقيق التقدم في المجال التربوي من خلال العمل على تحديثه ليصبح قادرا على استيعاب الثورة العلمية ومنطقها الابتكاري ومنجزاتها التكنولوجية ، دون التفريط بالجوانب المشرقة في تراثنا الأصيل وهذا يتطلب قيام حركة فاعلة لتحديث العمل التربوي مع ربطه بالموروث الثقافي ، وبذلك يتحقق لهذا الفكر منطق الأصالة والمعاصرة .

٣. توفير فرص متكافئة وحد أدنى من التعليم لكل أفراد المجتمع وبدرجة واحدة من الجودة ، وذلك للتخلص من مشكلة الجهل والأمية والتي تعتبر من أهم المعيقات أمام فكرنا الإسلامي المعاصر للانطلاق والعمل على تزويد الناشئة بتربية أساسية تؤهلهم لممارسة واجباتهم الدينية والدنيوية ، وتجعل منهم مواطنين مقربين بالعمل والمعرفة .

٤. إعداد برامج تدريبية لكل القائمين على النظام التعليمي بحيث يكون متواصلا وتستخدم فيه طرائق وأساليب التربية الحديثة لتنمية مهاراتهم الخلاقة القادرة على النهوض في مسيرة الإنتاج العلمي والتكنولوجي .

٥. العمل على تغيير الذهنية العربية من ذهنية مستهلكة للمنجزات العلمية والتكنولوجية إلى ذهنية منتجة لهذه التكنولوجيا من خلال جعلها أكثر نجاعة وتحفيزا على المبادرة والابتكار وأكثر قدرة على إنتاج المعرفة والوعي بأهمية الثورة التكنولوجية بمختلف مظاهره المعلوماتية والتواصلية .

ولتحقيق كل ذلك لا بد من تعريف واسع وشامل بالفكر التربوي العربي والإسلامي المعاصر من خلال إبراز دور هذا الفكر على مختلف الصعد وتوفير مضامينه ومعطياته للباحثين والمفكرين والمؤسسات ومراكز البحث محليا وعالميا وإقامة مواقع متعددة على شبكة المعلومات الدولية .

الفصل السادس
الاستنتاجات والتوصيات

أولاً : استنتاجات الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأفكار التربوية عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي للكشف عن إسهاماته في الفكر التربوي من خلال استعراض سيرته والبحث في المتوافر من مؤلفاته ومصنفاته ، وقد عمل الباحث على استخراج أفكاره التربوية المتعلقة بالعلم والعلوم وسائل وأساليب تحصيلها وأهدافها والمبادئ التربوية التي يراها ضرورية لقيام التربية العربية والإسلامية والوقوف على صورة الأهداف والعلاقات التربوية بين أطراف العلمية التعليمية / التعلمية وأخيراً مناقشة هذه الأفكار في ضوء علاقتها بالتربية الإسلامية من جهة والتربية المعاصرة من جهة أخرى وفيما يلي أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة والتي ستعرض مرتبة حسب أسئلة الدراسة :

السؤال الأول : ما أثر الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي ؟

١ – شكل الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس في عصره سبباً مباشراً لقيام فكر تربوي مميز ، فقد كانت الأوضاع السياسية المستقرة دعامة أساسية للنمو الحضاري والتطور العلمي، كما أن اهتمام الحكام بالعلم والعلماء أعطى دفعة قوية للعلماء في البحث في مختلف العلوم وشتى التخصصات ، وكان للعلماء والمفكرين دور هام في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وعليهم يقع واجب تحريك نزعة الإصلاح وبث روح اليقظة وهذا ما ظهر واضحاً في أفكاره التربوية التي دعت المتعلمين خاصة و الناس عامة للعمل الجاد والمشاركة الفاعلة في معالجة الأوضاع والتفكير في الحلول الممكنة .

٢ – ساعد الوضع القائم بعد انتهاء خلافة بني أمية وانقسام الدولة إلى دويلات على ازدهار الفكر التربوي نتيجة للمشكلات الناجمة عن ذلك ، فالمفكرون التربويون يفكرون في المشكلات في ضوء زمانها ومكانها والضغوط المحيطة بها ، لذلك كان للإمام دور كبير في التوعية السياسية للعمل على إعادة الأوضاع القائمة إلى ما كانت عليه أو التخفيف من آثارها .

٣ – كان لبناء المساجد و المدارس وظهور المكتبات ومراكز التعليم وتوافر الفرص التعليمية الأثر الكبير على إقبال كافة الأندلسيين على التعلم ، مما أدى إلى قيام حركة تربوية ونهضة علمية ، كان من نتائجها تطور كبير في الفكر التربوي وبروز عدد كبير من العلماء الأفذاذ في شتى التخصصات .

٤ – كان لترابط المجتمع الأندلسي وتماسك طبقاته وتطبيق مفاهيم المساواة والعدالة والإخاء والتعاون تطبيقاً واقعياً الأثر الكبير في التطور العلمي وقيام نهضة شاملة في مختلف مناحي الحياة أدت إلى إحداث التغيير الهائل في مختلف المجالات وخاصة في مجال العلم والعلماء .

السؤال الثاني : ما المنطلقات الفكرية التي بنى عليها الإمام ابن عبد البر أفكاره التربوية ؟

١ – أظهرت الدراسة استناد الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر الأندلسي إلى الفكر التربوي الإسلامي وتصوراته المختلفة ، وهذا التصور هو تصور فريد للكون والإنسان والحياة تميز بالشمول والإيجابية والواقعية والتوازن ، فقد اعتبر الإسلام الإنسان مميزاً عن باقي المخلوقات في الخلق وله مكانة سامية وعالية ولم يخلق عبثاً وإنما كان لخلقه مهمة عظيمة تمثلت في خلافة الأرض وعمارتها . وهي رسالة واضحة تحددت أهدافها التربوية بوضوح، إضافة إلى أهمية الكون في حياته ودور التربية الكونية في إعداده إعداداً ملائماً للتعامل معه بهدف تحقيق هذه الغاية ، ثم تصوراته الواقعية حول طبيعة المعرفة وأهمية القيم والأخلاق في الحياة الإنسانية .

٢ – إن تميز الإنسان بالخلق يدل دلالة واضحة على عظمة الله سبحانه وتعالى وكمال قدرته، لذلك رأى الإمام ضرورة تربية الفرد تربية إيمانية عمادها عبادة الله التي هي وسيلة شكره على ذلك ، كما كان للإمام فضل السبق في فهم الفروق الفردية فأكد على ضرورة مراعاتها على كافة المستويات المتعلقة بالعملية التربوية سواءً على مستوى الأهداف أو المحتوى وغير ذلك فطالب المعلمين بتنويع طرائقهم ووسائلهم وأنشطتهم لمراعاة تلك الفروق .

٣ – يقدم التصور الإسلامي للكون على اعتباره دليلاً قاطعاً على وجود الله وعظمته ، فعناصره وشواهده المختلفة دلائل قاطعة على ذلك ، لذلك دعا الإمام إلى ضرورة تربية الفرد تربية كونية تمكنه من التعامل مع هذا الكون والنظر في شواهده وآياته لأنه في نظره دلائل حية على وجود الله ووسيلة ذلك في نظره العلم .

٤ – أصالة القيم الإسلامية وتميزها وقدرتها على تحقيق السعادة وصلاحيتها لكل زمان ومكان جعلت الإمام يرى ضرورة تربية الأفراد على التمسك بها وحملها إلى الآخرين فهي بنظره ضوابط للفرد ، كما أنها قيم متميزة تحقق للفرد والمجتمع السعادة في الدارين لكونها مستمدة من العقيدة .

٥ – يقوم التصور الإسلامي للمعرفة على عدم جواز الركون إلى الظن وضرورة البحث عن المعرفة اليقينية ورفض الأهواء والبدع ، لذلك ركز الإمام ابن عبد البر على ضرورة العمل

بناءاً على ذلك ، فهو يرفض كل معرفة قائمة على الغ ţ ، ويرفض التقليد والاتباع ، وكل علـم قائم على الرأي ، ولذلك دعا لتربية الناشئة تربية تقوم على الأصالة والتميز والاتقان والدقة .

السؤال الثالث : ما طبيعة العلوم وأقسامها وأهدافها في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي ؟.

١ – نشر المعرفة وعدم جواز كتمانها ، وضرورة العمل بها وربطها بالأهداف والغايات مـنهج أخذ به الإمام وسعى لتحقيقه داعياً العلماء والمعلمين إلى ضرورة العمل بناءً على ذلك من خلال حثهم على نشر العلم ووجوب طلبه والبعد عن التقليد والظن .

٢ – ركّز الإمام على ضرورة شمول أهداف التربية والتعليم مجالات التربية المختلفـة سـواءً الدينية أو الثقافية أو العقلية أو الاجتماعية أو السياسية ، ورأى أن هذه الأهداف يجب أن تعمـل على تنمية الإيمان با والخوف والخشية من ا والسعي لإرضائه سبيلاً للوصول لتربية قائمـة على الشمول والتميز مستندة إلى العقل ، داعية للتفكير الحر الذي لا يقبـل الخرافـة أو البـدع وصولاً إلى الفرد الصالح والمجتمع المتماسك ، لذلك خلّف الإمام تراثاً ضخماً في مختلف العلوم وترك أفكاراً نيّرة في مختلف التخصصات .

٣ – جاءت أهداف الإمام واضحة في الاهتمام بالعلم وضرورة شموله لعلوم الدين التي تحقـق بنظره السعادة للفرد والقدرة على الاستمرار للوصول إلى غايته التي من أجلها خلقه ا وهـي تحقيق العبودية وعمارة الأرض.

٤ – أنكر على علماء عصره ممارساتهم الخاطئة في مجال العلم والعدم منتقداً تصرفات أولئـك الذين لا يستطيعون التمييز بين الغث والسمين والساعين للكثرة على حساب الفهم والتدبر .

٥ – رفض الإمام آراء مختلف الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصره منكراً عليهم تعصـبهم لمذاهبهم وآرائهم معتبراً أنهم أهل بدع وهوى وضلالة رافضاً قبول آرائهم وداعيـاً إلـى عـدم جواز الأخذ عنهم .

٦ – ركز الإمام على ضرورة الانفتاθ على ثقافات وعلوم الأمم الأخرى والاطلاع علـى مـا لديهم من تجارب وعلوم ومعارف للأخذ عنهم ما يفيد الأمة مشترطاً مناسبة ذلك لثقافـة الأمـة ودعا إلى ضرورة عدم الانغلاق على الذات لما في ذلك من آثار سلبية على الفرد والمجتمـع ، كما رفض في الوقت نفسه التجمد عند آراء السلف لأنه يرى أن العلوم تتطور من فتـرة إلـى أخرى وتبرز حاجات جديدة ، وأن التجمد عند آراء السلف يوفر الأرضـية الملائمـة لتوقـف التطور والتغيير الإيجابي والتحديث اللازم .

٧ – ركز الإمام على أهمية نشر التعليم وتعميمه على كافة الناس مطالباً الناس جميعاً بضرورة تلقي قدر من العلوم رأى أنها لازمة لهم لاستمرار حياتهم ومنها تعلم احكام الـدين ، وخاصـة العبادات والمعاملات مؤكداً في الوقت نفسه على ضرورة قيام بعض الناس بتعلم العلوم الدينيـة التي يرى فيها ضرورة هامة لهم لتوفير استمرارية الحيـاة كـتعلم الطـب والهندسـة والفلـك والرياضيات وغيرها .

٨ – يرى الإمام أن المنهج الدراسي المقدم للناشئة هام وركن أساسي في عملية التعليم والـتعلم، ويشترط فيه المرونة والقدرة على استيعاب كافة المستجدات وأن يكون مقسماً إلى أقسام مناسـبة حتى يسهل فهمه ، وأن يكون مشوقاً حتى لا يصاب المتعلم بالملل ويرى أن المعلم هو من يقوم بتحديد أهدافه ومحتواه وأساليب تنفيذه وتقوميه ، وهو من يقوم باختيار نوعية المتعلمين القادرين على بلوغه وكأنه يشير إلى ضرورة مشاركة كافة الأطراف ممن لهم علاقة بالعملية التعلمية في وصفه ، فهو يرى أن الأفراد غير متساوين في حقوق العلم والتعلم تساوياً مطلقاً لأنهـم أصـلاً غير متساوين في تقبله والحرص عليه .

٩ – حدد الإمام مجموعة من الطرائق والأساليب التي يمكن استخدامها لتحصيل العلم والمعرفة من قبل المعلم والمتعلم ، وقد أشار إلى نوعين من هذه الطرق والأساليب ، أطلق علـى النـوع الأول طرق التحمل وصيغ الأداء ، رأى فيها طرقاً ملائمة لتحصيل جانب من العلوم المشهورة في عصره وخاصة علوم القرآن وعلم الحديث والدراسات الفقهية ، كما أشار على نوع آخر من الطرق لا زالت مستخدمة في وقتنا الحاضر مشترطاً فيها مناسبتها لمستوى المتعلمين وقـدرتها على توفير قدر من الحرية لإتاحة الفرصة لهم للتساؤل والمناقشة والحوار من أجل الوصول إلى أدق التفاصيل الخاصة بموضوع ما أو الوصول إلى الحقيقة .

١٠ – ركز الإمام في تقسيمه للعلوم حسب أهميتها على ضرورة توخي الدقة العلميـة ، فهـي مهمة جداً في نظره لأن كل معرفة قائمة على الظن والرأي والتقليد هي معرفـة مرفوضـة لا يجوز الأخذ بها ، كما يلاحظ في تقسيمه للعلوم على أساس رأسي نظرته إلى مختلـف العلـوم المهنية نظرة دونية حيث جعلها في المنزلة السفلى ويبدو ذلك ناتجـاً عـن تـأثره بالأوضـاع الاجتماعية القائمة في عصره ، والتي كان للفلسفة اليونانية وتأثيراتها البالغة في مختلف منـاحي الحياة عامة ومنحى العلم والعلوم خاصة .

السؤال الرابع : ما صورة الآداب والعلاقات والمبادئ التربوية في فكر الإمام ابن عبد البر الأندلسي؟

١ – أظهرت الدراسة وجود تداخل بين خصائص طرفي عملية التعليم والتعلم " المعلم والمتعلم" حيث لوحظ أن هناك تشابهاً يكاد يكون تاماً في الصفات النفسية والخلقية وهذا أمر طبيعي حيث أنهما تلازمان في إطار مبادئ الإسلام تعاليمه والفضائل والأخلاق النبيلة التي نادى بها الدين الحنيف . كما يلاحظ تشابه صفاتهما وآدابهما مع صفات وآداب المسلم عموماً لنفس السبب السابق فيما يتعلق بالمعلم من حيث أدواره وصفاته المهنية والتعليمية والتي هي خاصة به كونه عضواً في مهنة التعليم .

٢ – أظهرت الدراسة أن خصائص المعلم والمتعلم التي حددها الإمام ابن عبد البر تتطابق تماماً مع الفكر الإسلامي ، فالخصائص المهنية ترتبط بالخصائص النفسية وتنطلق منها وكذلك فإن الخصائص الإيمانية مهمة للمعلم ولدوره الذي يقوم به فهو الشخص الذي يتوقع منه المجتمع المساعدة في غرس عقيدة الإيمان والمساهمة في عملية التنشئة على قواعده ، فهو الذي يوجه الفرد ويتحكم في السلوك نحو فضائل الأخلاق ويجعل للمعلم شخصية قوية لأنه يستمد قوته هذه من الله سبحانه وتعالى . كما أن هذا الإيمان يجعله دائماً على صلة بالله يستشعر المساءلة والمحاسبة وهي مفهوم تعمل عليه كافة الإدارات في وقتنا الحاضر ، لذلك تجده في ظل هذا الإيمان يعمل بجد ونشاط ليفوز بالأجر والثواب ، كم أن إيمان المعلم بالرسل والكتب السماوية يدفعه للتعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب من متعلمين وغيرهم حسب توجيهات الإسلام القائمة على احترام آرائهم ومعتقداتهم ، كما أن الإيمان بالقضاء والقدر يدفع المعلم والمتعلم إلى العمل الجاد المثمر ، ويكون معطاءً لا مدعاة للكسل لأنه ينطلق من قناعة مفادها أن ذلك قدر من الله يجب عليه العمل وفقه من خلال التوكل على الله في كل الأمور ، فهو طريق الإيمان ومستلزم من مستلزماته يقوم على الدقة والصدق في كافة الأقوال والأفعال ، فيكون بذلك قدوة صالحة في عمله ونفسه سواء أكان معلماً أو متعلماً . لذلك ركز الإمام على دور القدوة الذي يرى فيه حسن الصدق والإخلاص وجميل الصبر وشدة التحمل والجلد والبشاشة واللين والرفق التي عدها الإسلام صدقة من الصدقات ، كما ركز على دور التواضع والتحلي بالعادات والصفات الحسنة لأثرها الهام في توجيه السلوك ورأى أن غياب هذه الصفات والأخلاق يجعله قاصراً عن أداء مهماته .

٣ – فيما يتعلق بالصفات والخصائص العقلية ، أشارت الدراسة إلى أهميتها ودورها في العملية العقلية مؤكداً على أهمية إعداد المعلم من خلال استمراره في تحصيل العلم وعدم التوقف عن ذلك لأثر ذلك في مجمل مراحل العملية التعلمية فالمعلم في نظره يشكل عنصراً هاماً في عملية التفاعل في الحقوق التعليمية ومع زملائه وسائر أفراد المجتمع عند مناقشة المواقف ومواجهة

المشكلات الطارئة ، فهو مطالب بالاستمرار في المطالعة والمذاكرة للحصول على مزيد من المعرفة العلمية والعملية . وهو كذلك مطالب بامتلاك الميول القدرات العقلية والاتجاهات السلمية المتمثلة بالتحرر من سلبية العادات والعواطف والتقاليد وعدم التعصب و التحرر من الرغبات الخاصة والأهواء الذاتية وإدعاء المعرفة فعليه الاستمرار في البحث عن الحقيقة وأن يكون ذلك كله مرتبطاً بإخلاص النية والخشية من ا .

٤ – رأى الإمام ضرورة الإخلاص في القول والعمل ، وخاصة قيام المعلم بتقديم النصح والتوجيه والإرشاد لأولئك الذين ائتمنهم ا عليهم فهم مسؤولية دينية ومسؤولية اجتماعية ، فمن حسن الآداب والخلق وجميل الصنع اعتبار المتعلم بمنزلة الابن للمعلم يحب له الخير ويعمل على رعايتهم وتهذيب أخلاقهم وتوجيه سلوكهم بمقتضى العلم والمعرفة .كما رأى في ذلك ضرورة هامة للمتعلمين فعليهم الإخلاص في القول والعمل سبيلاً للوصول إلى أعلى المراتب العملية ليكونوا علماء المستقبل فهم بنظره أمل الأمة ومعقد رجائها .

٥ – ركز الإمام على ضرورة وأهمية احترام المعلم والمتعلم وذلك لأهمية الدور الذي يقومون به فقد وضعهم ا في منزلة عالية واحلهم مكانة عظيمة عنده وبين الناس واعتبرهم في مرتبة بعد الأنبياء ، كما أنهم بنظره مكرمون برضى ا لسلوكهم طريق العلم كما أنهم مراجع الأمة يعود إليهم الناس في الأمور المتعلقة بحياتهم . كما أشار إلى أهمية التواضع عند المعلم والذي يرى فيه وسيلة هامة لقيام اتصال وتواصل يؤسس لعلاقة متينة بينه وبين المتعلم ، فيكون ذلك التواضع وسيلة لهمم للتقرب منه ويوفر لهم الفرصة لعرض مشكلاتهم عليه ، واتصافه بالحلم يتيح له القدرة والصبر على بطء فهمهم أو ما قد يصدر عنهم من أفكار تافهة .

٦ – ركز الإمام على السمات المهنية التي ينبغي توافرها في المعلم مشيراً إلى أهمية أن يكون صادقاً في قوله وعمله وأن يلتزم السكينة والوقار وأن يكون لديه القدرة على الاتصال والتواصل والبعد عن التقليد والتنزه عن كسب المال وجني المكاسب الدنيوية ، كما اهتم بضرورة معاملة المتعلمين على قدر المساواة وعليه أن يختار لهم من الطرق ما يناسبهم وأن يهيئ لهم الأنشطة الملائمة لقدراتهم وأن يكون صادقاً معهم بحيث يقدم لهم الحقيقة وأن يعمل على تنمية شخصياتهم واستقلالهم الفكري من خلال تدريبهم على الحوار والمناظرة كما ركز على ضرورة تحلي المعلم بعدد من الصفات الخاصة بعمله وعلمه ومنها ضرورة الإلحاح في طلب العلم وعدم جواز كتمانه والابتعاد عن المباهاة فيه وضرورة العمل على صونه والإنصاف فيه وأن يكون أصيلاً في منهجه بعيداً عن التقليد .

٧ – حدّد الإمام مجموعة من الشروط ينبغي توافرها في المعلمين لجواز الأخذ عنهم ومنهـا أن يكون أميناً في عمله واعياً وحاذقاً وماهراً في صناعته يتصف بالخوف والخشية من ا بعيـداً عن الغفلة والاختلاط والتغيير وأن تتوافر فيه شروط العدالة والحفظ والإتقان والفهـم والقـدرة على التدبر ورفض الأهواء وهذه الشروط في نظره تدور ول سلامة الحواس وحسن التصـرف وصلاθ الدين وسلامة العقيدة وهذه الشروط توفرا لدقة في نقل المعرفة .

Ĕ – حدّد الإمام مجموعة من الشروط والقواعد التي ينبغي للمتعلم الالتزام بها في مجال تحصيل المعرفة تدور حول ضرورة الالتزام بآداب الحلقات والمواقف التعلمية ومنها النهي عن المجادلة في أمور محددة كالعقيدة والقرآن والتي يرى فيها سبباً في الاختلاف والانقسام ، كما أشار إلـى النتائج الخطيرة المترتبة على تأويل النصوص لما في ذلك من اتباع للهوى والبعد عن الحق .

٩ – يرى أن علاقة المعلم بالمتعلم علاقة قائمة على الاحترام والتقدير ، علاقة شـراكة بينهمـا قائمة على العدل والمساواة. فالمتعلم يجب أن يحترم المعلم ويعمل على تقديم المساعدة والعـون له ، كما أن على المعلم أن يكون عادلاً في معاملته للمتعلمين ،يعاملهم بالسواسية ، يعطف عليهم ، ويبتعد عن القسوة عليهم ، فهو بنظر الإمام قدوة في مختلف المجالات وخاصة فـي السـعي والمواظبة ولصبر والتحمل في سبيل تحصيل العلم ولاسـتزادة منـه لبلـو3 أعلـى المراتـب والدرجات ، وهو قدوة في أخلاقه وصفاته وطعامه وشرابه ولباسه .

١٠ – قدم الإمام تربية المتعلم على تعليمه ، ظهر ذلك واضحاً من خلا تركيـزه علـى تربيـة الخلق والشروط التي وضعها لكل من المتعلم والمعلم . كما شدد على أهمية قيام علاقات وثيقـة بين المعلمين بعضهم ببعض ورفض كل أشكال الاختلاف والتعصب للرأي رافضاً مـا كـانوا يقومون به من اجتهادات باطلة من أجل خدمة آرائهم والانتصار لها ، ويرى ضرورة أن تتجسد في هذه العلاقة مظاهر القوة والوحدة بينهم وكأنه يشير إلى ضرورة ارتباطهم بعضهم بـبعض للانطلاق بذلك من مفهوم العمل الفريقي.

١٥. السؤال الخامس : ما المبادئ والأسس التربوية المستخلصة من فكر الإمام ابن عبد البر والتي يجب أن تقوم عليها التربية العربية ؟

ركز الإمام ابن عبد البر على عدد من المبادئ والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها التربية ومن ذلك :

- إلزامية التعليم وفرضيته بحيث يلزم كافة الأفراد على تعلم جانب من العلوم لاستمرار حياة الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة .
- استمرارية التعلم ودعوته إلى ضرورة احترام الوقت واستثماره .
- تأكيده على ضرورة مراعاة الفروق الفردية من المتعلمين ومعاملتهم وفق قدراتهم واستعداداتهم .
- تأكيده على أهمية مراعاة التدرج في تحصيل العلوم مشيرا إلى أن العلم ينبغي أخذه بالتدرج لما في ذلك من أهمية كبيرة في توفير الواعية وإبعاد الملل عن نفوس الناشئة .
- طالب الإمام المتعلمين بضرورة صون العلم والمحافظة عليه بنظره بضرورة نقله إلى الأجيال اللاحقة والقادرة على الإفادة منه .

السؤال السادس :بمَ تتفق أفكار الإمام ابن عبد البر مع الفكر التربوي المعاصر وبمَ تختلف عنه ؟

من خلال مقارنة أفكار الإمام التربوية مع الفكر المعاصر لوحظ أن هناك العديد من المفاهيم والمبادئ التي جاء بها الإمام تلتقي مع الفكر المعاصر وتتقارب منه ، ومنها :-

١- الإلزام في التعليم : كان للإمام فضل السبق في الإشارة إلى ضرورة تطبيق مفهوم الإلـزام في التعليم واعتباره حقاً لجميع الناس دون تفرقة على أساس اللون أو العرق أو الـدين منطلقـاً بذلك من مبدأ المساواة التي قررها الإسلام فقد اعتبره بمثابة الفرض وهو واجب ألـزم بـه ا تعالى كل الناس ، وجعل سعيهم له طاعة وكسباً لمرضاته . وفي ذلك أهمية كبيرة على الفرد وكذلك على المجتمع الذي يصبح فيه أفراده منتجين قادرين على القيام بأعباء الخلافة التي هـي الهدف والغاية ، والإلزام في نظره نتيجة من نتائج المساواة التي قررها الإسلام والتـي يصـبح بموجبها إلزام كافة الآباء بإرسال أبنائهم أو من يعيلون على مراكز التعليم ومؤسساته لتلقي قدراً من العلم والمعرفة وبذلك يتحقق مفهوم تكافؤ الفرص على ارض الواقع ويمكن بـذلك التغلـب على مشكلة الأمية التي تعتبر إحدى أهم المعيقات للتنمية والتحديث وانطلاق الفكـر التربـوي المعاصر.

٢ – **التربية المستمرة :** أخذ الإمام بمفهوم التربية المستمرة مستمداً ذلك من المبادئ الهامة في الفكر الإسلامي الذي يرى في التربية المستمرة هدفاً وغاية يجب أن تتجسد في كافة مناحي حياة الفرد ، وكان للإمام فضل السبق في الإشارة إلى هذا المبدأ لاعتبارات مختلفة أهمها في نظره أن المعرفة نامية ومتراكمة ومتغيرة إضافة إلى ضرورة استثمار الوقت بكل ما هو نافع وعدم جواز إضاعته في اللهو والعبث وغيره . كما أن التربية المستمرة تحقق الدعوة القائلة بضرورة الاستمرار و الإلحاح في طلب العلم .

٣ – **مجانية التعليم :** رأى الإمام ضرورة أن يكون العلم متاحاً لكل راغب فيه قادر عليه وحرّم منعه عن غير القادرين على الإنفاق عليه ، وهذا يؤشر على نظرة مستقبلية فالدول في وقتنا الحاضر تقوم بتطبيق هذا المفهوم في مرحلة التعليم الأساسي حيث تعمل كافة الدول على تقديم تعليم مجاني لكل الناس في مرحلة التعليم الأولى .

٤- **الحرية في التعليم :** ركز الإمام على أهمية الحرية في التعليم فأعطى الحق للمتعلم في اختيار ما ينفعه ويناسبه من العلوم شريطة أن تكون هذه العلوم مرتبطة بالقيم الإسلامية ومتوافقة معها . كما أكد على أهمية إعطاء المتعلم الحرية في اختيار معلمه الذي يتلقى عنه علومه ، وأشار إلى أهمية الحرية في مجالس التعليم ، بحيث توفر للمتعلم الفرصة في إبداء رأيه والتعبير عن حاجاته وعرض مشكلاته / كما دعا إلى جوّ علمي يتسم بالحرية متحرر من كافة القيود يتسم بالموضوعية والهدوء . كما أشارت الدراسة إلى ضرورة تجنب الممارسات الخاطئة من قبل العلماء والمعلمين وعلى رأسها الجمود عند آراء السلف والسطحية في العلم والتعصب والإرهاب الفكري الذي يؤدي بنظره إلى الانقسام والفرقة . كما أشارت الدراسة إلى رفض كل الأفكار والآراء القائمة على الاجتهاد والظن وتأويل النصوص والذي كان له نتائج خطيرة أدت إلى ظهور الفرق الكلامية من مرجئة وشيعة وجبرية وخوارج وغيرها قسمت الأمة وأدت إلى حالة من الفرقة والانقسام .

٥ – **التربية الشاملة :**التقى الإمام ابن عبد البر مع التربية المعاصرة بضرورة العمل على تنمية الفرد تنمية شاملة والعمل على تكوينه تكويناً متكاملاً من كافة الجوانب الشخصية والجسمية والعقلية والاجتماعية ، وهدفت التربية في نظره إلى إعداد الفرد إعداداً شاملاً ضمن الفهم

الشمولي للإنسان وعلاقته بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها وفي ذلك ما يمكنه من القيام بدوره وتحقيق هدفه .

السؤال السابع :ما إمكانية توظيف أفكار الإمام ابن عبد البر في هذا العصر ؟

- أشارت الدراسة إلى إمكانية الاستفادة من مجالات التربية بالتأكيد على ضرورة تربية الأفراد على القيم الإيمانية من خلال إيجاد قواسم مشتركة في حقول المعرفة المختلفة المقدمة للناشئة وإعادة النظر في تصميم المناهج الدراسية بحيث تتضمن محتوى وأنشطة ووسـائل تـربط الماضي بالحاضر ، وربط التعليم بمجمله بالأصول والمصادر الإسلامية .
- تنمية قدرات الناشئة على التواصل والاندماج مع الجماعة من خلال تقويـة روح التسـامح والحوار والانفتاح على الآخرين ومحاربة النزوع والتقوقع والعدوانية وروح التسلط .
- تربية الأفراد تربية ديمقراطية من خلال التأثير على تطبيق مفاهيم العدالة والمساواة وحرية التعبير .
- تحقيق العدل الثقافي من خلال التأكيد على تقديم ثقافة ملائمة لكافة الأفراد حيـث قـدراتهم واستعداداتهم والاستفادة من أساليب البحث العلمي الذي كان عليه المسلمين الأوائل .
- ضرورة اشتمال المناهج الدراسية على العلوم النافعة التي تعود بالخير على الإنسـان فـي ضوء النهج الإلهي .
- تصميم مناهج التعليم بحيث تكون قادرة على تدريب الناشئة على أسـاليب التفكيـر وحـل المشكلات ، والإفادة من التطورات التكنولوجية والمعلوماتية .
- ضرورة اقتران الطرائق المستخدمة بالجانبين النظري والتطبيقي والتأثير على أهمية اقتران العلم بالعمل .
- بينت الدراسة أن هناك مجالات متعددة للتربية ينبغي تربية الفرد على أساسها ومنها تربيـة الفرد تربية إيمانية واجتماعية وسياسية ، كما أشارت إلى مجموعة من القضايا التربويـة والتي يمكن للتربية الإسلامية والعربية المعاصرة الاستفادة منها ، ومنها ما تعلـق بشـمول الأهداف وتنوعها ، ومفهوم العلم وأقسامه والعلاقات التربوية بين المعلمين والمتعلمين وكل من لهم علاقة بالعملية التعلمية وطرائق التدريس وأسـاليبه والثقافـة الشـاملة والمسـتمرة وأهمية الرحلة في طلب العلم ، واقتران النظرية بالتطبيق ، وقـد أشـار الباحـث إلـى أن مجالات الاستفادة منها كثيرة ومتنوعة وقد تم إيراد العديد من الأمثلة في كـل مجـال مـن

المجالات السابقة والتي يمكن الإشارة إليها لتجديد الفكر وانطلاقه ومنها الرؤية الإسـلامية الشاملة .

- يمكن القول أن الإمام ابن عبد البر قد ساهم مساهمة كبيرة في وضـع بعـض التصـورات والآراء لتجسيد تصور متكامل ونظرية تربوية إسلامية فقد وضع العديد من الأفكار والرؤى لمختلف مراحل النظرية التربوية المنشودة ، بالرغم من أن أفكاره التربوية لم تصل إلى حد وضع نظرية متكاملة في التربية وفق الرؤى والتصورات الإسلامية .
- أشارت الدراسة إلى أن أفكار الإمام التربوية كانت بمثابة ثورة على التقليد والجمود الفكري والتزمت الفقهي والتعصب المذهبي ، كما كان لهذه الأفكار تأثير كبير في ظهور الحركـات الإصلاحية والدعوة إلى السلفية والتزام الأصالة والعودة إلى المصادر الأصيلة في التـراث الفكري الإسلامي المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال وسـير الصـحابة والسـلف الصالح .

ثانياً : توصيات الدراسة

في ضوء الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة ، ومن أجل ربط الحاضر بالماضي والانتفاع من كليهما في رسم السياسة التربوية المستقبلية توصي الدراسة بما يلي :

١ – ضرورة التفكير الجاد في وضع فلسفة تربوية نابعة من التراث الفكري الإسلامي ، ومشتقة من التراث العربي الإسلامي ، بحيث تكون معبرة عن أيديولوجيتنا الدينية ومستندة إلى القرآن الكريم والحديث والسنة النبوية الشريفة . ,أن تكون كافة المبادئ التربوية الأساسية في التعليم والتعلم مستمدة منهما ، ويكون ذلك بإعداد فريق من الباحثين يجمع بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الحديث .

٢ – ينبغي الاستفادة من الأفكار التربوية التي طرحها الإمام ابن عبد البر وغيره من المفكرين التربويين الإسلاميين في القرنين الرابع والخامس الهجريين في تحقيق التوازن الفكري في المجتمع وخاصة في ظل التشابه الذي يشهده العصر الحاضر مع تلك الفترة من حيث سرعة التغير الاجتماعي والانفتاح الواسع على الثقافات الأخرى والصراع المذهبي وتعدد الاتجاهات الفكرية .

٣ – ضرورة الاستفادة مما شهده عصر الإمام ابن عبد البر من اهتمام واسع بالبحث العلمي وتشجيع الحكام والقائمين على الفكر له والذي أنتج ثروة علمية وتربوية كبيرة ، فالحاجة الآن ملحة إلى تغيير نظرتنا إلى قطاع البحث وتزويده بكل ما يلزم من إمكانات بشرية ومالية وإزالة ما يعترضه من معوقات وعقبات .

٤ – ضرورة العمل على تطبيق مفهوم التربية بمعناها الواسع من خلال إيجاد نظام متكامل يعمل على تطبيق مفاهيم التربية المستمرة والتربية الشاملة وإعادة الدور للتربية غير النظامية بتفعيل الدور التعليمي للمساجد والملتقيات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى .

٥ – ضرورة الاهتمام بالمعلم ورفع كفايته ومستواه العلمي وتدريبه وتجديد ثقافته وربطها بالتطورات العلمية والمستجدات التربوية وتدريبه على الأساليب التربوية الحديثة كالأسلوب التأملي في التفكير والحاسبة الذاتية بهدف التحسين .

وفي مجال الدراسات توصي الدراسة بما يلي :

١ – إجراء دراسة حول اثر الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية على تطوير الفكر التربوي الإسلامي في مراحله المختلفة بدءاً من مرحلة نزول الوحي حتى يومنا الحاضر.

٢ – إجراء دراسة مقارنة حول اثر المؤسسات التربوية غير النظامية قديماً وحديثاً على تطور الفكر التربوي .

٣ – إجراء دراسة متخصصة حول آداب وأخلاق المعلم في الفكر التربوي الإسلامي ومقارنة ذلك بواقع المعلمين في عصرنا الحاضر .

٤ – إجراء دراسة مقارنة حول طبيعة المنهج الدراسي في الفكر التربوي الإسلامي وطبيعة المنهج في وقتنا الحاضر.

٥ – إجراء دراسة متخصصة حول السمات النفسية والخلقية والجسمية والفكرية التي ينبغي توافرها في الراغبين بدخول مهنة التعليم عند المربين المسلمين والعصر الحاضر .

ثبت المراجع

أولا : المراجع العربية :

– الأبراشي ، محمد عطية ، (١٩٦١) . **التربية في الإسلام** . (ط١) ، القاهرة : منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لوزارة الأوقاف .

–الأبشيتي، شهاب الدين محمد بن أحمد، ، **المستطرف في كل فن مستظرف.** (ط١) ، بيروت : منشورات مكتبة الحياة .

– ابن الأبار ، أبي عبد ا محمد بن عبد ا بن أبي بكر البلنسي، (١٩Ĕ٥). **التكملة لكتاب الصلة.** (ط١) ، القاهرة : مكتبة الخانجي .

– ابن أبي طالب، علي، (١٩Ĕ٧). **نهج البلاغة (ط١)** ، (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) بيروت : دار الجيل .

– ابن بسام ، أبي الحسن بن علي ، (١٩٩Ĕ) . **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ط١)** ، **تحقيق سالم الدير** . (ط١) . بيروت : دار الكتب العلمية .

– ابن بشكوال ، أبي القاسم خلف بن عبد الملك ، (١٩٩٤) . **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم** . (ط٢) ، (تصحيح ومراجعة عزت العطار) القاهرة: مكتبة الخانجي .

– ابن جماعة، بدر الدين، (١٩٩Ĕ). **تذكرة السامع و المتكلم في آداب العالم والمتعلم.**(ط١) بيروت : دار الكتب العلمية .

– ابن حزم ، علي أحمد بن سعيد القرطبي ، (١٩٩٤) . **طوق الحمامة في الألفة والآلاف. (ط٢)** ، (تحقيق الطاهر احمد مكي) . القاهرة : دار الهلال .

– ابن حزم ، علي احمد بن سعيد القرطبي ، (٢٠٠٠) . **الأخلاق والسير ، رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق من الرذائل** . **(ط١)** ، (تحقيق ايفار رياض) . بيروت : دار ابن حزم.

– ابن حزم ، على بن احمد بن سعيد ، (١٩٦١) . **جمهرة أنساب العرب** . (ط٥) ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، دار المعارف .

– ابن حنبل ، الإمام أحمد ، (١٩٩٤) . **المسند** ، تخريج حكمت بشير ياسين . (ط١) الرياض : مكتبة المؤيد .

– ابن الخطيب ، لسان الدين ، **أعمال الأعلام.** (ط١) ، (تحقيق ليفي بروفنسال)

– ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد، (١٩٧Ĕ). **المقدمة.**(ط٣) ، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

– ابن خلكان ، احمد بن محمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . (ط١) ، (تحقيق إحسان عباس) ، بيروت : دار الثقافة .

– ابن خير ، ابي بكر محمد الآمدي ، (١٩٩٣) . **فهرسة ابن خير .** (ط١) Û **(تحقيق فرنشكة قداده)** . بغداد : مكتبة المثنى .

– ابن الصلاθ ، أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهزوري، (١٩Ĕ٦) . **مقدمة ابن الصلاŊ.** (ط١) ، الهند : المطبعة القديمة .

– ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاθ عبد الحي ، **شذرات الذهب في أعيان علماء المذهب** . (ط١) ، بيروت : دار الكتب العلمية .

– ابن الفرضي، عبد ا محمد بن يوسف، (١٩ĔĔ) . **تاريخ العلماء والرواة للعام بالأندلس** . (ط٢) ، القاهرة : مكتبة الخانجي .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، **الجامع لŏداب** . (ط١) Û بيروت : مكتبة مدبولي .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (١٩٧١). **الاصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني** . (ط١) ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (١٩Ĕ٥). **الانباء على قبائل الرواة .** (ط١) ، (تحقيق إبراهيم الأبياري) ، بيروت : دار الكتاب العربي .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (١٩Ĕ٩) . **أدب المجالسة Û وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الاعراب و3ير ذلp** . (ط١) ، طنطا: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (١٩٩Ĕ) . **الاستذكار في شرŊ مذاهب علماء الأمصار.** (ط١) ، (تحقيق محمد المعطي و أمين القلعجي) ، دمشق، بيروت: دار قتيبة.

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد الأندلسي ، (١٩ĔĔ) . **التمهيد لما في الموطθ والمعاني والأسانيد**. (ط٣) ، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (١٣٢Ĕ هـ) . **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** . (تحقيق علي محمد البجاوي) – القاهرة : مكتبة نهضة مصر .

– ابن عبد البر،أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد،(١٩٩٦). **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله.** (ط١) ، (تحقيق أبى الأشبال الزهيري) ، القاهرة : مكتبة ابن تيمية .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد، (١٩٩٤). **القصد والأمم ويليه الإنباء على قبائل الرواة.** (ط١) ، (تحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عرب) ، القاهرة : مكتبة مدبولي

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (١٩٩٩). **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي** . (ط٢) ، بيروت : دار الكتب العربية .

– ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ، (٢٠٠٠) . **صحيح جامع العلم** . (ط١) ، (تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني) ، بيروت : دار الكتب العلمية.

– ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمد ،(١٩٨١). **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس.** (ط١) ، (تحقيق محمد موسى الخولي) ، بيروت:دار الكتب العلمية .

– ابن عذارى ، أبو عبد ا المراكشي ، (١٩٨٣) . **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** . (ط١) ، بيروت : دار الثقافة .

– ابن فرحون ، برهان الدين بن علي ، (١٩٥٩) . **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** . (ط١) ، القاهرة : دار الكتب الإسلامية .

– ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل ، (١٩٩٦) . **البداية والنهاية** . (ط١) (التحقيق والمراجعة والفهرسة بدار أبي حيان) ، القاهرة : دار أبي حيان .

– ابن ماجه ، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني ، **سنن ابن ماجه .**(ط١) ، (حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه ، محمد ناصر الدين الألباني) ، الرياض:مكتبة المعارف .

– ابن مسكويه ، أبو على احمد بين محمد ، (١٣٢٩ هـ) . **تهذيب الأخلاق وتفسير الأعراق** (ط١) ، القاهرة : مطبعة الوطن .

– أبو إصبع ، نجمة خليل، (١٩٩٩). **الحياة الفكرية في عصر الخلافة الأموية في عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر.** رسالة ماجستيرغير منشورة . جامعة عدن، عدن ، اليمن .

– أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل ، **المختصر في أخبار البشر** . (ط١) ، بيروت : دار المعرفة .

– ابو الفضل ، محمد، (١٩٩٦) . **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس** . (ط١)، الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية .

– ابو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث ، .**سنن أبي داود (ط١)** ، حكم على أحاديثه وآثاره وعاق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف : الرياض .

– ابو سليمان، عبد الحميد احمد، (١٩٩٢). **أزمة العقل المسلم**. (ط٢)، الزرقاء: مكتبة المنار .

– ابو شعيرة، خالد محمد عبد الفتاθ (٢٠٠٤).**الأثر الثقافي للنظام التعليمي القرطبي على العالم الإسلامي وأوروبا**، رسالة دكتوراه عير منشورة ، الجامعة الأردنية : عمان ، الأردن .

– أحرشاو ، الغالي ،(١٩٩٤) . **مظاهر الثقافة العربية وشروط تحديثها** . مجلد ٣ (Ĕ٧-٩٤).

– احمد ، نازلي صالح ويسين احمد ، (١٩Ĕ٢) . **المدخل إلى التربية** . (ط١) ، مكتبة الانجلو مصرية .

– أحمد ، نازلي صالح ، (١٩٧٩) . **مقدمة في العلوم التربوية**.(ط١)، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية .

– أمين ، أحمد أمين ، (١٩٦٥) . **ظهر الإسلام** . (ط٥) ، القاهرة : مكتبة النهضة .

– اسماعيل ، فاطمة اسماعيل محمد ، (١٩٩٣) . **القرϑ ن والنظر العقلي** .(ط١) Ϋ الولايات المتحدة الأمريكية : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

– اوبير ، رونيه ، (١٩٩١) . **التربية العامة** ،ترجمة عبد ا عبد الدايم .(ط٧) ، القاهرة : دارالعلم للملايين .

– بدران ، شبل و البوهي ، فاروق و محفوظ ، أحمد (٢٠٠١) . **الأصول الفلسفية للتربية** . (ط١) ، القاهرة : دار المعرفة الجامعية .

– بركات، أحمد لطفي(١٩Ĕ٣)، **مجالات الفكر التربوي.** (ط١)، بيروت، القاهرة: دار الشروق .

– بشور ، منير (١٩ĔĔ) الطفولة العربية والعدالة التربوية الغائبة ، الكويت ، جمعية تقدم الطفولة ، الكتاب الخامس .

– البغدادي ، اسماعيل باشا ، (١٤٠٢هـ) . **هدية العارفين أسماء المؤلفين وϑثار المصنفين من كشف الظنون** . (ط١) ، القاهرة : دار الفكر .

– بلقيس ، احمد ، (١٩Ĕ٧) ، **التواصل في ვرفة الصف ودوره في إدارة الصف وتنظيم العلم فيه** عمان : معهد التربية .

– البياتي ، منير حميد ، (٢٠٠٢) .حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون **.كتاب الأمة** ، العدد (ĔĔ) . السنة (٢٢) .

– التعمري ، برهان الدين ابراهيم بن على البصري ، (١٩٩٤) . **الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب** . بيروت : دار الكتب العلمية .

– التل، سعيد وآخرون،(١٩٩٣) . **المرجع في مبادئ التربية** . (ط١) ، عمان : دار الشروق.

– التل ، وائل عبد الرحمن،(١٩٩Ĕ) . **مفهوما التهذيب وأدب النفس** . مجلة جامعة اليرموك المجلد السادس . العدد الثاني.

– التل ، وائل عبد الرحمن ، (١٩٩Ĕ) . **التوجيه الأخلاقي في اجتماعية التعلم عند علماء المسلمين** ، مجلة المنارة (المجلد الثالث) .

– جاسم ، ليث سعود ، (١٩ĔĔ) . **ابن عبد البر القرطبي وجهوده في التاريخ** . (ط١) المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر .

– الجابري، محمد عايد، (١٩Ĕ١). **رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية**. (ط١) الدار البيضاء : دارالنشر المغربية .

– الجابري ، محمد عابد ، (١٩٩٤) . **الديمقراطية و حقوق الإنسان** . (ط١) ، مركز دراسات الوحدة العربية .

– الجلاد ، ماجد زكي ، (٢٠٠٣) . **دراسات في التربية الاسلامية .** (ط١) ، عمان : دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع .

– الجلاد ، ماجد زكي ، (٢٠٠٠) . **التربية الإسلامية في الأردن** ، دارسة تحليلية بيبلوغرافية (ط١) ، عمان : دار المنار.

– الجمالي ، محمد فاضل ، (١٩٧٧) . **نحو تجديد البناء التربوي** . (ط١) ، تونس : الدار التونسية للنشر .

– الجمالي، محمد فاضل، (١٩٧٧) . **التربية وبناء الأجيال في ضـوء الإسـلام**. (ط١) .بيروت : دار الكتاب اللبناني .

– الجمل، نجاθ يعقوب،(١٩Ĕ٢). **نحو فهم منهج تربوي معاصر**. (ط١)،عمان: الناشر المؤلف.

– الجيار، سيد ابراهيم ،(١٩٧٤). **دراسات في الفكر التربوي**.(ط١)،الكويت: وكالة المطبوعات .

– جيوشي ، فاطمة ، (١٩٩Ĕ) **فلسفة التربية**. (ط٢) ، دمشق : منشورات جامعة دمشق.

– حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد ا القسطنطي الرومي ، (١٩Ĕ١) . **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** . بيروت : دار الفكر .

– حتاملة ، محمد عبده ، (٢٠٠٠). **الأندلس والتاريخ والحضارة والمحنة** . (ط١)، عمان : مطابع الدستور التجارية .

– حسن ، ابراهيم حسن ، (١٩٩١) .**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** (ط١٣) ، بيروت : دار الجيل ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

– حسن، عثمان علي، (١٩٩٩). **منهج الجدل والمناظرة في مسائل الاعتقاد**، بيروت: دار إشبيليا .

– حسن ، حسن محمود علي، (١٩Ĕ٧) . **البعد الاجتماعي في الفكر التربوي عند القابسي** . رسالة ماجستير غير منشورة.الجامعة الأردنية، عمان، الأردن .

– حلاق ، محمد أحمد ، والجندي ، نزيه احمد ، (١٩٩Ĕ) . **تاريخ التربية**. (ط١)، دمشق : منشورات جامعة دمشق .

– الحموي ، ياقوت بن عبد ا ، **معجم البلدان** . (ط١) ، بيروت : دار إحياء التراث العربي

– الحميدي ، أبي عبد ا محمد بن فتوθ ، (١٩Ĕ٣) . **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس** . (ط٢) ، تحقيق إبراهيم الأبياري . بيروت : دار الكتاب اللبناني .

– الحميري، محمد بن عبد ا ابن عبد المنعم، (١٩ĔĔ). **صفة جزيرة الأندلس**.(ط١) بيروت : دار الجليل.

– حنو ţ ، زكي ، (٢٠٠٠) . **نحو تربية أفضل لأجيالنا في القرن العشرين Û رؤية للاشكاليات والحلول** ، مجلة شؤون عربية : العدد (١٠٤) .

– الحياري ، حسن ، (١٩٩٣) . **أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية إسلامياً وفلسفياً** (ط١) ، اربد : دار الأمل للنشر والتوزيع .

– الحياري ، حسن ، (٢٠٠١) . **معالم في الفكر الإسلامي للمجتمع الإسلامي Û إسلامياً وفلسفياً** . (ط١) ، اربد : دار الأمل للنشر والتوزيع .

– الخطيب ، ابراهيم ياسين ، والزيادي ، احمد محمد ، (١٩٩٠) . **مفاهيم أساسية في التربية الاسلامية والاجتماعية** . (ط١) ، عمان : الأهلية للنشر والتوزيع .

– الخولي ، عبد البديع عبد العزيز ، (١٩٧Ĕ) . **الفكر التربوي في الأندلس** . (ط١) الكويت : دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع .

– الخولي ، يمنى طريف ، (٢٠٠٠) . **فلسفة العلم في القرن العشرين** . (ط١) ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

– خياط ، محمد جميل ، (١٩Ĕ٦) . **النظرية التربوية في الإسلام** .(ط١)، (دراسة تحليلية) مكة المكرمة : جامعة أم القرى .

– الدعشي ، احمد محمد حسين ، (٢٠٠٢) . **نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية** . (ط١)، دمشق : دار الفكر .

– الذهبي ، أبي عبد ا محمد بن أحمد بن عثمان ، (١٣٧٤هـ) . **تذكرة الحفـاظ** . (ط١) بيروت : دار إحياء التراث .

– الذهبي ، أبي عبد ا محمد بن أحمد بن عثمان، (٢٠٠١) . **سيـــر أعــلام النبلاء**. (ط١) ، (تحقيق عدة محققين) ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

– الذهبي ، شمس الدين محمد بن عثمان ، (١٩Ĕ٢) . **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير** . (ط١) ، القاهرة : دار الكتب المصرية .

– الرشدان ، عبد ا زاهي ، (١٩٩٧) . **علم اجتماع التربية**(ط١)، عمان : دار وائل للنشر .

– الرشدان ، عبد ا زاهي ، (٢٠٠٢) .**تاريخ التربية** . (ط١) ، عمان : دار وائل للنشر.

– الرشدان ، عبد ا والجعنيني ، نعيم ، (٢٠٠٢) . **المدخل إلى التربية والتعليم** . (ط٢) عمان : دار الشروق .

– رشيد ،عبد الحميد والحياري ، محمود ، (١٩Ĕ٥) . **أخلاقيات المهنة** . (ط٢)، عمان : مكتبة الشباب .

– ريبرا ، خوليان ، (١٩Ĕ١) . **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية . (ط١)** ، ترجمة الطاهر مكي ، القاهرة : دار المعارف .

– رضا ، صالح أحمد ، (١٩٧٠) . **مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر** رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الأزهر، القاهرة ، مصر .

– رضا ، محمد جواد ، (٢٠٠٠) . **العرب والتربية في القرن الجديد " التحدي الصعب والاستجابات الممكنة"** مجلة العلوم التربوية مجلد **١** ، العدد (١٦) ١٧Ĕ – ١Ĕ٥ .

– رضا ، محمد جواد ، (١٩٩٧) . **التربية الإسلامية وأعلامها ومستقبلها" تساؤلات في جدلية الإسلام والحداثة (**ط١**)** ، عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع .

– الزركلي ، خير الدين ، (١٩Ĕ٤) . **الأعلام Û قاموس ترجمة الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** . (ط١) ، بيروت : دار العلم للملايين .

– زيتون، (١٩٩٤). **أساليب تدريس العلوم** . (ط١) ، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع .

– الزيدي، كاصد ياسر، (١٩Ĕ٠) **الطبيعة في القرآن الكريم**. (ط١) ، بغداد : دار افريقية.

– سلطان ، محمود السيد ، (١٩٩٦) . **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ** . (ط٤) القاهرة : دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع .

– سنقر، صالحة، (١٩٩Ĕ) . **الثقافة الفلسفية** . (ط ٧) ، دمشق : منشورات جامعة دمشق .

– السيد فؤاد البهي، (١٩٧٥). **الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة** . (ط٤) القاهرة: دار الفكر العربي .

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ، **تذكرة السامع.** (١٤٠٣هـ) . (ط١) ، بيروت : دار الكتب العلمية.

– الشلبي ، أحمد ، (١٩Ĕ٧) . **التربية والتعليم في الفكر الإسلامــي** . (طĔ) ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

– الشلبي، أحمد، (١٩٦٦). **تاريخ التربية الإسلامية**. (ط٣)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية .

– الشلبي، أحمد، (١٩٧Ĕ). **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**. (ط٥)، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

– شوف، محمود أحمد ،(١٩ĔĔ) . **الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية** . (ط١) القاهرة: دار الفكر العربي .

– الشيباني ، عمر محمد التومي ، (١٩Ĕ٥) . **فلسفة التربية الإسلامية**. ، طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان .

– الشيباني ، عمر محمد التومي ، (١٩٧٥) . **ديمقراطية التعليم في الوطن العربي (ط١)** طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان .

– الصالح، محمد أديب، (١٩Ĕ٥). **لمحات في أصول الحديث**. بيروت : المكتب الإسلامي .

– الصمدي ، خالد ، (٢٠٠٣) . **القيم الإسلامية في المناهج الدراسية** . (ط١)، الرباط : مطبعة دار المعارف ، منشورات المنظمة العربية الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

– الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة،(١٩٩٧). **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس .** (ط١) ، (تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي) ، بيروت : دار الكتب العلمية .

– ضياء ، محمد جواد ، (١٩٩٧) . **التربية الاسلامية û تساؤلات حول جدلية الاسلام والحداثة** . (ط١) ، عمان : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع .

– الطحان، محمود،(١٩Ĕ٥)، **تيسير مصطηلح الحديث** . (ط٧) ، الرياض : مكتبة المعارف.

– طعيمة، صابر، (١٩٩٤).**منهج الإسلام في تربية النΣء وحمايته**.(ط١)، بيروت دارالجيل .

– الطهطاوي،سيد أحمد ، (١٩٩٦).**القيـم التربويـة فـي القصص القـــرآني**.(ط١) القاهرة : دار الفكر العربي .

– طور ، علي عثمان ، (١٩٩٩) . **منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد** بيروت : دار اشبيلية .

– الطويبي ، عمر بشير ، (١٩٩٢) . **التدريس والصحة النفسية للتلاميذ**. مصراطه : الدار الجماهيرية

– ظيف، شوقي، (١٣٢٤ هـ) . **بلاƷة العرب في الأندلس** . (ط١)، القاهرة : مطبعة مصر.

– عاقل، فاخر، (١٩Ĕ٣). **دراسات في التربية العامة والتربية العربية**. (ط٥)، بيروت: دار العلم للملايين .

– عباس ، إحسان ، (١٩٧٣) . **تاريخ الأدب الأندلسي û عصر سيادة قرطبة** . بيروت : دار الثقافة . (ط١) ، عمان : مطابع الدستور التجارية .

– عبد الحليم ، أحمد مهدي ، (١٩٩٣) . تعليم القيم فريضة ƹائبة ، **مجلة المسلم المعاصر**، العددان : (٦٥ ، ٦٦) ٩٢-٩٣ .

– عبد الدايم ، عبد ا ، (١٩Ĕ٣) . **التربية في البدان العربية û حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١Ĕ٥٠ – عام ٢٠٠٠** . (ط٤) ، بيروت : دار العلم للملايين .

– عبد الدايم ، عبد ا ، (١٩Ĕ٤) . **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين** . (ط١) ، بيروت : دار العلم للملايين .

– عبد الرؤوف ، عبد القادر سيد ، (١٩٩٤) . **التربية الإسلامية في ضوء القرآن والسنة النبوية**. (ط١) ، القاهرة : دار الطباعة المحمدية .

– عبد العال، حسن، (١٩٧Ĕ). **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجـــــري**. (ط ٢) بيروت : دار العلم للملايين .

– عبد العال ، حسن ، (١٩Ĕ٥) . **مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية** . الرياض : عالم الكتب للنشر والتوزيع .

– عبد العظيم، علي ، (١٩٧٣) . فلسفة المعرفة في القرآن الكريم ، **سلسلة البحوث الإسلامية** القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية .

– عبد اللطيف، أحمد وآخرون، (١٩Ĕ٧). **الفكر العربي الإسلامي**.(ط١)، القاهرة: دار الفكر .

– عبد ا ، عبد الرحمن صالح (١٩٩٧) ، **المنهاج الدراسي Û أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية** . (ط١) ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات .

– عبد ا ، عبد الرحمن صالح ، (١٩٩٦) . **دراسات في الفكر التربوي الإسلامي**(ط١) بيروت: مؤسسة الرسالة . عمان : دار البشير .

– عبود ، عبد الغني ، (١٩Ĕ٠) . **الأيديولوجيا والتربية Û مدخل لدراسة التربية المقارنة**. (ط٣) ، القاهرة : دار الفكر العربي .

– عبود ، عبد الغني ، (١٩Ĕ٢) الإسلام والكون ، **الكتاب الثالث من سلسلة الإسلام وتحديات العصر** . (ط٢) ، القاهرة : دار الفكر العربي .

– عبود، كريمة عمر سعيد ، (١٩٩٧). **محمد بن اسحق ويوسف بن عبد البر ومنهجهما في السيرة النبوية**. رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب .

– العراقي، محمد عاطف،(١٩٧٦). **النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد**. القاهرة: دار المعارف.

– العروري، عبد ا ،(١٩Ĕ٣). **نقاشات في ضوء التاريخ (ط٣)**، بيروت: المركز الثقافي العربي .

– العسراوي ، عبد العزيز ، (٢٠٠١). **منهج ابن عبد البر في كتابه الاستذكار**. رسالة ماجستير غير منشورة ، المدينة المنورة ، السعودية.

– العسلي، بسام عبدالرحمن ناصر،(١٩Ĕ٩). **مشاهير في الإسلام**. (ط١)، بيروت: دار النفائس.

– عقل ، همام ذياب عبد الكريم ، (٢٠٠٢) . **اختيارات ابن عبد البر في المعاوضات والمشاركات** . رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان، الأردن .

– العكţ ، إبراهيم علي، (١٩Ĕ٦). **التربية والتعليم في الأندلس**. (ط١)، عمان: دار الفيحاء .

– علوان ، عبد ا ناجح ، (١٩Ĕ١) . **تربية الأولاد في الإسلام** . (ط٣) ، حلب : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

– علي، سعد إسماعيل،(١٩٩١). **اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي**. القاهرة: دار الفكر العربي.

- علي ، سعيد إسماعيل ، (١٩Ĕ٢) . **ديمقراطية التربية الإسلامية** . (ط٢) ، القاهرة : دار عالم الكتب .

- عمارة ، محمد ، (١٩٩٢) . إسلامية المعرفة ĝالبديل الفكري للمعرفة المادية **. مجلة المسلم المعاصر** ، العدد (٦٣) ٥-٢٤ .

- عمايرة ، محمد حسن ، (٢٠٠٠) . **الفكر التربوي الإسلامي** . (ط١) ، عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع .

- عنان ، محمد بن عبد ا ،(١٩ĔĔ) . **دولة الإسلام في الأندلس** . (ط٣) ، القاهرة : مكتبة الخانجي .

- عنان ، محمد عبد ا ، (١٩Ĕ٠) . الحضارة الأندلسية خلال ثمانية قرون . **مجلة الفيصل** ، مجلد (٩) العدد (٤٢) ٣٠-٣٤ .

- عويس ، عبد الحليم ، (١٩ĔĔ). **ابن حزم القطبي وجهوده في البحث التاريخي .** (ط١) القاهرة : الزهراء للإعلان العربي .

- عياض، البستي موسى،(-١٩). **ترتيب المدارp وتقريب المسالp لمعرفة أعلام مذهب مالp.** (ط١)، (تحقيق احمد ياسر بكير محمود) ، بيروت: دار مكتبة الحياة، طرابلس الغرب:مكتبة الفكر.

- عيسى ، محمد عبد الحميد ، (١٩Ĕ٩) . **تاريخ التعليم في الأندلس من القرن الخامس حتى سقوط دولة الأندلس** . (ط١) ، عمان ، الأردن ، مؤسسة آل البيت .

- عيسى، محمد عبد الحميد، (١٩Ĕ٢). **تاريخ التعليم في الأندلس.** (ط١)، مصر: دار الفكر العربي .

- غانم ، بسام (٢٠٠٣) ، **الفكر التربوي عند الإمام شمس الدين الذهبي** . رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن .

- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، (١٩٩٦) **إحياء علوم الدين.** تحقيق عبد ا المنشاوي (ط٢) ، المنصورة : مكتبة الإيمان .

- الغصن ، محمد سليمان بن صالح بن عبد العزيز ، (١٩٩٦) . **عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان.** (ط١) ، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع .

- غلاب ، محمد ، (١٩٩٦) . **المعرفة عند العرب .** (ط١) ، القاهرة : دار الفكر .

– غنيمة ، محمد متولي ، (١٩٩٦) . **القيمة الاقتصادية للتعليم في الوطن العربي**، (ط١) القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .

– فرجاني ، نادر، (١٩٩٧) **نحو رؤية استراتيجية للتعليم في الوطن العربي – اتجاهات الحاضر والمستقبل** . القاهرة : مركز المشورة للبحث .

– الفرحان ، اسحق وبلقيس ، احمد ومرعي ، توفيق ، (١٩٩٩) . **المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة** . عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع .

– الفرحان ، محمد جلوب ،(١٩٨٩) . **دراسات في فلسفة التربية** . (ط١) الموصل : منشورات جامعة الموصل .

– فروخ، عمر،(١٩٧٢). **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**. القاهرة: دار العلم للملايين .

– الفنيش ، أحمد علي ، (١٩٨٢). **أصول التربية**. (ط١) ، ليبيا : الدار العربية للكتاب.

– الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (١٩٥٢) . **القاموس المحيط** (ط٢) ، شرح أبو الوفاء نصر الهويني . القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

– القرضاوي، يوسف، (١٩٩٦). **الحياة الربانية والعلم** . (ط١) ، عمان : دار الفرقان.

– القزويني ، علاء الدين أمير ، (١٩٨٥) . **الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية** . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر .

– القضاة ، خالد ، (١٩٩٨) . **المدخل إلى التربية والتعليم** . (ط١) ، عمان : دار اليازوري العلمية .

– قطامي ، يوسف ، (١٩٨٩) .**سيكولوجية التعلم والتعليم الصفي** . (ط١) ، عمان : دار الشروق.

– قطامي ، يوسف و أبو جابر، ماجد وقطامي ، نايفة، (٢٠٠٢). **تصميم التدريس.**(ط٢) عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

– قطب ، سيد، (١٩٧٤) . **العدالة الاجتماعية في الإسلام** . (ط١) ، بيروت : دار الشروق .

– قطب ، سيد ، (١٩٨١) . **في ظلال القرآن** . القاهرة ، بيروت : دار الشروق .

– القطري ، محمد ، (١٩٨٥) . **الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي** (ط١) ، القاهرة: دار الفكر العربي .

– قورة،حسين سليمان،(١٩٧٧).**الأصول التربوية في بناء المنهاج**.(ط١)،القاهرة:دار المعارف.

– القيسي ، فايز ، (١٩Ĕ٦) . **أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري** . رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن .

– كحالة ، عمر رضا ، **معجم المؤلفين Û تراجم مصنفي الكتب العربية .** بيروت : مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي .

– كرم ، يوسف ، (١٩Ĕ٢) . **تاريخ الفلسفة اليونانية** . بيروت : دار القلم .

– الكيلاني ، ابراهيم وسعيد ، حمام وهند ، صالح ذياب ، (١٩Ĕ٩) . **دراسات في الفكر العربي الاسلامي** . (ط٢) ، عمان : الشركة الجديدة للطباعة والتجليد .

– الكيلاني، ماجد عرسان،(١٩Ĕ٥).**الفكر التربوي عند ابن تيمية**.عمان: مكتبة الكتاب الحديث.

– الكيلاني ، ماجد عرسان ، (١٩Ĕ٥) . **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلاميـة** . (ط٢) دمشق : دار ابن كثير .

– الكيلاني ، ماجد عرسان ، (١٩Ĕ٧) . **فلسفة التربية الإسلامية Û دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربية المعاصرة** . مكة المكرمة: مكتبة المنارة .

– الكيلاني ، ماجد عرسان ، (١٩٩٢) **فلسفة التربية الاسلامية Û كتاب المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية** : المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

– الكيلاني،ماجد عرسان،(١٩٩Ĕ). **فلسفةالتربية الإسلامية**. (ط١)، مكة المكرمة: مكتبة هادي.

– الكيلاني ، محمد عرسان رباع ، (١٩٩٥) . **مسيرة التعليم الاسلامي في الجامع الأموي خلال العصر الأموي** ، رسالة ماجستير غير منشورة : جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن.

– لوبون، غوستاف ، (-١٩) . **حضارة العرب** . (ط١) ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة .

– مخلوف ، محمد بن محمد ، (١٣٤٩هـ) . **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .** مكة : المطبعة السلفية .

– مدكور،علي أحمد،(١٩Ĕ٧).**منهج التربية الإسلاميةÛأصوله وتطبيقاته.**الكويت: مكتبة الفلاθ.

– مدكور ، علي أحمد ، (١٩٩١) . **منهج تدريس العلوم الشرعية** .(ط١) ، الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع .

– مرسي، محمد منير،(١٩٩٢). **تاريخ التربية في الشرق والغرب**. القاهرة : دار عالم الكتب .

– مرسي، محمد منير، (١٩Ĕ٧) . **التربية الإسلامية Û أصولها وتطورها في البلدان العربية.** (ط٢)، القاهرة : دار المعارف .

– مرسي، محمد منير، (١٩Ĕ٢) . **فلسفة التربية – اتجاهاتها ومدارسها** . (ط١) القاهرة : دار الكتب .

– مصطفى ، شريف، (٢٠٠٠) . **دور مدير المدرسة والمشرف التربوي في تنمية قدرة التفكير التهملي للمعلمين في ممارساتهم التعلمية** .. عمان: معهد التربية .

– مرعي، توفيق،(١٩Ĕ٣). **الكفايات التعليمية في ضوء النظم** . (ط١)، عمان: دار الفرقان .

– مرعي ، توفيق والحيلة ، محمد ، (٢٠٠١) . **المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأسسها و عملياتها** .(ط٢)، عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع .

– المقدسي ، موفق الدين عبد ا احمد بن قدامه ، (١٩Ĕ٠) . **روضة الناظر وصفية المناظر**.(ط١) ، بيروت : دار الكتاب العربي.

– المقري، احمد بن محمد التلمساني، (١٩Ĕ٦). **نفη الطيب في Ʒصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.** (تحقيق يوسف الشيα محمد) بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

– مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في البلدان العربية ، (١٩ĔĔ) . **التطور التربوي في البلدان العربية Û تحليل إحصائي** . عمان : مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية .

– المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٧٦) . **استراتيجية محو الأمية في البلاد العربية** . بغداد .

– ناصر ، إبراهيم ، (١٩٩٠) . **مقدمة في التربية** . عمان : دار عمار للنشر والتوزيع .

– النجار ، عبد الحميد ، (١٩٩٥) . **الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية** ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٧٧): ١٥-٣٤ .

– النجار ، عبد المجيد ، (١٩٩٤) . عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي ، **مجلة المسلم المعاصر** ، العددان (٧١ –٧٢) ، ٢٧-٥٤ .

– النحلاوي ، عبد الرحمن ، (١٩Ĕ٣) ، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة .** بيروت : المكتب الإسلامي .

– النحلاوي ، عبد الرحمن ، (١٩ĔĔ) . الإمام يوسف بن عبد البر ترجمته واهتماماته التربوية والفكرية . دراسة تحليلية ، **مجلة أعلام التربية العربية** مجلد (٢) ، ٢٩٥-٣٢٢ .

– النحلاوي ، عبد الرحمن ، (١٩٩٢) . **أصول التربية الإسلامية وأساليبها** . (ط١)، دمشق : دار الفكر العربي .

– الندوي ، اسماعيل ، (١٩٦٤) . **ابن عبد البر وأثره في الحديث والفقه** . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، مصر .

– نصار ، محمد نصار ، (١٩ĚĚ) . **مدخل إلى تطور الفكر التربوي .**(ط١) ، الكويت : منشورات ذات السلاسل .

– الهاشمي ، عايد توفيق ، (١٩Ě٢) . **مدخل إلى التصور الإسلامي لآنسان والحياة** . (ط١) ، عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع .

– الوحيدي ، احمد عياد محمد ، (١٩٩٠) . **الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي وتطبيقاته التربوية** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن .

– يعيt ، محمد ، (١٩٩٤) . **مدرسة الإمام الحافظ أبي عمر ابن عبد البر في الحديث والفقه وآثارهما في تدعيم المذهب المالكي في المغرب** . (ط١) ، المغرب : وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية .

ثانياً : المراجع الأجنبية

- Dodge ,Bayard , (1962). **Muslim Education in Medival Times.** Washington : The Middle East Institute.

- Driver , R , Guesene , Tiberghien, A (1958) **. Children`s Ideas in Science** , Open University Press, Milton Keynes .

- Halstead, J .(1996). **Values and Values Education in Schools**, in Halstead, J and Taylor , M (Eds) . Values in Education and Education in Values . London , The Falmen press .

- Hargreaves, A. (1994) **Changing Teachers , Changing Times** New York : Teachers College Press.

- Hernandes , M (1988) . **Islamic Thinking in the Iberian Peninsula In Al-Jayouse,** S (edt) ,The Legacy of Muslims Plus Beriut ,The Center of Arab Union Studies .

- John,S. Buubachen . **Modern Philosophies of Education** .New York: M C .Graw Hill Book .

- Johnston , S (1995) . Curriculum Decision Nmaking at the School Level : **Is It Just A case of Teachers learning to Act like Administrations** ? Journal of Curriculum Supervision .10 (2) – 136 – 154 .

- Kreech, D ,and Ballachey , E . (1962) **Individual Society** , Com, C. Megrant Hill Book .

- Makdesi ,Beorge (1981) **The Rise of Colleges .** Institution of Learning in Islam and West . London : Edinburgh University Press

- Stofflet , R & Stoddant , T . (1994) . **The Ability to Understand and use conceptual change pedagogy as function of prior content learning Experience** , Journal of research in Science Teaching , vol ..31 , No I. Pp 31 – 51 .

- Tarawnweh ,Taha Thalji(1994) . **The Province of Damascus During the Second Mamluk Period** . Publications of the Deanship of Research and Graduate Studies ; Muthe University .

- Tritton, A.S .(1957) , **Materials of Muslim Education in the Middle Ages** . London : Luzac .

Al Imam Ibn Abd El Birr Al-Andalusi Educational Thought

By

Suleiman Takroori Moh. Kayed

Supervisor

Prof. Abdalla Zahi Al- Rashdan

Abstract

The study aimed at revealing al- Imam Ibn Abd El Birr Al- Andalusi educational thought to manifest its contributions in education and educational thought . Also , to investigate the extent of his notions into the contemporary educational thought.

The research attempts to answer the following question : `` What are the features of Al Imam Ibn Abd El- Bir al-Andalusi educational thought ?`` This major question divided into several sub- questions related to his perspective of the science , the scholars of his era , the sources upon which he established his educational thought , the relationship among the elements of the teaching – learning process, and the extent to which his notions agree or disagree with contemporary educational thought .

To answer these questions , the researcher used the historical approach supported by description and analysis techniques to what is available of his works and what was written about him .

The study concluded that Al- Imam al-Andalusi thought was inspired by his Islamic belief and religion , though other philosophies , namely the Greek , are evident in his thought . The division of sciences was based on a hierarchy where religious sciences were placed at the top . In his recommendations , Al- Andalusi gave priority to education over instruction. This is obvious in his perspectives of the ethics that both the teacher and the learner should stick to and control their relationship . The study also concluded that some of Al Andalusi perspectives coincide with the contemporary educational thought : giving priority to graduation in seeking knowledge , paying attention to individual differences , the reflective thinking and accountability .

The study focused on the importance of providing obligatory free learning to all members of a society . The study also revealed a difference in the aims of teaching between the era of Ibn Abd El Birr and modern one according to Ibn Abd El Birr the aim of education was to gain content of God and happiness in life and the life after , while in the modern era education is to gain happiness in life the study concluded by providing different recommendations .